T.C
HARRAN ÜNİVERSİTESİ
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANA BİLİM DALI
(Doktora Tezi)

النصوص الإسلامية ودورها في وحدة الأمة

Hazırlayan

Nwenar Hamad Amin Shekha

ŞANLIURFA-2025

T.C

HARRAN ÜNİVERSİTESİ

LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANA BİLİM DALI

(Doktora Tezi)

النصوص الإسلامية ودورها في وحدة الأمة

Hazırlayan

Nwenar Hamad Amin Shekha

Danışman

Doç. Dr. Mehmet Cüneyt GÖKÇE

ŞANLIURFA-2025

كلمة الشكر

الحمدُ للهِ أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، سرًّا وعلانية، فبنعمته تتمّ الصالحات، ولا أحصي ثناءً عليه؛ هو سبحانه كما أثنى على نفسه، أحمده على ما أعطى وما منع، وعلى ما علمتُ وما لم أعلم، وأشكره شكرًا يليق بجلاله حتى يرضى، وأستغفره على تقصيري في شكر نعمه التي لا تُعدّ ولا تُحصى.

وانطلاقًا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»، أتوجّه بالشكر قبل شكر البشر كلّهم، إلى جنابه سيّد ولد آدم صلى الله عليه وسلم، على ما بلّغ عن ربّه من الهدى والحق، وما بذله من جهدٍ وصبرٍ وتضحيةٍ في سبيل تبليغ رسالة الله لعباده، فاللهم صلِّ وسلم وبارك عليه عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثم أتقدّم بأسمى آيات الشكر والامتنان إلى والديّ الكريمين، اللذين ربّياني على الإسلام، ووجّهاني إلى طريق الأنبياء، وساندني ماديًا ومعنويًا، اللهم اجزهما عني خير الجزاء، وارحمهما كما ربياني صغيرًا، واكتب لهما أجر ما قدّما وما سيقدّمان لي من خير.

وأرفع شكري إلى أساتذتي ومعلّميّ ومشايخي في جميع مراحل حياتي، ماضيها وحاضرها، فإن كان لي من فهمٍ أو تحصيلٍ في العلم، فبفضل الله ثم بفضلهم وتوجيههم، أسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء، وأن يرحم من مات منهم، ويبارك في أعمار من بقي، ويرفع درجاتهم في الدنيا والآخرة.

وأخصّ بالشكر أستاذي الفاضل ومشرفي في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، فضيلة الأستاذ الدكتور جنيد كوكتشه، الذي بذل معي من الجهد والعناية ما لن يمحوه الزمان، وكان لي معلمًا وموجّهًا ووالدًا في وقت واحد، أسأل الله أن يجزيه عني خير ما يجزي معلمًا عن تلميذه، وأن يبارك له في علمه وعمره وأهله، وأن يفيض عليه نعمه ظاهرًا وباطنًا إلى يوم الدين.

كما أتوجّه بالشكر لكل من وقف إلى جانبي من الأساتذة والزملاء والأصدقاء، ممن قدّم نصيحة، أو دعوة، أو مساعدة، فلكم جميعًا مني أصدق الدعاء بأن يجزيكم الله خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أعبّر عن امتناني العميق لزوجتي الصالحة، التي كانت عونًا وسندًا في مسيرتي العلمية، فصبرت، واحتملت، وشاركتني الهمّ والوقت، اللهم اجزها عني خير الجزاء، واجعلنا وذريّتنا من عبادك الصالحين، واستعملنا في طاعتك برحمتك يا أرحم الراحمين.

وأختم بشكرٍ لا ينقطع: اللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما تحبّ وترضى، حمدًا يكون لنا به تمام النعمة، ودوام الهداية، وتوفيق السعي، ما حيينا وبعد الممات.

ÖZET

Bu tez, İslam ümmetinin en kritik meselelerinden biri olan vahdet konusunu ele almaktadır. Günümüzde ümmet, mezhebi ayrılıklar, etnik ve mezhep temelli çatışmalar ile siyasi bölünmeler sebebiyle iç bütünlüğünü kaybetmekte ve dışarıdaki etkisini zayıflatmaktadır.

Bu bağlamda, "İslamî Metinlerin Ümmetin Birliğindeki Rolü: Konulu Bir İnceleme" başlıklı bu araştırma, Kur'ân-ı Kerîm ve Sünnet-i Seniyye'den birlik ile ilgili metinleri bilimsel ve analitik bir bakışla incelemeyi amaçlamaktadır. Çalışmada, vahdeti ve cemaati teşvik eden, ayrılığı ve çekişmeyi yasaklayan metinler taranmış; bu metinlerin inançtan toplumsal ve siyasî hayata kadar ümmetin birliğini tesis etmeye yönelik temel kavramları nasıl yerleştirdiği analiz edilmiştir.

Anahtar Kelimeler: Ümmet, Vahdet, İhtilaf, Nass, Kur'an, Sünnet

الملخص

لقد تناولت هذه الأطروحة واحدة من أعظم قضايا الأمة الإسلامية، ألا وهي قضية الوحدة، باعتبارها ركيزة من ركائز الدين، وأصلاً من أصول الشريعة، ومطلبًا ضروريًّا لحفظ كيان الأمة واستعادة دورها الحضاري، لا سيما في ظل ما تعانيه من تمزقات مذهبية، وصراعات عرقية وطائفية وسياسية أضعفت حضورها الداخلي، وقوّضت قوتها وهيبتها الخارجية.

جاء هذا البحث بعنوان: "النصوص الإسلامية ودورها في وحدة الأمة: دراسة موضوعية"، ليقدّم دراسة علمية تحليلية لمجموعة من النصوص القرآنية والحديثية ذات الصلة، من خلال استقراء مواضع التأكيد على الوحدة والجماعة، والنهي عن الفرقة والتنازع، وتتبع المفاهيم الأساسية التي رسّختها هذه النصوص في سبيل بناء وحدة راسخة، تنطلق من العقيدة وتنعكس على الواقع الاجتماعي والسياسي للأمة.

الكلمات المفتاحية: الأمة، الوحدة، الاختلاف، النص، القرآن، السنة

ABSTRACT

This dissertation addresses one of the most critical issues facing the Islamic Ummah: the issue of unity, which represents a cornerstone of the religion, a foundational principle of the Shari‘ah, and an essential requirement for preserving the integrity of the Ummah and restoring its civilizational role—especially in light of the sectarian, ethnic, and political conflicts that have weakened its internal cohesion and undermined its external strength and global presence.

Entitled **“**Islamic Texts and Their Role in the Unity of the Ummah: An Objective Study,” this research presents a scholarly analytical study of a collection of Qur’anic and Prophetic texts related to the topic. It examines the verses and hadiths that emphasize unity and collective identity while prohibiting division and conflict, tracing the core values embedded in these texts and how they can establish lasting unity rooted in creed and reflected in the social and political realities of the Muslim community.

Keywords: Unity, Difference, Text, Qur’an, Sunnah

النصوص الإسلامية ودورها في وحدة الأمة

المحتويات

كلمة الشكر..... I

ÖZET..... III

الملخص..... IV

ABSTRACT..... V

المحتويات..... VI

الاختصارات XIII

1.التمهيد والتعريف بمصطلحات البحث والمفاهيم ذات الصلة..... 1

1.1. التمهيد 1

1.1.1. المقدمة..... 1

1.1.2. أهمية الموضوع..... 3

1.1.3. أهداف الدراسة..... 4

1.1.4. أسباب اختيار الموضوع..... 5

1.1.5. مشكلات البحث: 5

1.1.6. أسئلة البحث..... 6

1.1.7. الدراسات السابقة..... 6

1.1.8. منهجية الدراسة 12

1.2. التعريف بمصطلحات الدراسة والمفاهيم ذات الصلة..... 13

1.2.1. التعريف بمصطلحات البحث..... 13

1.2.1.1. التعريف بالنصوص الإسلامية 13

1.2.1.2. التعريف بوحدة الأمة (تعريفا مفردا ومركبا)..... 15

الفرع الأول: تعريف الوحدة:..... 15

الفرع الثاني: تعريف الأمة..... 16
الفرع الثالث: تعريف وحدة الأمة مركبا..... 17
الفرع الرابع: أنواع الوحدة..... 19
1.2.2. مفاهيم لها علاقة بوحدة الأمة..... 21
1.2.2.1. الاعتصام..... 22
1.2.2.2. العقيدة الإسلامية..... 23
1.2.2.3. الفرق والمذاهب..... 26
1.2.3. وحدة الأمة بين التكليف الشرعي والحاجة الإنسانية..... 29
1.2.3.1. وحدة الأمة تكليف شرعي ومبدأ عقدي أصيل..... 29
1.2.3.2. وحدة الأمة ضرورة اجتماعية ومصلحة إنسانية..... 38
2.أسس ومقومات وحدة الأمة الإسلامية من خلال النصوص..... 42
2.1. أسس وحدة الأمة الإسلامية..... 42
2.1.1. توحيد الله تعالى والاستسلام له..... 42
2.1.2. تجريد المتابعة للنبي ﷺ..... 45
2.1.3. الإخوة في الله..... 50
2.2. مقومات وحدة الأمة واجتماعها..... 54
2.2.1. الولاء والبراء في الإيمان بالله تبارك وتعالى..... 54
2.2.2. توحيد مصدر التشريع..... 58
2.2.3. نبذ الهوى والتعصب..... 61
2.2.4. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... 65
2.2.5. التمسك بمكارم الأخلاق..... 69
2.2.5.1. من مكارم الأخلاق حسن الظن:..... 70
2.2.5.2. ومنها: العفو والتسامح:..... 71
2.2.5.3. ومنها: الإيثار:..... 73
3.دور النصوص الإسلامية في وحدة الأمة..... 75

3.1. أهمية النصوص الإسلامية في وحدة الأمة 75
3.1.1. النصوص القرآنية الداعية إلى الوحدة..... 76
3.1.2. الأحاديث النبوية التي تحث على الوحدة وتحذر من الفرقة..... 81
3.2. مظاهر وحدة الأمة في النصوص الإسلامية 84
3.2.1. مظاهر الوحدة في العبادات 85
3.2.2. مظاهر الوحدة في العقيدة..... 86
3.2.2.1. الإيمان بالله: أساس الوحدة العقدية..... 86
3.2.2.2. الإيمان باليوم الآخر: وحدة الهدف..... 88
3.2.2.3. الإيمان بالملائكة: وحدة المراقبة والضبط الأخلاقي..... 88
3.2.2.4. الإيمان بالكتاب: وحدة المرجعية، والتشريع 89
3.2.2.5. الإيمان بالنبيين: وحدة الرسالة والاتباع..... 90
3.2.2.6. الإيمان بالقدر: وحدة التسليم والثقة بالله..... 91
3.2.3. مظاهر الوحدة في العلاقات الاجتماعية..... 92
3.2.3.1. المحبة والرحمة..... 92
3.2.3.2. العدل والإنصاف..... 94
3.2.3.3. الإيثار والتكافل..... 95
3.2.3.4. النصح والإصلاح..... 96
3.2.3.5. الستر والاحترام..... 97
3.2.3.6. ردع الظلم والتنازع 98
3.2.4. وحدة المنهج، مظهر من مظاهر الوحدة في النصوص..... 99
3.2.4.1. وحدة المراجع والمصادر..... 100
3.2.4.2. وحدة الفهم وضوابطه..... 101
3.2.4.3. وحدة التطبيق..... 102

4.أسباب التفرق وموانع الوحدة بين المسلمين..... 105

4.1. أسباب التفرق بين المسلمين..... 105

4.1.1. الجهل بالدين والدنيا 107
4.1.1.1. الجهل بالدين 107
4.1.1.2. الجهل بالدنيا 109
4.1.1.3. العلاقة بين الجهل بالدين والدنيا 111
4.1.1.4. الحلول المقترحة 112
4.1.2. البعد عن النصوص - القرآن والسنة- 113
4.1.2.1. الحلول المقترحة 115
4.1.3. اتباع الهوى (الشهوات والشبهات) 116
4.1.3.1. تعريف اتباع الهوى 116
4.1.3.2. اتباع الهوى في الشهوات 117
4.1.3.3. اتباع الهوى في الشبهات 118
4.1.3.4. آثار اتباع الهوى على وحدة الأمة 119
4.1.3.5. الحلول المقترحة 121
4.1.4. التحزبات المذهبية والطائفية والانتماءات الضيقة 123
4.1.4.1. المقصود من التحزبات المذهبية والطائفية والانتماءات الضيقة 123
4.1.4.2. الآثار السلبية للتحزبات المذهبية والطائفية والانتماءات الضيقة على وحدة الأمة: 125
4.1.4.3. الحلول المقترحة 127
4.1.5. التحاكم إلى المناهج والأفكار غير الإسلامية - العلمانية والليبرالية والقومية نموذجا- 129
4.1.5.1. العلمانية 130
4.1.5.2. الليبرالية 131
4.1.5.3. القومية 133
4.1.5.4. تحديد المشكلة والحلول المقترحة 135
4.1.6. الأسباب غير المباشرة 138
4.1.6.1. الحلول المقترحة 141

4.2. الموانع التي توجد أمام وحدة الأمة..... 142
4.2.1. غياب مشروع وحدوي دولي نافذ..... 143
4.2.2. غلبة الانتماء القطري على الانتماء للأمة..... 146
4.2.3. الاستعانة بالأعداء -من غير المسلمين- في الصراعات الداخلية..... 148
4.2.3.1. الحلول المقترحة لتجنب الاستعانة بالأعداء 150
4.2.4. الهيمنة الإعلامية والثقافية الأجنبية 151
4.2.4.1. حلول مقترحة لتجاوز الهيمنة الإعلامية والثقافية الأجنبية..... 153

5.آثار الوحدة والفرقة على الأفراد والأمة..... 155

5.1. آثار الوحدة على الأفراد والأمة 155
5.1.1. من آثارها على الأفراد:..... 155
5.1.2. آثار الوحدة على مستوى الأمة 156
5.2. آثار التفرق على الأفراد والأمة 157
5.2.1. معصية الله وتبعاتها الشرعية في الدنيا والآخرة..... 157
5.2.2. زيادة الاختلاف وإساءة الظن بين المسلمين..... 158
5.2.3. انتشار البغضاء والحسد..... 158
5.2.4. ذهاب البركة المادّيّة والمعنويّة..... 159
5.2.5. إخفاق الجهاد وضعف القدرة على النصر 159
5.2.6. بروز التكفير والتبديع بغير حق..... 160
5.2.7. زعزعة الثقة في ولاة الأمر والعلماء..... 161

6.الجهود المؤسسية والإعلامية في تحقيق وحدة الأمة..... 162

6.1. منظمة التعاون الإسلامي..... 163
6.1.1. التعريف بمجمع الفقه الإسلامي الدولي، ودوره في تحقيق وحدة الأمة..... 164
6.1.2. مظاهر اهتمام مجمع الفقه الإسلامي بوحدة الأمة الإسلامية 166
6.1.2.1. هدف مجمع الفقه الإسلامي الدولي توحيد الصف الإسلامي 166
6.1.2.2. علاقة المجمع بوحدة صف المسلمين..... 168

6.1.2.3. دعوة مجمع الفقه الإسلامي الدولي إلى توحيد الأمة والتقريب بين مذاهبها 169
6.2. رابطة العالم الإسلامي..... 176
6.2.1. أهداف الرابطة 177
6.2.2. المجمع الفقهي الإسلامي..... 178
6.2.3. هيئة العلماء المسلمين 179
6.2.4. مؤتمر الوحدة الإسلامية، مخاطر التصنيف والاقصاء..... 180
6.3. الأزهر الشريف 183
6.4. المؤتمرات والمجالس المشتركة بين العلماء والدعاة..... 187
6.4.1. مؤتمر الحوار الإسلامي..... 187
6.4.2. مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية -بحرين ٢٠٢٣- 189
6.4.3. المؤتمر الدولي للوحدة الإسلامية – طهران..... 190

7.الجهود الإعلامية في تحقيق وحدة الأمة..... 193

7.1. أهمية وسائل الإعلام..... 193
7.1.1. تعريف وسائل الإعلام ووظائفها..... 194
7.1.1.1. تعريف الإعلام..... 194
7.1.1.2. تعريف الوسائل الإعلامية..... 196
7.1.2. قنوات الاتصال الإعلامي 197
7.2. أثر ودور وسائل الإعلام في وحدة الأمة..... 198
7.2.1. الإعلام كأداة لجمع الكلمة 199
7.2.2. الإعلام كوسيلة لمواجهة التحديات..... 199
7.2.3. أثر الإعلام في صناعة الرأي العام..... 200
7.2.4. الإعلام كجسر حضاري شامل 201
7.2.5. الخطاب الدعوي في الإعلام ودوره في ترسيخ الوحدة 201
7.3. الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم 203
7.3.1. الالتزام بالصدق..... 204

7.3.2. إظهار جمال صورة الحق وأهله، وإظهار قبح وجه الباطل وأهله 204
7.3.3. التركيز على الأخلاقيات..... 206
7.3.4. الاهتمام بكل ما يرتبط بالدين خصوصا، وما يفيد دنيا مسلمين عموما 206
7.3.5. التنويع والتأثير في الخطاب..... 208
7.3.6. التوكيد والتكرار..... 211
7.3.7. كيف يمكن الاستفادة من الأساليب الإعلامية القرآنية..... 212
7.4. الأساليب الإعلامية في السنة النبوية..... 213
7.4.1. تكوين شخصية الإعلامي..... 214
7.4.2. أهمية الكلمة في الإعلام النبوي 215
7.4.3. السماحة واللين 215
7.4.4. إرسال الوفود والرسل..... 217
7.4.5. التدرج والبدء بالأهم..... 218
7.4.6. الرسم والتصوير الحسي لتقريب الأفهام..... 219
7.4.7. أثر الأساليب الإعلامية النبوية في توحيد الأمة..... 220
7.5. التوصيات الإعلامية..... 221

8.نقد المقاربات المعاصرة لوحدة الأمة في ضوء المنهج النصّي..... 223

8.1. إشكالية المعالجة الوعظية لمفهوم وحدة الأمة..... 223
8.2. نقد المقاربة السياسية لوحدة الأمة..... 224
8.3. نقد خطاب "التقريب المذهبي" غير المنضبط نصيًا 225
8.4. نقد توظيف النصوص توظيفًا انتقائيًا في خطاب الوحدة..... 226
8.5. نحو منهج نصّي ضابط لمفهوم وحدة الأمة..... 228

خاتمة الدراسة وبها أهم النتائج والتوصيات..... 230

الملحقات 236

قائمة المصادر والمراجع..... 245

الاختصارات

م.....السنة الميلادية

هـ.....السنة الهجرية

ت.....توفي

د.ط.....بدون طبعة

ط.... .....الطبعة

د.ن..... بدون ناشر

د.ت.....بدون. تاريخ

د.م.....بدون مكان الطبع

1. التمهيد والتعريف بمصطلحات البحث والمفاهيم ذات الصلة

1.1.التمهيد

1.1.1. المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ، أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين، وعلى آله وصحبِه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تُعدُّ الوحدةُ الإسلاميةُ من أعظمِ المبادئ التي جاء بها الوحي الإلاهي، ومن أركانِ البناء الحضاري للأمة، حيث أراد الله تعالى لهذه الأمة أن تكون "خير أمة أُخرجت للناس" تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله. وقد اعتنت النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية تأصيلاً وتفصيلاً بترسيخ هذا المبدأ، فأمرت بالاعتصام، ونهت عن التفرق، محذّرة من آثار الانقسام وتبعاته الوخيمة، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعا وَلاَ تَفَرَّقُواْ...﴾ [آل عمران: 103]، وقال النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا» [(1)].

إن هذه النصوص جاءت لتُبنى على أساسها نواةُ جماعةٍ مسلمةٍ موحدةٍ، قادرةٍ على مواجهة التحديات، وتحقيق الشهادة على الناس ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: 143]. ولذا الوحدة الإسلامية ما كانت وليست مجرد غاية دينية مثالية، بل ضرورة حضارية وواقعية في زمنٍ تتعاظم فيه التحديات، وتتسارع فيه الأزمات، وتتمزق فيه الهويات.

وتواجه الأمة الإسلامية اليوم أزمات متلاحقة، تُضعف بنيتها الداخلية، وتُقوّض قدرتها على التأثير في محيطها العالمي، ومنها: النزاعات الطائفية، والانقسامات السياسية، والتباينات الفكرية، وفي ظل هذا الواقع المتأزم، تبرز الحاجة الماسّة للرجوع إلى النصوص الإسلامية، باعتبارها مرجعية تأسيسية قادرة على بناء المشروع الوحدوي من جديد.

---

(1) أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري, *صحيح البخاري*, تحقيق د. مصطفى ديب البغا (دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة, ١٩٩٣), رقم الحديث: ٥٦٨٠، ٥/ ٢٢٤٢. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري مسلم, *صحيح مسلم*, تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه, ١٩٥٥ م), رقم الحديث: ٢٥٨٥، ٤/ ١٩٩٩.

وعلى مدار التاريخ، كانت النصوص القرآنية والحديثية منطلقًا لكثير من التجارب الوحدوية الناجحة، بدءًا من تأسيس مجتمع المدينة المنورة، الذي جمع المهاجرين والأنصار على أساس العقيدة، وليس على روابط العرق والقبيلة، مرورًا بما قام به الخلفاء الراشدون في درء الفتن وحفظ وحدة الأمة، وصولًا إلى جهود العلماء والمصلحين الذين نادوا بالاجتماع، ونبذ الاختلاف المؤدي إلى الفتنة.

ورغم أن الانقسام بين المسلمين قديم في تاريخه، إلا أن تعقيداته المعاصرة أعمق وأكثر خطورة، بفعل التدخلات الأجنبية، وتسييس الدين من غير علم، وتفشي الخطابات المؤدلجة، التي باتت تزاحم النصوص الشرعية في التأثير والتوجيه. ورغم ذلك، تبقى النصوص الإسلامية هي النور الذي يهدي إلى الصراط المستقيم، متى أُحسن فهمها وتطبيقها.

وفي هذا السياق، جاءت هذه الدراسة بعنوان "النصوص الإسلامية ودورها في وحدة الأمة: دراسة موضوعية"، لتُعيد النظر في فهم وتطبيق النصوص المؤسسة للوحدة، من خلال تحليل دلالاتها، واستنباط وظائفها، وتتبع مظاهرها في التاريخ الإسلامي، مع دراسة الأسباب التي أضعفت حضورها في واقعنا، واقتراح سُبل تفعيلها مجددًا.

وقد جاء اختيار الموضوع استجابة لحاجة واقعية وفكرية معاصرة، تقتضي ربط النصوص بالواقع، وربط الواقع بالمقاصد، بعيدًا عن التجريد أو الانغلاق. فإعادة فهم النصوص ذات البعد الوحدوي، وتطبيقها وفق فقه الأولويات والمآلات، بات واجبًا شرعيًا ومطلبًا حضاريًا.

ومن خلال هذه الدراسة، يُؤمَل في إحياء المعاني الشرعية للوحدة، وترسيخها في الخطاب العلمي والدعوي والتربوي، تأكيدًا على أن الوحدة ليست خيارًا ولا أمرا فقهيا فقط، بل هي منهج حياة، وشرط في بقاء الأمة وازدهارها.

أسأل الله تعالى بمنّه وكرمه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لي والمسلمين، والله ولي التوفيق

1.1.2. أهمية الموضوع

تنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يتناول بالنظر والتحليل النصوصَ الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، التي تمثّل المصدرين الأصليين للتشريع في الإسلام، والتي اشتملت على توجيهات واضحة وصريحة في الدعوة إلى الأخوة والوحدة، والتحذير من التفرّق والانقسام، كقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: 103]، وغيرها من الآيات محكمة التي تؤكد أن الاعتصام بوحدة الدين هو السبيل إلى بقاء الأمة وقوتها، و كقول النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[1] وأمثال هذه الأحاديث التي تغرس روح التضامن بين المسلمين، وتُعلي من شأن التآلف.

ولا تقتصر أهمية الموضوع على دلالاته النصية، بل تتعزز من خلال الواقع الراهن للأمة الإسلامية، الذي يشهد انقسامات متعددة المظاهر والمستويات، مما يجعل العودة إلى هذه النصوص ضرورة علمية وشرعية ومجتمعية. فمعالجة أسباب التفرّق في ضوء الوحي، واستلهام سبل الوحدة من منابع التشريع، يُعدُّ مطلبًا ملحًّا في سياق استنهاض الأمة من حال الضعف والتشرذم إلى حالة الائتلاف والتماسك.

وتزداد أهمية هذه الدراسة بالنظر إلى عدد من الاعتبارات، من أبرزها:

1. أن الوحدة والاجتماع تُعدّ من المرتكزات الأساسية في بناء المجتمع الإسلامي، وهي من المقاصد الكلية التي تسعى الشريعة إلى تحقيقها.
2. انتشار مظاهر التفرّق والتشتّت المؤلم في جسد الأمة الإسلامية، والتي أضعفت كيانها وأفقدتها الكثير من مقومات الريادة والتأثير.
3. الحاجة الماسّة لأمتنا الإسلامية إلى التآلف والاجتماع، والتراحم والتكامل، في ظل التحديات المتعاظمة التي تواجهها، وواقع الاستهداف الخارجي الذي جعل بلاد المسلمين ساحة لصراعات تتقاطع فيها مصالح القوى العالمية.

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٥٦٨٠، ٥/ ٢٢٤٢. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٥٨٥، ٤/ ١٩٩٩.

4. الاهتمام البالغ الذي أولاه القرآن الكريم والسنة النبوية لقضية وحدة المسلمين، ووضوح ذلك من خلال النصوص المحكمة التي تأمر بالاعتصام وتنهى عن التفرّق والنزاع.

ومن خلال ما سبق، تتجلّى أهمية هذا البحث في كونه يسعى إلى تقديم معالجة علمية قائمة على النصوص الإسلامية، تستلهم من الوحي حلولًا عملية لبناء جسور التعاون والتكامل بين مختلف مكوّنات الأمة. كما أن الإسلام قدّم نموذجًا عمليًا للوحدة من خلال تجربة النبي ﷺ وصحابته الكرام، الذين استطاعوا تجاوز الحواجز القبلية والعرقية في سبيل تأسيس مجتمع موحَّد على أساس الإيمان والمساواة. ومن هنا، فإن دراسة هذا الموضوع تمثّل خطوة في سبيل تفعيل النصوص الإسلامية في الواقع المعاصر، بما يُعيد بناء الوحدة الإسلامية على أسس راسخة ومؤصلة.

1.1.3. أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، من أبرزها:

- بيان المقصود بالنصوص الإسلامية، وشرح دلالاتها ومجالاتها.
- توضيح مفهوم -وحدة الأمة- من منظور شرعي شامل.
- تعريف المصطلحات ذات الصلة، مثل: الاعتصام، التفرّق، العقيدة الإسلامية، الفرق والمذاهب، وأهل السنة والجماعة.
- الكشف عن الأسس التي تقوم عليها وحدة الأمة الإسلامية في ضوء النصوص الشرعية.
- تسليط الضوء على مقوّمات وحدة الأمة واجتماعها كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية.
- تحليل دور النصوص الإسلامية في ترسيخ مفهوم الوحدة بين المسلمين.
- استعراض مظاهر الوحدة في العقيدة، والعبادات، والعلاقات الاجتماعية، والمنهج.
- بيان الأسباب التي أدت إلى تفرّق المسلمين، وتوضيح مخاطرها على وحدة الصف.
- رصد موانع الوحدة بين المسلمين، وبيان سبل معالجتها.
- بيان دور المجامع والمؤسسات الدولية في تحقيق الوحدة الإسلامية، ومساهماتها العلمية في هذا المجال.
- تحليل دور وسائل الإعلام في تعزيز الوحدة أو تغذية التفرقة بين المسلمين.

- عرض أبرز الجهود الفكرية والدعوية المبذولة لتحقيق وحدة الأمة الإسلامية.
- بيان ثمرة الوحدة والاجتماع في بناء مجتمع إسلامي متماسك، يحقق الازدهار والتقدم.
- جمع النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ذات الصلة بالوحدة، وتحليلها وشرح دلالاتها، وبيان أثرها في بناء أمة قوية ومتماسكة.

1.1.4. أسباب اختيار الموضوع

جاء اختيار هذا الموضوع لعدة أسباب جوهرية، من أبرزها:

- الرغبة في تتبع أثر النصوص الإسلامية في ترسيخ وحدة الأمة الإسلامية، وبيان كيف شكّلت هذه النصوص الأساس النظري والعملي لبناء مجتمع إسلامي موحّد.
- السعي لتقديم معالجة شرعية للمشكلات المعاصرة التي تعاني منها الأمة، كالفرقة والانقسام، وذلك من خلال الاستناد إلى النصوص الثابتة من القرآن الكريم والسنة النبوية.
- الحرص على تعزيز الوعي بأهمية الوحدة في الإسلام، من خلال بيان كيفية تحويل المبادئ النصية إلى آليات عملية يمكن تطبيقها في الواقع الاجتماعي والسياسي.
- الإسهام في إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة علمية تتناول دور النصوص في تحقيق الوحدة، وتقديم رؤية تحليلية تأصيلية لموضوع بالغ الأهمية والحساسية في الوقت ذاته.
- تقديم إرشادات وتوجيهات تستند إلى النصوص الإسلامية، يمكن أن يستفيد منها الأفراد والمؤسسات والمجتمعات، من أجل تعزيز قيم التراحم والتكامل والتضامن بين أبناء الأمة.
- ما تمرّ به الأمة الإسلامية من تحديات فكرية، وعقائدية، وسياسية، ومذهبية، تمثّل تهديدًا حقيقيًا لوحدتها، وهو ما يفرض ضرورة العودة إلى النصوص المؤسسة للتعامل مع هذه الإشكالات بمنهج شرعي أصيل.
- الإيمان العميق بأن النصوص الإسلامية -بما تملكه من صلاحية خالدة- هي المرجع الأعلى للمسلمين، وأن استثمارها في معالجة قضايا الأمة يعد من أوجب الواجبات في هذا العصر.

1.1.5. مشكلات البحث:

على الرغم من وضوح الدعوة الشرعية إلى الوحدة، والنهي الصريح عن الفرقة، واتفاق العقلاء على أن الاجتماع خير من الافتراق؛ إلا أن الإشكال لا ينشأ من أصل المبدأ، بل من كيفية فهم

النصوص الموجِّهة إلى الوحدة، وطريقة تنزيلها على واقعٍ تتداخل فيه الاجتهادات وتتنوع فيه المواقف. ويبرز هنا سؤالٌ جوهريّ: هل تتحقق الوحدة الشرعية بالتنازل عن المعتقدات أو المسائل التي يراها المسلم حقًّا؟ أم أنّ النصوص إنما تدعو إلى شكلٍ من الوحدة لا يقتضي التفريط في الثوابت؟

ومن ثمّ تتحدد مشكلة البحث في السعي إلى بيان ماهية الوحدة التي تدعو إليها النصوص، وما الذي يُعَدّ موحِّدًا حقًّا، وما النصوص التي تُشكّل إطارًا جامعًا للأمة، وما آلية الفهم المنضبطة التي يمكن أن تجتمع عليها الأمة بما يحقق المراد الشرعي دون إلغاء للاجتهاد السائغ. كما تستلزم المشكلة دراسة الأسباب التي تعزز الوحدة، والموانع التي تعوقها، وسبل معالجتها، وهو ما ستتناوله أبواب هذا البحث تفصيلاً بإذن الله تعالى.

1.1.6. أسئلة البحث

تسعى الدراسة للإجابة عن جملة من الأسئلة، من أبرزها:

- ما هي الوحدة وهل يمكن تطبيقها عمليا من خلال النصوص؟
- ما أبرز النصوص القرآنية والحديثية التي تؤسس لمفهوم الوحدة؟
- كيف وظّفتها التجربة الإسلامية تاريخيًا؟
- ما أسباب تعطّل فاعليتها في العصر الحديث؟
- كيف يمكن تفعيلها في الحاضر لبناء وحدةٍ راسخة؟

1.1.7. الدراسات السابقة

ومن الدراسات التي تناولت الوحدة الإسلامية في حدود ما توصلت إليها ما يلي:

1. **دراسة الشمري** [1] (2020م)، بعنوان: *"وحدة الأمة المسلمة: دراسة مقاصدية"*، وهدفت إلى استجلاء مقاصد الشريعة الإسلامية المتعلقة بوحدة الأمة، من خلال تتبع النصوص

---

(1)عامر شاهر خليف الشمري - محمد حمد عبد الحميد, *وحدة الأمة المسلمة: دراسة مقاصدية* (المفرق: جامعة آل البيت, ماجستير, ٢٠٢٠).

الشرعية التي دلّت على مركزية هذا المقصد، وبيان أثره في تأسيس العديد من الأحكام الفقهية في العبادات والمعاملات وسائر أبواب الفقه.

وقد خلص الباحث إلى أن مقصد وحدة الأمة يُعدّ من المقاصد الضرورية المكمّلة للمقاصد الكلية الخمس، ومكمل الضروري ضروري، وهو من المقاصد العامة والعالية للشريعة، لما يترتب عليه من مصالح عظيمة كعزة الأمة ونهضتها، ودفع المفاسد الكبرى كسيطرة الأعداء واستنزاف ثرواتها وخيراتها.

2. **دراسة سعيد وعبد الدائم** [1] (2017م)، بعنوان: *"الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية وأثرها على وحدة المسلمين: دراسة تطبيقية على وسائل الإعلام الشفهية المواجهة"* ، وقد هدفت إلى استكشاف الأبعاد الإعلامية في النصوص الشرعية، وبيان أثرها في تحقيق وحدة الصف الإسلامي.

وخلصت إلى أن القرآن الكريم يمثل خطابًا إعلاميًّا شاملًا، وأن وظيفة الإعلامي المسلم تتكامل مع الرسالة النبوية في الدعوة إلى التآلف والمحبة والتراحم، كما تجلى ذلك في سيرة النبي ﷺ عند تأسيسه للمجتمع الإسلامي في المدينة.

3. **دراسة علي وعوض** [2] (2010م) بعنوان: *"منهج القرآن الكريم في جمع كلمة الأمة"* ، وقد هدفت إلى تحليل المنهج القرآني في توحيد صف الأمة الإسلامية، والكشف عن الأساليب التي اعتمدها الوحي في ترسيخ مبدأ الوحدة، وبيان الأسباب التي تؤدي إلى الاختلاف والتفرقة بين المسلمين.

---

(1) نبيل محمد مرعي سعيد - عبد الدائم عمر الحسن, *الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية وأثرها على وحدة المسلمين: دراسة تطبيقية على وسائل الإعلام الشفهية المواجهي* (أم درمان: أم درمان الإسلامية, دكتوراه, ٢٠١٧).

(2) يوسف عبد الله محمد علي - علي الأمين عوض الله, *منهج القرآن الكريم في جمع كلمة الأمة* (أم درمان: أم درمان الإسلامية, ماجستير, ٢٠١٠).

وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، من أبرزها أن القرآن الكريم يؤكد على الوحدة الإسلامية ويُحذّر من الاختلاف والفرقة، وأن الاختلاف بين المسلمين يعود إلى أسباب متعددة؛ منها ما هو عقدي، ومنها ما يرجع إلى التقصير في الخطاب الدعوي والتربوي.

4. **دراسة مصالحه** [1] (2017) بعنوان: *"وجوب وحدة الأمة الإسلامية: دراسة موضوعية"* ، وقد هدفت هذه الدراسة إلى بيان أن وحدة الأمة الإسلامية ليست مسألة اختيارية، بل هي واجب شرعي مؤكد بالقرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع، حيث سعت إلى بيان أبعاد الوحدة الإسلامية ومن أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة: أن وحدة الأمة واجبة وجوبًا شرعيًا.
5. **دراسة أحمد والعرماني** [2] (2015م) بعنوان: *" عناصر الوحدة الإسلامية في المنهج النبوي وأثرها في الدعوة: دراسة وصفية تحليلية"* ، وقد هدفت إلى بيان عناصر الوحدة الإسلامية كما تجلت في المنهج النبوي، وتحليل أثرها في مجالات الدعوة، من خلال توضيح أسس توحيد الأمة في العقيدة والمجتمع والاقتصاد والسياسة، وفقًا لهدي النبي ﷺ، مع دراسة السبل الكفيلة بحماية هذه الوحدة في ضوء تعاليمه.
6. **دراسة نور وإبراهيم** [3] (2014م) بعنوان: *"المذاهب الفكرية وأثرها على حياة المسلمين: دراسة مقارنة بين مذهب أهل السنة والجماعة والمذاهب المعاصرة"*، وقد هدفت إلى دراسة أثر المذاهب الفكرية على وحدة الأمة الإسلامية، من خلال تحليل مظاهر التأثير الفكري في حياة المسلمين، ومقارنة ذلك بين مذهب أهل السنة والجماعة وبعض المذاهب الفكرية

---

(1) محمود محمد طه مصالحه, *وجوب وحدة الأمة الإسلامية – دراسة موضوعية* (لاهاي: لاهاي, دكتوراه, ٢٠١٧ م).

(2) رجاء محمد صالح أحمد - محمد زين الهادي الحاج علي العمراني, *عناصر الوحدة الإسلامية في المنهج النبوي وأثرها في الدعوة: دراسة وصفية تحليلية* (أم درمان: أم درمان الإسلامية, دكتوراه, ٢٠١٥).

(3) محمد أحمد محمد نور - إبراهيم نورين إبراهيم, *المذاهب الفكرية وأثرها على حياة المسلمين: دراسة مقارنة بين مذهب أهل السنة والجماعة والمذاهب المعاصرة* (أم درمان: القرآن الكريم والعلوم الإسلامية, ماجستير, ٢٠١٤).

المعاصرة، مع بيان مدى مساهمة هذه التيارات في تعزيز التماسك أو إثارة الانقسام داخل الأمة.

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- أن الاختلاف الفكري بين الناس أمر فطري وطبيعي، ويمكن أن يكون محفزًا على التنوع البناء إذا أُحسن توجيهه.
- أن من ركائز الفكر الإسلامي المعاصر الوعي بخطورة أعداء الأمة، وبخاصة اليهود -أو الكيان الصهيوني-، وضرورة إدراك دورهم في زرع الفرقة وتشتيت الصف الإسلامي.

7. **دراسة دراعو ونجم** [1] (2014م) بعنوان: *"وحدة الأمة الإسلامية: الأسباب والآثار والمعوقات كما بينها القرآن الكريم"* ، وهدفت إلى استقراء مفهوم "وحدة الأمة" في ضوء القرآن الكريم، من خلال جمع الآيات القرآنية ذات الصلة، وتحليلها، واستخلاص أسباب الوحدة وآثارها، وتحديد أبرز المعوّقات التي تعترض تحقيقها في الواقع الإسلامي.
8. **دراسة كنعان والجندي** [2] (2017م) بعنوان: *"التفرق العقدي وأثره على الوحدة الإسلامية: دراسة تحليلية نقدية"* ، وهدفت إلى بيان الأسباب التي أدّت إلى الخلاف بين أبناء الأمة الواحدة، مع التأكيد على أن الاختلاف في أصله سنّة ربانية، وضرورة التمييز بين الخلاف المقبول والتفرّق المذموم الذي يُضعف الأمة ويمزق صفها.

وركزت الدراسة على أن: الوحدة الإسلامية مبدأ أصيل في الشريعة، وأن من أسباب تفاقم الخلاف العقدي غياب الوعي، وتساهل بعض المؤسسات في ضبط الخطاب العقدي، وترك المجال مفتوحًا لغير المؤهلين للخوض فيه.

---

(1) عبد الغني ادراعو, *وحدة الأمة الإسلامية: الأسباب والآثار والمعوقات كما بينها القرآن الكريم* (ماليزيا: المدينة العالمية, ماجستير, ٢٠١٤).

(2) محمد جمال حسين كنعان - محمد علي الجندي, *التفرق العقدي وأثره على الوحدة الإسلامية: دراسة تحليلية نقدية* (عمان: العلوم الإسلامية العالمية, دكتوراه, ٢٠١٧).

9. **دراسة الهنداوي** [1] (2012م) بعنوان: *"الإجماع الأصولي وأثره في تحقيق وحدة الأمة الإسلامية في مجال الفقهيات والعقائد"* ، وهدفت إلى بيان أهمية الإجماع الأصولي باعتباره حُجّة شرعية ودوره في ترسيخ وحدة الأمة الإسلامية وتماسكها على مستوى العقيدة والشريعة.

وقد وصلت الدراسة إلى أن الإجماع -بصفته أحد مصادر التشريع الأساسية- يُعد من أقوى أدوات التوحيد الفكري والفقهي في الأمة، حيث يُمثّل اتفاق العلماء على أمر شرعي بعد اجتهاد، وهو ما يحقق استقرارًا في المفاهيم العقدية والأحكام الفقهية، ويقلل من التنازع والفرقة.

10. **دراسة وينتن، مصطفى** [2] (2016م) بعنوان: *"توحيد الأصول العقدية ودوره في تحقيق وحدة الأمة"*، وهدفت إلى بيان أن تحقيق وحدة الأمة الإسلامية أمر ممكن من خلال العودة إلى الأصول العقدية المستمدة من الوحي، وفصلها عن التأويلات البشرية والانتماءات المذهبية.

ومن أبرز النتائج التي خلصت إليها الدراسة:

- أن أسباب التفرّق العقدي تعود في الأساس إلى تفسيرات البشر والاجتهادات المذهبية.
- أن العودة إلى النصوص الموحى بها دون إلغاء التراث العقدي من شأنه أن يُيسّر الاعتقاد، ويقلّل حدة التعصّب المذهبي.

أوجه التشابه بين دراستي والدراسات السابقة:

- أن معظم الدراسات السابقة قد أكدت على أن الوحدة الإسلامية مقصدا ضروريا لتحقيق المصالح ودفع المفاسد، مثل: دراسة الشمري (2020)، ودراسة علي،

---

(1) حسن بن إبراهيم. الهنداوي, "التجديد", *الإجماع الأصولي وأثره في تحقيق وحدة الأمة الإسلامية في مجال الفقهيات والعقائد* ٣٢/١٦ (٢٠١٢), ٤٠.

(2) مصطفى وينتن, "مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية", *توحيد الأصول العقدية ودوره في تحقيق وحدة الأمة* ٣/٢ (٢٠١٦/٧), ٣٠.

وعوض (2010)، ودراسة مصالحة (2017)، ودراسة نور وإبراهيم (2014)، ودراسة دراعو ونجم (2014)، ودراسة أحمد والعرماني (2015).

- قد تناولت بعض الدراسات دور الإعلام، سواء الشفهي أو الحديث في تعزيز وحدة المسلمين، مثل: دراسة سعيد وعبد الدائم (2017)، ودراسة أحمد والعرماني (2015).
- أن جميع الدراسات السابقة تقريبا أكدت على أهمية التمسك بالوحدة الإسلامية وتجنب التفرقة مثل: دراسة مصالحة (2017)، دراسة علي، وعوض (2010) ودراسة دراعو ونجم (2014)، ودراسة كنعان والجندي (2017).
- أن بعض الدراسات قد ركزت على دور الفتاوى والنصوص الشرعية في توجيه المجتمع المسلم نحو الوحدة، مثل: دراسة العمودي ومحمد (2018) ودراسة الشمري (2020)، ودراسة الهنداوي (2012).
- أن معظم الدراسات السابقة قد تناولت النصوص القرآنية أوالسنة النبوية وتحليلها من أجل إظهار أثرها في تعزيز وحدة الأمة، مثل: دراسة علي وعوض (2010)، ودراسة دراعو ونجم (2014)، ودراسة وينتن مصطفى (2016).
- قد ركزت بعض الدراسات على دور العقيدة الإسلامية في تحقيق الوحدة بين المسلمين، مثل: دراسة أحمد والعرماني (2015)، ودراسة نور وإبراهيم (2014).

أوجه الاختلاف بين دراستي والدراسات السابقة:

وقد تميز بحثي عن الدراسات السابقة في الأمور التالية:

- أن بحثي يركز بشكل محدد على النصوص الإسلامية (القرآن والسنة) نفسها ودورها المباشر في وحدة الأمة؛ بينما تناولت الدراسات السابقة مواضيع متنوعة مثل وسائل الإعلام والفتاوى والأساليب القرآنية والمذاهب الفكرية.
- التفصيل في كيفية تطبيق هذه النصوص من خلال دراسة تطبيقها في الزمن النبوة للوصول إلى ما وصل المسلمون إليه من التوحيد والأخوة، والإيثار.
- تقسيم مفهوم وحدة الأمة في ضوء النصوص الشرعية والواقع التطبيقي في زمن النبوة، إلى أنواعٍ منهجية، بما يتيح الجمع بين الأمر الشرعي العام الموجَّه إلى

المسلمين، وبين التطبيق العملي للوحدة في التجربة النبوية وما تلاها من مراحل تاريخية.

- أن بحثي يعتمد على استخدام المنهج التحليلي الوصفي بشكل شامل لنصوص الشريعة الإسلامية القرآن والسنة؛ بينما معظم الدراسات السابقة اقتصرت على نصوص جزئية أو على أحد المصدرين (القرآن أو السنة) دون الجمع بينهما بصورة متكاملة وملئ الفراغ وتكميل النقص الذي رآه الباحث في هذا الموضوع إذ إن الموضوع من المواضيع القديمة ويحتاج التجديد بين بين بسبب كثرة الأشياء المفرقة.
- وكذلك تسعى هذه الدراسة إلى تجاوز المعالجة الوصفية والوعظية الغالبة في تناول مفهوم وحدة الأمة في عددٍ من الدراسات المعاصرة، وذلك من خلال تقديم قراءة نقدية للمقاربات المطروحة، وبناء منهجٍ نصّيٍّ ضابط يُميّز بوضوح بين الوحدة المشروعة، والتنوّع السائغ، والاختلاف المذموم، بوصف هذا التمييز مدخلًا منهجيًا لفهم قضية الوحدة وضبط خطابها تنظيرًا وتطبيقًا.

1.1.8. منهجية الدراسة

وقد استخدمت في رسالتي هذه المنهج التحليلي الوصفي:

- المنهج التحليلي: وذلك من خلال تحليل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بالوحدة الإسلامية، حيث سيتم تفسير النصوص واستنباط دلالاتها مع ربطها بالسياق التاريخي والاجتماعي الذي ظهرت فيه.
- المنهج الوصفي: وذلك من خلال وصف الواقع الحالي للأمة الإسلامية مع التركيز على الانقسامات والتحديات التي تواجهها وربطها بالنصوص الإسلامية التي تقدم حلولا واضحة لهذه المشكلات

وقد اتبعت في هذه الدراسة الخطوات الآتية:

- الاعتماد على النصوص القرآنية ذات الصلة بموضوع البحث، مع الاستفادة من أقوال المفسرين في بيان دلالاتها وتفسيرها.

- الاستعانة بالأحاديث النبوية المرتبطة بالوحدة والجماعة، والمعاني المرتبطة.
- الرجوع إلى أقوال العلماء وشروحهم في تفسير الأحاديث النبوية، واستخراج الفوائد العقدية والفقهية ذات الصلة بموضوع البحث.
- الاقتصار على الأحاديث الصحيحة والحسنة، مع تجنب الأحاديث الضعيفة، إلا ما كان منها يُذكر على سبيل الاستئناس أو لدعم معنى لغوي أو بلاغي، دون أن يُبنى عليه أصل تأصيلي، وتجنبت الأحاديث الموضوعة.
- تخريج الأحاديث النبوية وعزوها إلى مصادرها الأصلية، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما أُشير إلى ذلك، وإن كانت في غيرهما ذُكرت مع مراعاة القواعد الحديثية، مستأنسًا بأقوال أهل العلم في الحكم عليها.
- شرح المفردات الغريبة وبيان المعاني اللغوية للألفاظ الواردة في النصوص، بالرجوع إلى كتب اللغة ومعاجم غريب الحديث المعتبرة.

فجاءت هذه الرسالة في سبعة أبواب رئيسية، يندرج تحتها عدد من الفصول والمباحث والمطالب.

1.2.التعريف بمصطلحات الدراسة والمفاهيم ذات الصلة

1.2.1. التعريف بمصطلحات البحث

يعتبر هذا المبحث المدخل الأساسي لفهم موضوع وحدة الأمة، حيث يركز على تحديد المصطلحات الرئيسية التي يقوم عليها البحث، ويهدف إلى توضيح المفاهيم المتداولة فيه بشكل دقيق، بما يسهم في بناء الدراسة على أسس معرفية واضحة، متماسكة، ومترابطة، ومن خلال التعريف بالمصطلحات يُمهد المبحث الطريق لاستيعاب النصوص الشرعية ودلالاتها، كما يُساهم هذا المبحث في رفع اللبس والغموض عن المفاهيم الأساسية المرتبطة بالبحث، مما يُعزز من وضوح الرؤية المنهجية للدراسة وموضوعها.

1.2.1.1. التعريف بالنصوص الإسلامية

تعريف النص لغة:

ورد في مقاييس اللغة: "النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء... ونصصت الرجل: استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما عنده. وهو القياس، لأنك تبتغي بلوغ النهاية"[1].

وقال ابن منظور: " النص: رفعك الشيءَ... نصَّ الحديث ينصّه نصًّا: رفعه، وكل ما أُظهر فقد نُصَّ، وأصل النصّ: أقصى الشيء وغايتُه"[2]، وجاء في تاج العروس "نصّ الشيءَ نصًّا: حرّكه"[3].

يتبيّن من أقوال أئمة اللغة أن كلمة النص تدور في أصلها اللغوي حول معاني الرفع والظهور والبلوغ إلى الغاية، وبناءً عليه، فإن "النص" في اللغة لا يُفهم على أنه مجرد كلام، بل هو كلام ظاهر بيّن تميز عن غيره في القوة والوضوح والدلالة، ولهذا استُعمل في الشريعة للدلالة على القول الذي لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا من المعنى.

تعريف "الشرعية" لغة:

قال ابن فارس: " الشين والراء والعين أصلٌ واحد، وهو شيءٌ يُفْتَح في امتدادٍ يكونُ فيه، من ذلك الشريعة، وهي مورد الشاربة الماء، واشْتُق من ذلك الشِرْعة في الدِّين والشريعة "[4]. قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ [الجاثية: 18].

---

(1) إبراهيم نورين ابن فارس، *مقاييس اللغة*، تحقيق إبراهيم نورين هارون (د. م: دار الفكر, ١٩٧٩)، ٣٥٦/٥.

(2) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، *لسان العرب* (بيروت: دار صادر, ١٤١٤هـ)، ٩٧/٧ وما بعدها.

(3) أبو الفيض، محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الزبيدي - مجموعة من المتخصصين، *تاج العروس من جواهر القاموس* (كويت: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت, ١٩٦٥-٢٠٠١)، ١٧٨/١٨.

(4) ابن فارس، *مقاييس اللغة*، ٢٦٢/٣.

والإبل الشروع: التي شرعت ورويت، ويقال: أشرعت طريقاً، إذا أنفذته وفتحته [1]، فالشَّرع: نهج الطريق الواضح [2].

قال الكفوي: " والشريعة: هي مورد الإبل إلى الماء الجاري، ثم استعير لكلِّ طريقةٍ موضوعةٍ بوضعٍ إلَهيٍّ ثابتٍ من نبيٍّ من الأنبياء"[3].

وأما الشرع اصطلاحاً: كلُّ ما شرعه الله من العقائد والأعمال[4].

وعليه، فالمقصود بـ "النصوص الشرعية" في هذه الرسالة هو: الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي تدعو إلى وحدة الأمة الإسلامية، وتؤسس للترابط والاعتصام، وتحذّر من الفُرقة والتنازع.

1.2.1.2. التعريف بوحدة الأمة (تعريفا مفردا ومركبا)

الفرع الأول: تعريف الوحدة:

قال ابن فارس: (وَحَدَ) الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد، ومن ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله [5]، وقال الراغب الأصفهاني: الوحدة: الانفراد، والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة؛ ثم يطلق على كل موجود [6]، وهو الذي لا ينقسم بوجه لا

---

(1) ينظر: ابن فارس, *مقاييس اللغة*, ٣/ ٢٦٢.

(2) أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، *المفردات في غريب القرآن*، تحقيق صفوان عدنان الداودي (دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية, ١٤١٢هـ)، ص:٤٥٠.

(3) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء، *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*، تحقيق عدنان درويش - محمد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة، د. ت)، ص: ٥٢٤.

(4) ينظر: الإحكام لابن حزم (1/ 46)، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم, *الإحكام في أصول الأحكام*, تحقيق أحمد محمد شاكر (بيروت: دار الآفاق الجديدة, د. ت)، ٤٦/١، مجموع الفتاوى ابن تيمية, *مجموع الفتاوى*, تحقيق عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, ٢٠٠٤)، ٣٠٦/١٩.

(5) ابن فارس، *مقاييس اللغة*، ٩٠/٦.

(6) الراغب الاصفهاني، *المفردات في غريب القرآن*،، ٤٩٤/٢.

فرضا ولا وهما وفلا فعلا ولا بينه وبين غيره نسبة بوجه [1]؛ ويُفهم من هذه التعريفات أن الوحدة تتضمن معنى الاستقلال والانفراد، وتُشير إلى الكيان المتفرد الذي لا يقبل الانقسام أو التعدد، وقد وردت الوحدة بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52]، أي جماعتكم واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد [2].

الفرع الثاني: تعريف الأمة.

الأمة "كل جماعة يجمعها أمر إما دين، وإما زمان، أو مكان واحد سواء كان الأمر الجامع تسخيرا أم اختيارا" [3]؛ فالتعريف يبين مفهوم الأمة ومعانيه وقد جاء إطلاق الأمة في القرآن على معانٍ متعددة، منها:

- الدين [4]: كما في قوله تعالى: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ [الزخرف: 22] أي وجدنا آباءنا على دين وملة وإنا متبعوهم على ذلك [5]،
- الجماعة [6]: كما في قوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]، أي: جماعة ذات خصائص متميزة [1].

---

(1) زين الدين، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، *التوقيف على مهمات التعاريف*، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان (القاهرة: عالم الكتب, ١٩٩٠) ، ص:٣٣٥.

(2) أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي, *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*, تحقيق علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية, ١٩٩٤) , ٢٤١/٩.

(3) المناوي، *التوقيف على مهمات التعاريف*, ٩٤.

(4) ابن فارس، *مقاييس اللغة*, ٢٧/١.

(5) جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي, *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*, تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي (القاهرة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية, ٢٠٠٣), ١٩٧/١٣. أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي, *الجامع لأحكام القرآن*, تحقيق أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية, ١٩٦٤), ١٢٧/٢.

(6) أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهري، *تهذيب اللغة*، تحقيق محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي, ٢٠٠١) , ٤٥٤/١٥.

- الرجل الجامع لصفات الخير [2]، الذي لا نظير له [3]: كما في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120].
- الحين والزمان [4]: كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ [هود: 8].

الفرع الثالث: تعريف وحدة الأمة مركبا.

تعددت تعاريف الباحثين لوحدة الأمة المسلمة، ويمكن تلخيصها في محورين رئيسين:

1. الوحدة الشعورية أو المعنوية: وهي التي تقوم على أساس الإيمان بالله تعالى والارتباط العقدي المشترك بين المسلمين، فيجتمعون على الأصول الكلية للدين، وتتوحد مشاعرهم وتطلعاتهم نحو غاية واحدة [5]، وهذا المعنى يمثل البُعد الداخلي لوحدة الأمة، والذي يتجاوز حدود الجغرافيا والانتماء العرقي والمذهبي، ويمكن أن نقول إنها هي: الاندماج والتوحد على أساس الإسلام الذي يربط عقديا بين الذين يؤمنون برسالته [6].

فالتعاريف التي تندرج تحت هذا النوع تبرز الوحدة الشعورية والارتباط بمفهوم الإيمان بالله تعالى والذي يتوافق مع المعنى اللغوي لمفهوم الأمة الاسلامية، وهو الذي يستوعب جميع المسلمين في كل مكان وزمان وهو معنى من معاني وحدة الأمة ليكون هو الأساس الذي يجمع

---

(1) ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور, *التحرير والتنوير* (تونس: الدار التونسية للنشر, ١٩٨٤), ٤٨/٤.

(2) القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*, ١٩٧/١٠.

(3) الأزهري، *تهذيب اللغة*, ٤٥٥/١٥.

(4) القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*, ١٢٧/٢.

(5) ينظر: أنوار زهير نوري, "مجلة كلية التربية للبنات", *وحدة الأمة الإسلامية في القرآن الكريم دراسة موضوعية* ٢/٢٤ (٢٠١٣), ٤٠٦.

(6) أحمد منصور أبو عودة، *وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية دراسة موضوعية* (غزة: الجامعة الإسلامية-غزة، ماجستير, ٢٠٠٩) , ١٧.

المسلمين، كما أن الوحدة الشعورية تتجلّى أيضًا في النظرة الخارجية التي يُنظر بها إلى الأمة الإسلامية؛ إذ إنّ من ينظر إلى المسلمين من خارج دائرتهم، لا يفرّق غالبًا بين طوائفهم ومذاهبهم، بل يراهم كيانًا واحدًا منسوبًا إلى الإسلام، وهذا في حد ذاته يؤكد وحدة الانتماء والهوية، رغم ما قد يوجد بينهم من تمايزات مذهبية أو فكرية.

2. الوحدة المؤسَّسية: وهي اتحاد الدول أو الأفراد والجماعات المسلمة، أو المنتسبة الى الاسلام في تدبير شؤونهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ضمن نظام واحد، كما يتجلى في مفاهيم مثل الخلافة، أو الوحدة الإقليمية، أو التحالفات الاستراتيجية، وبموجب هذه الوحدة يصبح الجميع كيانا واحدا في تصرفاتهم والدفاع عنها [1].

وهذا التعريف، وإن كان يتناول جوانب مهمة من الوحدة كالبعد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والمعرفي والثقافي، ويتصور الأمة المسلمة ككيان موحّد من خلال وحدة الأقاليم (اللامركزية)، أو وحدة الخلافة (المركزية) إلا أنه لا يُعد تعريفًا جامعًا مانعًا؛ إذ يغلب عليه التركيز على الوحدة السياسية من حيث وحدة الدولة، دون أن يُبرز البعد الشعوري والإيماني الذي يُعدّ الأساس الحقيقي لوحدة الأمة. كما أن حصر مفهوم الوحدة في الإطار الجغرافي أو الإداري يغفل جوهر الانتماء العقدي الذي يُوحّد المسلمين على اختلاف أمصارهم ومذاهبهم.

وخلاصة ما سبق من تعاريف أن وحدة الأمة المسلمة تقوم على ثلاثة أركان مترابطة:

- الوحدة الشعورية المبنية على الإيمان بالله تعالى والانتماء العقدي الجامع.
- الوحدة السياسية والمؤسسية القائمة على التحالف والتعاون بين الدول المسلمة.
- الوحدة الجغرافية والتنظيمية من خلال نظام الخلافة أو وحدة الأقاليم.

---

(1) ينظر: أحمد عمر هاشم, "وحدة الأمة الإسلامية", مفهوم الوحدة الإسلامية (ملتقى العلماء الأول, مكة المكرمة, ٢٠٠٦), ٤.

ومن خلال هذا التصوّر، يمكن تعريف وحدة الأمة الإسلامية بأنها :اجتماع المسلمين في مشاعرهم وتطلعاتهم وأهدافهم ضمن كيانٍ يقوم على أساس الدين، والمصير المشترك، بما يحقق التكافل، والتكامل في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

الفرع الرابع: أنواع الوحدة

يُعَدّ ضبط أنواع الوحدة من أهم المسائل التي ينبغي للباحث في هذا الباب أن يتنبه لها؛ إذ إن كثيرًا من الاضطراب في دعوات الوحدة المعاصرة إنما منشؤه الخلط بين هذه الأنواع وعدم التفريق بينها. ومن خلال ما تقدّم من التعريفات وسياق استعمالات مصطلح الوحدة في كتب التراث والدراسات المعاصرة يمكن تقسيم الوحدة إلى الأنواع الآتية:

النوع الأول: الوحدة العقدية

الأصل أن الإيمان الذي جاء به الأنبياء إيمانٌ واحد في جوهره وأوصافه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]. وما وقع من خلافٍ بين بعض المسلمين في زمن الوحي إنما كان خطأ في فهم دقيقٍ لبعض المسائل، وقد بادر النبي صلى الله عليه وسلم إلى تصحيح ما وقع لهم من خطأ في الإدراك، كما في قصة ذات أنواط حين طلب بعض الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم شجرة يعلقون عليها أسلحتهم كما يفعل المشركون، فشبّه النبي ذلك بقول قوم موسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: 138]، ولم يُكَفِّرهم، وإنما بيّن خطأهم ووجّههم.

ومع ذلك، لا ينبغي أن يؤدي الاختلاف في دقائق مسائل العقيدة إلى تكفيرٍ أو اقتتال، ما دام الخلاف في دائرة الاجتهاد السائغ أو في مسائل لا يَثْبُت فيها الجزم. فالوحدة العقدية مطلوبة في الجملة، وما لم يُدرَك منها كلّه لا يُترك أصلها، وهذا أصل مقرر في أصول الفقه.

النوع الثاني: الوحدة الفقهية

تحقيق وحدةٍ كاملة في الفقه أمرٌ غير ممكن، لأن اختلاف الفقهاء ظاهرة ملازمة للنصوص وطرق فهمها. بل وقع الاختلاف بين الصحابة أنفسهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، كما في فهمهم

لأمره: «لا يُصَلِّيَنَّ أحدُكم إلّا في بني قريظة»، فأدّى اختلافهم في دلالة الأمر إلى عملين مختلفين، وأقرّ النبي كلا الفريقين.

فمن كان اختلافه مبنيًا على دلالة صحيحة للفظ، أو ترجيح حديثٍ صحّ عنده وضعُف عند غيره، أو اجتهاد معتبر؛ فلا ينبغي أن يكون هذا سببًا للتنافر. وهنا يكون الخلاف رحمة إذا بقي في إطاره الشرعي، ولا يصح تحويله إلى نزاع أو عذاب. فالأمة واحدة وإن اختلفت مذاهبها الفقهية، ويجب الحفاظ على هذه الوحدة وعدم جعل الخلاف الفقهي مبررًا للتفرق أو الخصومة.

النوع الثالث: الوحدة الثقافية

لا يُطلَب شرعًا ولا عقلًا توحيد الثقافات والأعراف بين المسلمين؛ إذ الأصل فيها الإباحة ما لم تخالف نصًا أو أصلًا قطعيًّا من أصول الدين. وتنوع الأعراف والثقافات بين المجتمعات الإسلامية من سنن الله في خلقه، ولا يتعارض مع وحدة الأمة.

النوع الرابع: الوحدة اللغوية

لا يُطلَب توحيد لغات المسلمين، وإن كان تعلم العربية فرض كفاية على الأمة؛ لأنها لغة النص الشرعي، ووعاؤه، وحفظها من أعظم وسائل الحفاظ على الدين. أما وحدة اللغة بين جميع المسلمين فغير لازمة ولا ممكنة.

النوع الخامس: الوحدة الشعورية

وهي ما سبق بيانه في التعريفات، وتشمل الأخوة الإيمانية والتراحم والتعاطف، مما ورد الحثّ عليه في القرآن والسنة. وهذا النوع من الوحدة مطلوب على كل حال، لأنه يمثل الجانب الوجداني الذي يجمع الأمة ويجعلها كالجسد الواحد.

النوع السادس: الوحدة السياسية

وتتحقق في إطار ما ورد من وجوب السمع والطاعة لأولي الأمر، والاجتماع على السلطة المشروعة ما أمكن. وقد استغلّ الغرب هذا الباب لإضعاف المسلمين، ونجح في تفريق كثير من البلدان الإسلامية وضرب وحدتها السياسية، ولم يبق من الوعي بهذه الوحدة إلا القليل، إن لم نقل النادر.

ويرى الباحث أن مقصد الشرع في باب الوحدة إنما يتجه إلى توحيد المسلمين على الإيمان الصادق بالنصوص، والتسليم لها، وتحقيق الوحدة في العقيدة إجمالًا، وفي المشاعر والأخوة، وفي الموقف العام تجاه أعداء الدين. أما الوحدة في تفاصيل الفهم، فليست ممكنة ولا مطلوبة أصلًا؛ إذ لم تقع حتى في زمن النبوة، لا في الفقه، ولا في الثقافة، ولا في اللغة. وقد أقرّ النبي صلى الله عليه وسلم اختلاف الصحابة في فهم أوامره، وصوّب أخطاءهم العقدية دون أن يُكفّرهم، مع ظهور بعض الاختلاف في دقائق الاعتقاد بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بين كبار الصحابة.

لذا فإن ما سنقرره في الأبواب القادمة إنما هو محاولة لجمع المسلمين على التسليم للوحي ـ قرآنًا وسنة ـ وتوحيد مشاعرهم تجاه بعض، ومنع التباغض والعداء الداخلي، والسعي إلى تقريب وحدتهم السياسية في مواجهة أعداء الإسلام.

1.2.2. مفاهيم لها علاقة بوحدة الأمة

يتناول هذا المبحث مجموعة من المفاهيم المرتبطة بوحدة الأمة الإسلامية، لما لها من أثر مباشر في فهم طبيعة الوحدة، وإبراز أبعادها الشرعية والفكرية، كما يسعى إلى توضيح العناصر التي من شأنها أن تعزز تماسك الأمة أو تؤثر في روابطها، ومن خلال عرض هذه المفاهيم يتضح مدى الترابط.

1.2.2.1. الاعتصام

الاعتصام في اللغة: الاستمساك، والامتناع [1]، واعتصم بالله أي امتنع بلطفه من المعصية، واعتصم بكذا واستعصم به إذا تقوي به وامتنع، وفي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: 32]، أي: أي تأبى عليها ولم يجبها إلى ما طلبت [2].

ولا يختلف تعريفه الاصطلاحي كثيرا عن تعريفه اللغوي فاصطلاحا: الاعتصام بالله هو الثقة بالله [3]، وهو التوكل على الله [4]، والاحتماء به، والامتناع به، والالتجاء إليه وحده والاستعانة به، والثقة فيه، والتمسك بدينه وطاعته [5].

وهو من المفاهيم التي يرتكز عليها بناء وحدة الأمة، وهو على نوعين:

الاعتصام بالله، والاعتصام بحبل الله، وكلاهما يمثلان أساس النجاة والثبات على الدين. قال ابن القيم: " ومدار السعادة الدنيوية والأخروية على الاعتصام بالله، والاعتصام بحبله، ولا نجاة إلا لمن تمسك بهاتين العصمتين" [6]، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[آل عمران: 101]، وقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحج: 78] قال ابن كثير: أي: "اعتضدوا بالله

---

(1) ينظر: ابن منظور, *لسان العرب*, ٤٠٤/١٢.

(2) ينظر: ابن منظور, *لسان العرب*, ٤٠٤/١٢-٤٠٥. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي زين الدين الرازي, *مختار الصحاح*, تحقيق يوسف الشيخ محمد (بيروت-صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية, ١٩٩٩), ٢١١.

(3) مركز الدراسات والمعلومات القرآنية, *موسوعة التفسير المأثور*, تحقيق مساعد بن سليمان الطيار - نوح بن يحيى الشهري (بيروت: دار ابن حزم, ٢٠١٧), ٢٠٤/٧.

(4) ينظر: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, تحقيق محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية, ١٩٩٨), ٧٤/٢.

(5) ينظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية, *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*, تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي (بيروت: دار الكتاب العربي, ١٩٩٦), ٤٦٠/١.

(6) ابن القيم الجوزية، *مدارج السالكين*, ٤٥٨/١.

واستعينوا به وتوكلوا عليه وتأيدوا به"[1]، وقال الشوكاني: قوله تعالى -واعتصموا بالله- أي اجعلوه عصمة لكم مما تحذرون والتجؤوا إليه في جميع أموركم دقيقها وجليلها[2].

وقد ورد الاعتصام بحبل الله في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، وقد تنوعت تفسيرات العلماء لمعنى "حبل الله" في هذه الآية، فقال ابن عباس رضي الله عنه: بدين الله عز وجل[3]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: بالجماعة، وقال مجاهد وَعطاء: بعهد اللَّه[4]، وقال مقاتل: بأمر الله وطاعته[5]، وقيل بالقران[6].

ويُعد تفسير ابن مسعود لمعنى الاعتصام بكونه الارتباط بجماعة المسلمين هو الأقرب لمقصد هذه الدراسة، لما فيه من تركيز على البعد الجماعي للوحدة، ولارتباطه المباشر بتحقيق الاجتماع والائتلاف ونبذ الفرقة بين المسلمين، وهو المقصود الأساسي في هذه الأطروحة.

1.2.2.2. العقيدة الإسلامية

تدور مادة عَقَدَ في أصلها اللغوي حول معاني الشدة والربط والتأكيد، وهي دلالات تحمل معاني الثبات والقوة.

ويُستفاد من كتب اللغة أن للعقيدة دلالات لغوية متعددة، من أبرزها:

---

(1) ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*, ٤٠٠/٥.

(2) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، *فتح القدير* (دمشق- بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب, ١٤١٤هـ) , ٥٧٧/٣.

(3) محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع, ١٩٩٧) , ٧٨/٢.

(4) البغوي, *تفسير البغوي*, ٢/ ٧٨.

(5) ينظر: أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري ابن المنذر, *كتاب تفسير القرآن*, تحقيق سعد بن محمد السعد (المدينة المنورة: دار المآثر, ٢٠٠٢), ٣١٩/١.

(6) ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, ٧٦/٢.

- الشدة والصلابة: ومن معاني الشدة القوة، قال ابن منظور: "وجَمَلٌ عَقِد: قوي" [1]، وقال ابن فارس: "واعتقد الشيءُ: صلبَ" [2].

- التأكيد والإبرام: ومنه عقد اليمين كما في قوله تعالى: ﴿ولَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾ [المائدة: 89]، وعقدة النكاح وكل شيء: وجوبه وإبرامه[3]، وقال ابن منظور: "والعقد: العهد والجمع عقود وهي أوكد العهود ويقال: عهدت إلى فلان في كذا وكذا، وتأويله ألزمته ذلك، فإذا قلت: عاقدته أو عقدت عليه فتأويله أنك ألزمته ذلك باستيثاق، ...وتعاقد القوم تعاهدوا" [4]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1] أي العهود المبرمة [5].

- الربط والشدّ: وهو نقيض الحلّ، كما في قوله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: 27] أي فكّ شدّته، وحل عقدته [6]، قال ابن منظور: " العَقد: نقيض الحل" [7]، وقال ابن فارس: "عقدت الحبل أعقده عقدا، وقد انعقد، وتلك هي العقدة" وهو الجمع والربط بين أطراف الشيء، قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: 4]، واعتقد الشيء: اشتدّ كما مرّ.

- التصديق والتصميم والثبات [8]: يُقال اعتقد كذا بقلبه أي آمن به وثبّته في نفسه، قال الرازي: "واعتقد كذا بقلبه، وليس له (معقود) أي عقد رأي" [9].

أما العقيدة اصطلاحا:

---

(1) ابن منظور, *لسان العرب*, ٣٦٧/٣.
(2) ابن فارس, *مقاييس اللغة*, ٨٦/٤-٨٧.
(3) ابن فارس، *مقاييس اللغة*, ٨٦/٤.
(4) ابن منظور, *لسان العرب*, ٢٩٧/٣.
(5) ينظر: ابن منظور, *لسان العرب*, ٢٩٧/٣.
(6) ينظر: ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, ٢٤٩/٥.
(7) ابن منظور، *لسان العرب*, ٢٩٦/٣.
(8) الزبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس*, ٣٩٤/٨.
(9) الرازي، *مختار الصحاح*, ٤٤٥.

وردت تعريفات عديدة لعلم العقيدة في الاصطلاح عند العلماء، تُبيّن حدوده وموضوعاته وغاياته، ومن تلك التعريفات:

قال الجرجاني: "العقائد ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل" [1]، وقال المناوي: الاعتقاد هو عقد القلب على الشيء وإثباته في نفسه [2]، وقيل: ارتباط القلب ما انطوى عليه ولازمه [3].

وعرف الإيجي علم العقيدة بأنه: "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج، ودفع الشبه والمراد بالعقائد ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد ﷺ" [4].

وقال ابن خلدون عن تعريف علم العقيدة أو علم الكلام: "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد" [5].

ومن مجموع هذه التعريفات يظهر أن العقيدة في الاصطلاح هي ما يعقد الإنسان عليه قلبه عقدًا جازمًا، ويطمئن إليه، سواء كان ذلك حقًا أو باطلًا. الا أن العقيدة في الاصطلاح الشرعي، والذي نقصدها في هذا البحث، هي العقيدة الإسلامية الصحيحة، وهي ما جاء به النبي ﷺ، وسار عليه

---

(1) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، *كتاب التعريفات*، تحقيق ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر (بيروت: دار الكتب العلمية, ١٩٨٣) , ١٥٢.

(2) المناوي، *التوقيف على مهمات التعاريف*, ٧٥.

(3) محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، *معجم لغة الفقهاء* (بيروت: دار النفائس, ١٩٨٨) , ٧٥.

(4) عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي - سيد شريف، *المواقف وشرحها* (قم: الشريف الرضي, ١٩٤٧) , ٣٤/١.

(5) عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*، تحقيق خليل شحادة (بيروت: دار الفكر, ١٩٨١) , ٥٨٠/١.

السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم بإحسان، وتُعرف كذلك باسم عقيدة أهل السنة والجماعة[1].

1.2.2.3. الفرق والمذاهب

أولا: الفُرقة والفِرقة:[2]

تُطلق "الفِرقة" في اللغة على الطائفة من الناس، وجمعها "فِرَق"، وهي جماعة تجتمع على رأي أو منهج معين. وقد ذكر ابن منظور في "لسان العرب": "مصدر الافتراق ... وفارق الشيء مفارقة وفراقاً: باينه، والاسم الفرقة وتفارق القوم: فارق بعضهم بعضاً، وفارق فلان امرأته مفارقة باينها، والفرق والفرقة والفريق الطائفة من الشيء المتفرق والفرقة طائفة من الناس، والفريق أكثر منه"[3].

والفُرقة: مصدر الافتراق، قال الأزهري: "الفُرقة اسم يوضع موضع المصدر الحقيقي من الافتراق"[4]. وجاء في حديث ابن مسعود: "صليت مع النبي ﷺ بمنى ركعتين، ومع أبي بكر وعمر ثم تفرقت بكم الطرق"[5]، بمعنى ذهب كل منكم إلى مذهب، ومال إلى قول وتركتم السنة[6].

---

(1) عبد الله بن عبد الحميد الأثري، *الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة* (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد, ١٤٢٢هـ) , ١١-١٤.

(2) نخبة من العلماء، *موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة* (مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية, ٢٠١٣) , ٤٩٨.

(3) ابن منظور، *لسان العرب*, ٣٠١/١٠.

(4) الأزهري, *تهذيب اللغة*, ٩٨/٩.

(5) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ١٦٥٧، ٢٠٨/٤.

(6) ابن منظور، *لسان العرب*, ٣٠٠/١٠.

وفي حديث الزكاة: "لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة" [1]. والتفرُّق والافتراق سواء، ومنهم من يجعل التفرق للأبدان والافتراق في الكلام، يقال: فرَقْت بين الكلامين فافترقا وفرَّقت بين الرجلين فتفرقا [2].

فتبين مما ذكر أن الفُرقة -بضم الفاء وسكون الراء- تدل على الافتراق والفصل، ومن معانيها: الفرقة بين الزوجين، وقد تكون طلاقًا وقد لا تكون. أما الفِرقة -بكسر الفاء- فهي الجماعة المتميزة من الناس، وبناء على ذلك، فإن معنى الفِرقة لغةً: جماعة من الناس تتميز بوصف خاص، كاعتقاد أو رأي أو اتجاه معين دينيا كان أو غيره، يفصلها عن غيرها من الجماعات [3].

أما الفِرقة في الاصطلاح الشرعي، فقد عُرّفت بأنها: "كل طائفة من الناس دعيت إلى معتقد معين، بحيث عرفت به وتميزت عن غيرها" [4].

وهذا التعريف يُشير إلى أن مصطلح "الفرقة" غالبًا ما يُستعمل في مسائل أصول العقيدة، لا في الفروع الفقهية، ولهذا يُقال: "فرقة الخوارج"، "فرقة المعتزلة"، لأن الخلاف معهم كان في قضايا التوحيد والإيمان والقدر ونحوها من مسائل الاعتقاد.

وبالمقابل، فإن مصطلح "المذهب" يُطلق على المذاهب، والمدارس الفقهية، كالحنفية والشافعية، التي تختلف في بعض الفروع دون الأصول، ولذلك لا يُطلق عليها "فرق" في الاصطلاح، بل "مذاهب"، كما هو متعارف عليه في كتب الفقه وأصوله.

وهذا ما أشار إليه القنيبي بأن الفِرقة الدينية: هي الجماعة المتميزة بشيء من قائدها عمن تشترك معه بنفس الدين تمييزا يخرجها أو لا يخرجها إلى الكفر، ومنه فرقة الشيعة، وفرقة الخوارج، فإن كان الافتراق والتميز في غير العقائد فهو المذهب ومنه الحنفية ومذهب الشافعية". [1]

---

(1) البخاري، *صحيح البخاري*، رقم الحديث: ١٤٥٠، ٤٨٣/٣.

(2) ابن منظور, *لسان العرب*, ٣٠٠/١٠. الزبيدي, *تاج العروس من جواهر القاموس*, ٢٩٧/٢٦.

(3) ينظر: ابن منظور, *لسان العرب*, ٢٩٩/١٠-٣٠٠.

(4) د. مجيد الخليفة، *مفهوم الفرقة عند العلماء المسلمين* (بغداد: د. ن, ٢٠١٤) , ١٠.

وذكر الشاطبي في الاعتصام أن: " كل مسألة حدثت في الإسلام واختلف الناس فيها، ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة؛ علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة حدثت وطرأت فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابر والقطيعة علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء، وأنها التي عنى رسول الله ﷺ بتفسير قوله تعالى [2]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 159]، وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:103]؛ وقوله ﷺ «افْتَرقت اليهود على إحدى وسبعين فِرقة... الحديث» [3].

ثانيا: المذاهب:

ومفردها "المذهب"، وهي على وزن (مَفْعَل) من الفعل "ذهب"، ويُراد بها الجهة أو الطريق الذي يُذهب إليه. فالذَّهاب في اللغة يعني: السير أو المرور، ويقال: ذهب فلان مذهب فلان، أي: سلك طريقه أو تبنّى رأيه.

وقال أهل اللغة: "المذهب" يُستعمل بمعنى الاعتقاد أو الرأي أو المنهج، ومنه قولهم: "فلان يذهب إلى قول الشافعي"، أي: يتبع مذهبه في الفقه. ويُقال أيضًا: ذهب فلان مذهبًا في الدين، أي رأى فيه رأيًا واتخذه منهجًا [4].

أما في الاصطلاح، فقد عرّف العلماء "المذهب" بأنه: عبارة عن "الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية وأسبابها وشروطها وموانعها والحجج المثبتة لها" [1].

---

(1) انظر: قلعجي - قنيبي, *معجم لغة الفقهاء*, ٣٤٤.

(2) ينظر: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي, *الاعتصام*, تحقيق سليم بن عيد الهلالي (السعودية: دار ابن عفان, ١٩٩٢), ٧٣٤/٢.

(3) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، *سنن ابن ماجه*, تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (د. م: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، د. ت) , رقم الحديث: ٣٩٩٢، ١٣٢٢/٢.

(4) ينظر: ابن منظور, *لسان العرب*, ٣٩٣/١. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي, *القاموس المحيط*, تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة (بيروت: مؤسسة الرسالة, ٢٠٠٥), ٨٦. أحمد بن محمد بن علي ، أبو العباس الفيومي, *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير* (بيروت: المكتبة العلمية, د. ت), ٢١٠/١.

وعرفه آخرون بأنه: "ما اختصّ به المجتهد من الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية المستفادة من الأدلة الظّنية"[2].

وهذا المعنى يُظهر أن المذهب يختص غالبًا بالمجال الفقهي، ويقوم على الاجتهاد في استنباط الأحكام من الكتاب والسنة، بناءً على قواعد الأصول والاستدلال، وقد يجوز إطلاقه على الاختلافات الأصولية أيضا فيكون بين المصطلحين عموم وخصوص من هذه الجهة.

ولذلك، فإن الخلاف بين المذاهب الفقهية كالحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، هو خلاف في الفروع، لا في الأصول العقدية، ولهذا لا يُطلق عليهم لفظ "فرقة"، بل يُطلق عليهم "مذاهب"، ويُعدّ اختلافهم من باب التنوع المشروع.

1.2.3. وحدة الأمة بين التكليف الشرعي والحاجة الإنسانية

يتناول هذا المبحث بيان منزلة الوحدة في الإسلام، من خلال التأسيس الشرعي لها في الكتاب والسنة، وما في ذلك من دلالات تؤكد أنها فريضة واجبة وليست مجرد دعوة أخلاقية، ثم يُلحق بذلك بيان الحاجة الفطرية والإنسانية للوحدة، باعتبارها ضرورة عقلية وسُنّة كونية لا يستقيم حال الإنسان بدونها، ولا تنهض أمة من الأمم من غيرها، وبهذا يتكامل البعد العقدي والفطري في بيان عظمة هذا المبدأ، وضرورة التمسك به.

1.2.3.1. وحدة الأمة تكليف شرعي ومبدأ عقدي أصيل

إن من المعلوم بالضرورة أن وحدة الأمة الإسلامية من الواجبات الشرعية، وضرورة لا غنى عنها لتحقيق المقاصد الكلية العظمى لهذا الدين الحنيف؛ إذ جاء الإسلام لتوحيد الخلق على عبادة الله، وجمع الكلمة، وتأليف القلوب، ونبذ سبل الفرقة والنزاع. وقد أمر الله تعالى في كتابه العزيز بالاعتصام بحبله المتين، فقال سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103].

---

(1) ينظر: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس المصري المالكي القرافي, *الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام*, تحقيق عبد الفتاح أبو غدة (بيروت: دار البشائر الإسلامية, ١٩٩٥), ١٩٢.

(2) أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحموي, *غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر* (بيروت: دار الكتب العلمية, ١٩٨٥), ٣٠/١.

وبما أن المسلمين يجتمعون على رب واحد، ودين واحد، ونبي واحد، ويتوجهون إلى قبلة واحدة؛ فإن هذه المعاني الإيمانية الجامعة لا بد أن توصلهم إلى إدراك أن هدفهم واحد، ومصيرهم مشترك. ومن ثم، فإن انتسابهم إلى هذا الدين الواحد يقتضي منهم نبذ كل ما يؤدي إلى الاختلاف والتنازع فيما بينهم، فكل ما يُفضي إلى تمزيق الصف الإسلامي والإضرار بوحدة المسلمين، فإن سببه -في الغالب- إما خلل في التدين بما أن الدين أمر بالوحدة كما مر، وإما تقديم للمصلحة الدنيوية على المصلحة الشرعية، وفي كلا الحالين فإن الأمر يقتضي السعي الجاد إلى تحقيق الوحدة، لا لأنها فقط مصلحة راجحة، بل لأنها فريضة دينية ومطلب شرعي ملزم.

وقد روي أنه " كان بين سعد بن أبي وقاص وسلمان الفارسي شيء فقال سعد وهم في مجلس: انتسب يا فلان، فانتسب ثم قال للآخر ثم للآخر حتى بلغ سلمان، فقال: انتسب يا سلمان، قال ما أعرف لي أبا في الإسلام، ولكني سلمان بن الإسلام، فنمى ذلك إلى عمر فقال عمر لسعد ولقيه: انتسب يا سعد، فقال: أشهدك الله يا أمير المؤمنين، قال: وكأنه عرف، فأبى أن يدعه حتى انتسب، ثم قال للآخر حتى بلغ سلمان فقال: انتسب يا سلمان فقال : أنعم الله علي بالإسلام، فأنا سلمان ابن الإسلام: قال عمر : قد علمت قريش أن الخطاب كان أعزهم في الجاهلية، وأنا عمر ابن الإسلام، أخو سلمان في الإسلام أما والله لولا، لعاقبتك عقوبة يسمع بها أهل الأمصار، أما علمت - أو ما سمعت - أن رجلا انتمى إلى تسعة آباء في الجاهلية فكان عاشرهم في النار، وانتمى رجل إلى رجل في الإسلام وترك ما فوق ذلك، فكان معه في الجنة" [(1)]، فالوحدة الحقيقية التي دعا إليها الإسلام لا تقوم على العرق أو الأصل أو الوطن، بل على رابطة العقيدة والدين -كما سيأتي تفصيل هذه المباحث-؛ فهذه هي الوحدة التي جعلت العربي والفارسي، القرشي والموالي، يقفون في صف واحد كإخوة متساوين أمام الله، لذا فإن في هذا الموقف دروس عظيمة لأبناء الأمة اليوم، حيث باتت العصبيات المذهبية والعرقية تهدد كيانها؛ فالتوحد على أساس الإسلام، كما يظهر في الرواية

---

(1) أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني عبد الرزاق, *المصنف*، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات (د.م: دار التأصيل, ٢٠١٣), رقم الحديث: ٢٠٩٤٢، ٤٣٨/١١. أبو بكر أحمد بن علي بن حسين البيهقي، *شعب الإيمان* (بيروت: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٠ م) , رقم الحديث: ٥١٣١، ٢٨٦/٤.

وغيرها من الأدلة، هو السبيل لتجاوز الخلافات، وبناء جماعة إيمانية واحدة، يتساوى فيها الناس لا بحسب أصولهم، بل بحسب تقواهم وإيمانهم.

وإن الآية المذكورة: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا﴾ [آل عمران: 103]، من الأدلة الواضحة التي أوجب الله من خلالها على المسلمين وحدة صفهم وأخوتهم، وجعل ذلك تكليفًا شرعيًّا لا يُتسامح في تركه، فرسمت للأمة منهجًا واضحًا في الاعتصام الجماعي، والابتعاد عن كل ما يؤدي إلى الفرقة والنزاع، وبيّنت أن الألفة بين القلوب نعمة إلهية عظيمة، وأنها سبيل النجاة من الهلاك، لذا نبّهت إلى خطورة التفرق الذي كان عليه العرب وغيرهم حيث أرسل القرآن لكافة الناس؛ حيث كانت أسباب العداوة متجذرة في الأعراق والأنساب، والتمييز الطبقي والاجتماعي؛ فكانت الأمة على شفا حفرة من النار، فجاء الإسلام ليقيم بينهم رابطة أقوى من الدم، والأصل، واللون، وهي رابطة العقيدة والإيمان، وتشير الآية كذلك إلى أن من صدق في إيمانه، ورغب في هداية الله، فليعضّ بالنواجذ على حبل الله، وليجتنب كل دعوة تؤدي إلى التمزق والانقسام؛ فإن النعمة لا تكتمل إلا بالاجتماع، والهداية لا تُنال إلا بالاعتصام. قال ابن عاشور: "أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم لأخراهم، وأمرهم بما فيه صلاح حالهم في دنياهم، وذلك بالاجتماع على هذا الدين وعدم التفرق، ليكتسبوا باتحادهم قوة ونماء[1].

وهذا ما فهمه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال: "يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة، هو خير مما تستحسن في الفرقة"[2].

وذكر القرطبي أن ابن عباس قال لسماك الحنفي[1] يا حنفي، الجماعة! الجماعة! فإنما هلكت الأمم الخالية لتفرقها، أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [2]،

---

(1) انظر: ابن عاشور, *التحرير والتنوير*, ٣١/٤.

(2) ينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري, *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*, تحقيق د عبد الله بن عبد المحسن التركي (القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر, 2001), ٦٤٨/٥.

فالاعتصام بحبل الله تعالى بحق لابد أن يحقق المقصود، ويعيد للأمة مكانتها في حاضرها، ويضمن لها عزًّا واستقرارًا في مستقبلها، في الدنيا والآخرة، وإن أمة تجعل كتاب الله إمامه، وسنة نبيه ﷺ قائده، ومرشده، وتهتدي بنورهما في سلوكها وأخلاقها، فإن تلك الأمة جديرة بأن تكون خير الأمم، وأعلاها مقامًا عند الله عز وجل، وأرفعها شأنًا بين الأمم.

وقد دلّت النصوص الشرعية على أن الله تعالى يحب الوحدة وأهلها، المتآلفين المتعاونين، الذين تجمعهم الكلمة الواحدة والصف الواحد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [الأنبياء: 92]. وكذلك من جميل التصوير القرآني المقصود لمعنى الوحدة والتماسك ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: 4]، فقد فسره العلماء بأنهم في قتالهم صفٌ واحد، مصطفّون كأنهم حيطانٌ مشيدة، رُصّت بإتقان وقوة، لا يدخلها خلل، ولا ينفذ فيها ضعف[3]؛ وقيل: أريد به أن نياتهم واحدة، وهدفهم متحد، فصاروا في وحدتهم كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضه بعضًا، ويصعب تفريقه[4].

وقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم أهمية الوحدة في تثبيت أركان الدولة الإسلامية بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فلم يتأخروا في المبادرة إلى الاجتماع والتشاور فيمن يلي أمر الأمة، فقد اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة للتشاور حول تعيين خليفة للمسلمين، ولحق بهم المهاجرون، ولم يتفرق الجمع حتى اتفقت الكلمة على بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان ذلك والنبي ﷺ

---

(1) هو: سماك بن الوليد الحنفي أبو زميل اليمامي سكن الكوفة، روى عن ابن عباس وابن عمر وغيرهم قال أحمد وابن معين والعجلي ثقة، وقال أبو حاتم: صدوق لا بأس به، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات. [ينظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين ابن حجر العسقلاني, *تهذيب التهذيب*, تحقيق إبراهيم الزيبق - عادل مرشد (بيروت: مؤسسة الرسالة, ٢٠١٤ م), ١١٦/٢.]

(2) انظر: القرطبي, *الجامع لأحكام القرآن*, ١٦٤/٤.

(3) ينظر: الطبري, *تفسير الطبري*, ٦١١/٢٢.

(4) ينظر: عبد الله بن احمد النسفي, *تفسير النسفي* (بيروت: دار النفائس, ٢٠٠٥), ٣٧٠/٤. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي, *زاد المسير في علم التفسير*, تحقيق عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار الكتاب العربي, 1422), ٢٥١/٨.

ما يزال على فراش موته، في مشهد يعكس وعي الصحابة بخطورة الفرقة، وضرورة الاجتماع، وأن بقاء الدين لا يستقيم إلا بوحدة الصف [1].

ومن تأكيد النبي ﷺ على هذا الأصل العظيم، قوله: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا... الحديث» [2]، فبين فيه أن من أعظم ما يرضاه الله لعباده بعد التوحيد: الاعتصام الجماعي بحبله، والنهي الصريح عن التفرق، وإن في هذا الحديث تأسيسًا لقواعد الإسلام الجماعية؛ وإن التفسيرات المذكورة في "حبل الله" في الآية والحديث تدل على إنه لا جماعة إلا بمرجعية شرعية، ولا تتحقق الهدف ولا يوصل إليه إلا بقيادة وإمام، لأن في ذلك انتظامًا لأمر الدين والدنيا، ووقاية من التشرذم والاختلاف [3].

ومما يدل كذلك على أهمية لزوم الجماعة في حفظ وحدة الأمة، قول النبي ﷺ: "نَضَّرَ اللهُ امرأً سمع مقالتي فوعاها، وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه... ثلاثٌ لا يَغِلُّ عليهن قلبُ مسلم: إخلاصُ العملِ لله، ومناصحةُ أئمةِ المسلمين، ولزومُ جماعتِهم، فإنَّ الدعوةَ تحيط من

---

(1) ينظر: حسين بن محمد علي جابر, *الطريق إلى جماعة المسلمين* (المنصورة- مصر: دار الوفاء, ١٩٨٧), ١٠٥.

(2) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٧١٥، ٣/ ١٣٤١.

(3) ينظر: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي, *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج* (بيروت: دار إحياء التراث العربي, ١٣٩٢ هـ), ١٠/١٢. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ابن عبد البر, *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد*, تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي - محمد عبد الكبير البكري (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية, ١٣٨٧ هـ), ٢٧٢/٢١. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي ابن عبد البر, *الاستذكار*, تحقيق سالم محمد عطا - محمد علي معوض (بيروت: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٠ م), ٥٧٧/٨. جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي, *تنوير الحوالك شرح موطأ مالك* (مصر: المكتبة التجارية الكبرى, ١٩٦٩ م), ٢٥٥/٢. زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري المناوي, *فيض القدير شرح الجامع الصغير* (مصر: المكتبة التجارية الكبرى, ١٣٥٦ هـ), ٣/٧.

ورائهم"[1]، فقد جمع فيه بين إخلاص العمل لله، وهو أساس العلاقة بين العبد وربه، ومناصحة أولي الأمر، وهو أساس صلاح القيادة، ثم لزوم الجماعة، وهو ما تُبنى عليه وحدة الأمة، ويُدرأ به خطر التشرذم والفرقة، فجمع فيه أصول الوحدة والقوة المادية والمعنوية. قال ابن عبد البر: ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن فمعناه لا يكون القلب عليهن ومعهن غليلا أبدا، لا يقوى فيه مرض ولا نفاق، إذا أخلص العمل الله ولزم الجماعة وناصح أولي الأمر، وأما قوله فإن دعوتهم تحيط من ورائهم فمعناه عند أهل العلم، أن أهل الجماعة في بلد من بلاد المسلمين، إذا مات إمامهم ولم يكن لهم إمام فأقام أهل ذلك البلد إماما لأنفسهم، اجتمعوا عليه ورضوه، فإن كل من خلفهم وأمامهم من المسلمين في الآفاق، يلزمهم الدخول في طاعة ذلك الإمام، إذا لم يكن معلنا بالفسق والفساد معروفا بذلك، لأنها دعوة محيطة بهم، يجب إجابتها ولا يسع أحدا التخلف عنها، لما في إقامة إمامين من اختلاف الكلمة وفساد ذات البين[2]. وقال ابن تيمية معلقا على هذا الحديث، وأمثاله: " فقد جمعت هذه الأحاديث بين الخصال الثلاث :إخلاص العمل الله، ومناصحة أولى الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده، وتجمع الحقوق التي الله ولعباده، وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة، وأما الحقوق العامة، فالناس نوعان رعاة ورعية، فحقوق الرعاة مناصحتهم، وحقوق الرعية لزوم جماعتهم، فإن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم، وهم لا يجتمعون على ضلالة، بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعا، فهذه الخصال تجمع أصول الدين"[3].

وقال النبي ﷺ: «أيها الناس، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة! أيها الناس، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة» [4]، و"عليكم بالجماعة" في هذه الآثار والأحاديث أي: أركان الدين والسواد الأعظم من أهل السنة، أي الزموا هديهم فيجب اتباع ما هم عليه من العقائد والقواعد وأحكام الدين، وقيل: وإن

---

(1) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي, *سنن الترمذي*, تحقيق أحمد محمد شاكر - محمد فؤاد عبد الباقي (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي, ١٩٧٥), رقم الحديث: ٢٦٥٨، ٣٤/٥. ابن ماجه, *سنن ابن ماجه*, رقم الحديث: ٢٣٠، ٨٤/١.

(2) ابن عبد البر, *التمهيد*, ٢٧٧/٢١.

(3) ابن تيمية, *مجموع الفتاوى*, ١٨/١.

(4) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أحمد بن حنبل, *مسند الإمام أحمد بن حنبل*, تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة, ٢٠٠١ م), رقم الحديث: ٢٣١٤٥، ٢٢٠/٣٨.

كان الإمام في غيرهم وعلم منه أن الأمة إذا أجمعت على شيء لم يجز خلافها وإياكم والفرقة أي احذروا الانفصال عنها ومفارقتهم ما أمكن، وقوله فليلزم الجماعة فإن من شذ انفرد بمذهب عن مذاهب الأمة فقد خرج عن الحق؛ لأن الحق لا يخرج عن جماعتها [1].

ورُوي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "عليكم بالجماعة، فإن الله لن يجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة، حتى يستريح بَرٌّ أو يُستراح من فاجر"[2]، وفيه أن لزوم الجماعة صمام أمان للأمة من الضلال، وأن الاجتماع على الحق سنة ماضية، ما دام الأصل محفوظًا، والمرجعية للكتاب والسنة باقية.

ولا يزال أهل العلم يحذرون من خطورة الخروج على جماعة المسلمين، لما في ذلك من التفرق والفساد، والفتنة والاضطراب، وذهاب الريح ومما يدل على هذا ما قاله الحافظ ابن حجر: "قد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب، والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما في ذلك من حقن الدماء"[3].

وينبغي التنبيه في هذا الباب إلى أنه لا تعارض بين الأحاديث والآثار التي تأمر بلزوم الجماعة وعدم التفرق، وبين ما ورد في بعض النصوص من استحباب العزلة والانفراد؛ إذ لكل منها مقامه وموضعه. جاء في فيض القدير: "ولا تناقض بين هذا وبين الأخبار الآمرة بالعزلة، حيث لا تجتمع الأمة على ضلالة، فخرق الإجماع والحكم بالعزلة؛ لأن قوله: «عليكم بالجماعة» يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: أنه يعني به في الدين والحكم، حيث لا تجتمع الأمة على ضلالة، فخرق الإجماع والحكم بخلاف ما عليه جمهور الأمة والشذوذ عنهم ضلال، وليس منه من يعتزل عنهم لصلاح دينه. الثاني: أن المقصود به عدم الانقطاع عن صلاة الجماعة والجمع والجماعات، لما فيها من

---

(1) ينظر: المناوي, *فيض القدير*, ٧٨/٣.

(2) أبو بكر أحمد بن علي بن حسين البيهقي, *شعب الإيمان* (بيروت: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٠ م), رقم الحديث: ٧٥١٧، ٦٧/٦. أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة, *المصنف*, تحقيق سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري (الرياض: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع, ٢٠١٥ م), رقم الحديث: ٤٠٤٠٤، ٣٨٤/٢١.

(3) أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري بشرح البخاري*, تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - محب الدين الخطيب (مصر: المكتبة السلفية, 1380), ٧/١٣.

جمال الإسلام، وقوة الدين، وغيظ الكافرين والمنافقين. الثالث: أن المقصود به في زمن الفتنة، بالنسبة للرجل الضعيف في أمر دينه، فإن العزلة حينئذ تكون أسلم له"[1]، فبهذا التفسير يتضح أن النصوص لا تتعارض، وإنما تتكامل بحسب المقام والحال، وأن الأصل هو لزوم الجماعة، إلا عند الخوف على الدين في أزمنة الفتن الشديدة ينعزل الإنسان عن الجماعة بجسده ومع هذا لا ينعزل بقلبه فيحب لجماعة المسلمين ما يحب لنفسه، وكذلك العكس.

وأيضا ورد عن النبي ﷺ أحاديث ربط فيها بين مفارقة الجماعة وبين الوعيد الشديد، كما في قوله ﷺ: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة" [2]، فأوجب الالتزام بالجماعة، حتى في حال وجود ما لا يوافق هوى المرء، وإرادته ورفهه، ما لم يتضمن معصية لله تعالى، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف، فلا يُتجاوز الطاعة إلا لمعصية ظاهرة لا لبس فيها، وقوله: "من رأى من أميره شيئًا يكرهه، فليصبر عليه، فإن من فارق الجماعة شبرًا فمات، إلا مات ميتة جاهلية" [3]، قال أهل العلم أن المقصود بالمفارقة هنا هو السعي في حلّ عقد البيعة والخروج على الإمام، ولو كان ذلك بأدنى صورة، كـ-شبر-، لما في ذلك من زرع الفتنة وسفك الدماء وتفريق صف الأمة، وأما وصف -ميتة جاهلية- فليس معناه الكفر المخرج عن الملة، بل المقصود أنه يموت على حال تشبه حال أهل الجاهلية في التمرد والفوضى وغياب الطاعة الشرعية، وهذا يدل على عظم جرم المفارقة وخطورة الخروج على الجماعة ولو كان الدافع أمرا دنيويا أو خلافا شخصيا [4].

ومما يؤكد أن وحدة الأمة هي فريضة شرعية، أن الشريعة الإسلامية جاءت بالتشديد على كل من يفارق جماعة المسلمين ويسعى إلى تمزيق وحدتهم حتى في الدنيا، فجعل عقوبة المفارق للجماعة

---

(1) ينظر: المناوي, *فيض القدير*, ٧٨/٣.

(2) متفق عليه: البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٦٧٣٥، ٢٦١٢/٦. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٨٣٩، ١٤٦٩/٣.

(3) متفق عليه: البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٦٦٤٦، ٢٥٨٨/٦. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٨٤٩، ١٤٧٧/٣.

(4) ينظر: ابن حجر العسقلاني, *فتح الباري بشرح البخاري*, ٧/١٣.

القتل على يد الحاكم الشرعي، دفعًا للفتنة وحفاظًا على جماعة المسلمين، فقد قال رسول الله ﷺ: "لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المفارق للجماعة" [1]، وقد بيَّن أهل العلم أن وصف "المفارق للجماعة" مع أن الأصل فيه المفارقة الكلية وهي الارتداد عن الدين إلا أنه لا يقتصر على المرتد فحسب، بل يشمل كل من يخرج على جماعة المسلمين وينقض بيعتهم، ويعمل على تفريق كلمتهم، كأهل البغي وقطاع الطرق ومن شابههم، فإنهم داخلون تحت عموم النص[2]، وقال صاحب عون المعبود: "أي الذي ترك جماعة المسلمين، وخرج من جملتهم، وانفرد عن أمرهم بالردة" [3]، كما أن مفهوم المفارقة يتسع ليشمل كل ساعٍ في نقض وحدة الجماعة وإن لم يصرّح بكفر كما مر.

وفي هذا المعنى قوله ﷺ: «إنه ستكون هنَات[4] وهنَات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنًا من كان» [5]، وفي رواية أخرى: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه»[6]، وقد فسر العلماء ذلك بأن المقصود بالهنات: الفتن والأمور المحدثة، وأن من يثيرها ويشق عصا الطاعة ويضعف الاجتماع، يستحق أن يقاتل، بل إن لم يندفع شره إلا بالقتل، فيجوز قتله، لما في ذلك من حفظ الجماعة وصيانة الدين والدماء [7]. ويدخل في هذا كل من خرج على إمام قد اجتمعت عليه الكلمة، سواء كان الإمام عادلاً أو جائرًا، ما لم يظهر منه كفر بواح، فقد قال العلماء: إن الضرر الواقع على الأمة من التفرق

---

(1) مسلم، *صحيح مسلم*، رقم الحديث: ١٦٧٦، ١٣٠٢/٣.

(2) انظر: ابن حجر العسقلاني, *فتح الباري بشرح البخاري*, ٢٠٢/١٢.

(3) محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، العظيم آبادي, *عون المعبود شرح سنن أبي داود* (بيروت: دار الكتب العلمية, 1415) , ٥/١٢.

(4) أي: شرور وفساد، [مجد الدين أبو السعادات المبارك بن ابن الأثير الجزري, *النهاية في غريب الحديث والأثر*, تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية, 1399), ٦٥١/٥.]

(5) مسلم، *صحيح مسلم*، رقم الحديث: ١٨٥٢، ١٤٧٩/٣.

(6) مسلم، *صحيح مسلم*، رقم الحديث: ١٨٥٢، ١٤٨٠/٣.

(7) ينظر: النووي, *شرح النووي على مسلم*, ٢٤١/١٢.

والخروج أشد من احتمال الجور المؤقت، ولهذا اتفق الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، واعتبروا طاعته خيرًا من الخروج عليه لما فيه من حقن الدماء وحفظ الجماعة [1].

وينبه هنا أنه لا يفهم من هذه النصوص أنها دعوة إلى ترك الأمر بالمعروف أو السكوت عن الظلم، بل إنها تنبه إلى أهمية الموازنة بين الإنكار الشرعي والحفاظ على وحدة الأمة، فلا يُتصور أن الدين يأمر بالخروج والتمرد لمجرد هوى أو موقف سياسي، إنما تكون النصيحة بالحكمة واللين، كما ورد في حديث تميم الداري عن النبي ﷺ أنه قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» [2]، وقد مرت أن الطاعة إنما تكون في المعروف، كما في حديث علي رضي الله عنه في قصة الرجل الذي أمَّره النبي ﷺ على سرية، فلما أمرهم بدخول النار، امتنعوا وقالوا: "فررنا إلى النبي ﷺ من النار"، فلما بلغ النبي ﷺ قال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا، إنما الطاعة في المعروف» [3]، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ومن هنا يتبين أن الحفاظ على وحدة الأمة لا يكون بالشعارات كما في واقع اليوم مع الأسف، بل بالعمل الصادق والوعي العميق بمكانة الجماعة في الإسلام، وأن السعي إلى تفريق صف المسلمين، أو نزع اليد من الطاعة، أو شق عصا الطاعة، هو مخالفة صريحة للنصوص المحكمة، وتضييع لمصالح الدين والدنيا، فالأمة التي تفقد وحدتها، تفقد قوتها وهيبتها، وتصبح فريسة للأعداء، وأما إذا اجتمعت كلمتها، وأخلصت في وحدتها، فإنها تقترب من نصر الله وتأييده، وتنال بركة التماسك في دينها ودنياها.

1.2.3.2. وحدة الأمة ضرورة اجتماعية ومصلحة إنسانية

إن من لطائف الله تعالى في خلقه أن ربط وجود الأشياء وانتظامها بوحدتها، فكل كيان لا يستقيم ولا يستمر إلا إذا تحقق فيه نوع من الوحدة والتكامل. وهذه سنة إلهية شاملة للكون كله، من أجرام السماء وشموسها وكواكبها، إلى أنظمة الحياة والطبيعة، ثم إلى الإنسان الذي كرمه الله وسخّر له ما

---

(1) ينظر: محمد بن إسماعيل الصنعاني, *سبل السلام* (القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي, 1960), ٢٦١/٣.

(2) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٥٥، ٧٤/١.

(3) البخاري، *صحيح البخاري*، رقم الحديث: ٦٧٢٦، ٢٦١٢/٦. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٨٤٠، ٣/ ١٤٦٩.

في السماوات وما في الأرض جميعاً. فالوحدة في النظام الكوني ثابتة بطبع التكوين، أما الإنسان فقد أوكِل إليه تحقيق وحدته باختياره ومسؤوليته، ولذلك كان التزام المسلمين بوحدتهم ترجمة عملية لإيمانهم بوحدانية الله، كما أن تفرقهم خلل في فهم حقيقة هذا التوحيد.

المقرر أن "الإنسان مدني بالطبع" [1]، أي أنه لا غنى له عن الاجتماع فالوحدة من ضروريات حياة الإنسان الاجتماعية، إذ لا يمكن له أن يستقل بنفسه في قضاء حاجاته أو حماية وجوده، كما أن الله تعالى خلقه على هيئةٍ لا تستقيم إلا بالتعاون مع غيره من بني جنسه، فلا يستطيع الواحد أن ينال كفايته من الغذاء أو الكساء أو الحماية دون أن يشترك مع غيره في بناء مجتمعه، ومن هنا نشأت حاجة الإنسان إلى التكافل والتعاون. فالوحدة ضرورة، ولا سبيل إلى تحقيق المصلحة العامة إلا بها [2]، فالإنسان، رغم خصوصيته الفردية، لا يجد ذاته التي قد تعيش بدون غيره إلا داخل كيانٍ جماعي يحقق له الانتماء والمشاركة والتكامل، ولهذا فإن كل دعوة إلى الانعزال والفرقة تقف في وجه الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والتاريخ خير شاهد أن كل أمة لم تجتمع كلمتها تآكلت من داخلها، فضلا عن محاولة إهلاكها وإلحاق الضرر بها من الخارج، مهما بلغت قوتها أو عظمت حضارتها.

وقد بيّن القرآن الكريم أن أعظم الرسل والأنبياء لم يستغنوا عن المؤازرة والمساندة في تبليغ رسالاتهم، تحقيقا لاجتماعية الإنسان، وتعليما لهم، فهذا موسى عليه السلام يسأل ربَّه أن يشد أزره بأخيه هارون: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي * هَٰرُونَ أَخِي * ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي * وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه:29-32]، فهو يطلب المعين والوزير، لأن الرسالة أثقل من أن يحملها فرد واحد، وإن كان نبياً من أولي العزم [3].

وفي السنة النبوية نجد هذا المعنى متجليًا في قول النبي ﷺ: «ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف، وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه

---

(1) ابن امحمد بن أبي بكر أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية, *زاد المعاد في هدي خير العباد*, تحقيق شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة, 1994) , ٣/ ١٣.

(2) ينظر: ابن خلدون, *تاريخ ابن خلدون*, ١/ ٥٤.

(3) ينظر: الشوكاني، *فتح القدير*, ٥١٩/٣.

عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى» [1]، فالحاجة إلى التناصر والتشاور ليست نقصًا، بل من تمام العقل وحكمة القيادة، ولهذا حث الشرع على الشورى وجعلها من صفات أهل الإيمان، فقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38].

ثم إن التذكير الإلاهي بالوحدة الإنسانية في أصل الخلق، فيها من الدليل العقلي والفطري على ضرورة الوحدة بين الإنسان ككائن اجتماعي مدني الطبع كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ...﴾ [الحجرات: 13]، الآية ظاهرة الدلالة على أن الله يريد للناس عموما أن يعيشوا في تعارف لا تناكر، وفي تعاون لا تنازع، وأن معيار التفاضل ليس في العرق أو اللون، بل في التقوى [2]، كما ورد في الحديث الشريف: «يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد... لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأبيضَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أبيضَ إلا بالتقوى، الناسُ من آدمَ، وآدمُ من تراب» [3]، وإن هذا التقرير والأصل أي تقرير المساواة بين البشر جميعًا في أصل الخلقة من أعظم تقريرات الإسلام، وقدأكد في نصوص كثيرة وأماكن مؤثرة، فكل هذه التمييزات مرفوضة في ميزان الإسلام لا اعتبار لها.

ومما يؤكد ذلك أن النبي ﷺ صنف اعتبار هذا التمييز في التعاملات من صنف أعمال وعادات الجاهلية المردودة في الإسلام وحذَّر أشد التحذير منها، بل عَدَّ من قاتل تحت رايتها خارجًا عن صراط الإسلام، فقال: «من قاتَل تحت رايةٍ عُمِّيَّةٍ، يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقُتل، فقِتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه»[4]

---

(1) البخاري، *صحيح البخاري*, ٦٦٧٣، ٢٦٣٢/٦.

(2) ينظر: أبو بكر أحمد بن علي البيهقي, *أحكام القرآن للشافعي*, تحقيق عبد الغني عبد الخالق (القاهرة: مكتبة الخانجي, 1414), ٢٤/١. ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, ٧/ ٣٦٠. محمد الهلال, *تفسير القرآن الثري الجامع* (دمشق: دار المعراج, ٢٠٢٢ م), ١١/ ٧٨.

(3) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ٢٣٤٨٩، ٣٨/ ٤٧٤.

(4) مسلم، *صحيح مسلم*، رقم الحديث: ١٨٤٨، ١٤٧٦/٣.

ومن المفارقات العجيبة أن كثيرًا من الأمم اليوم -رغم اختلاف أديانها وثقافاتها- قد أدركت أهمية الوحدة وأقامت التكتلات السياسية والاقتصادية لتحقيق مصالحها -كالاتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة، ودول الناتو، وغيرها قديما وحديثا- بينما لا تزال الأمة الإسلامية، رغم امتلاكها لكل أسباب الوحدة ومقوماتها، تعاني من التفرق، وتُستنزف في نزاعاتها الداخلية، فصارت فريسة سهلة للأعداء المتربصين، وكان الأجدر بها أن تتوحد على أساس الإيمان، وتجتمع تحت راية الإسلام، مستلهمة من كتاب ربها وسنة نبيها أسباب العزة والتمكين.

لذا ما جعل الله تعالى من تباين الناس في شعوبهم وقبائلهم، واختلاف تفكيرهم فإنه مع كونه امتحان وفتنة﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود: 118] إلا أنه مدخل عظيم للتعارف والتعاون، ولا ينبغي أن يكون سببا للتفاخر ولا مدعاة للتنازع، وقد ورد التفسير الواقعي لكل ما ذكرنا في حياة النبي ﷺ في حديث جابر بن عبدالله الذي يقول فيه:" كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال: «ما بال دعوى جاهلية». قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: «دعوها فإنها منتنة»" [1]، حتى في هذه الحالات وليكن هذه الأوصاف وفي هذه الأوقات وبحضرة النبي ﷺ قد يتحول دعوى إلى فتنة، لذا يحذر منها النبي أشد الحذر ﷺ.

فبالنظر إلى هذه الأدلة النقلية والعقلية، وواقع الماضي والحاضر نفهم أن الوحدة رغم كونها أمرا دينيا وطلبا إلهيا، إلا إنه يعتبر ضرورة اجتماعية ومصلحة إنسانية.

---

(1) البخاري، *صحيح البخاري*، رقم الحديث: ٤٦٢٢، ١٨٦١/٤. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٥٨٤، ٤/ ١٩٩٨.

2. أسس ومقومات وحدة الأمة الإسلامية من خلال النصوص

2.1.أسس وحدة الأمة الإسلامية

2.1.1. توحيد الله تعالى والاستسلام له

إن التوحيد هو الأساس الأول والركيزة الكبرى التي تقوم عليها وحدة الأمة الإسلامية، فهو القاسم الأعظم الذي تتوحد عليه قلوب المؤمنين، وتنضبط به صفوف الموحدين، وبه تخرج الأمة من ظلمات الشرك والجهل إلى نور الإيمان واليقين، والتوحيد في هذا الدين هو منهج عملي ينعكس أثره في حياة الأفراد وفي بناء الجماعة وتماسكها، فتتحقق به الوحدة الشاملة في الغاية والمقصد، وهو ما يجعل الأمة المسلمة كيانًا متماسكًا متوحدًا، تتجاوز فيه الفوارق الموجودة بين بني الجلدة.

وقد جاءت النصوص القرآنية تؤكد هذا المعنى، وتربط بين وحدة العقيدة ووحدة الأمة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ [الأنعام: 159]،

ثم جاءت بعدها الآيات لتبين أن العاصم من هذه الفرقة هو لزوم صراط الله المستقيم، فقال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:161]، ثم قال سبحانه في الآية التالية: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162-163]، فهذه الآيات تدل على أن الشرك سبب رئيس في الفرقة، وأن ملة إبراهيم الحنيفية القائمة على التوحيد هي السبيل إلى الصراط المستقيم الذي لا يجمع الأمة إلا به، وأن الاجتماع على عبادة الله وحده في حياتنا ومماتنا هو مقتضى الإسلام والاستسلام لله سبحانه.

قال ابن كثير: "يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه، أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له"[1]، فلا حجة لترك التوحيد والأعمال القلبية، ويشهد لذلك ما نقله الطبري عن الربيع بن أنس: أن العلماء العابدين في الزمان الذي فشا فيه الباطل لم يجدوا مخرجا إلا في أمرين: الدعوة إلى الحق -الذي هو التوحيد والاستسلام

---

(1) ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*, ٣٤٣/٣.

لله-، أو العزلة عن أهل الباطل، مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 164]، فقال: "كان في ذلك الزمانِ لا مخرجَ للعلماءِ العابدين إلا إحدى خَلَّتَين، إحداهما أفضلُ مِن صاحبتِها؛ إما أمرٌ ودعاءٌ إلى الحقِّ، أو الاعتزالُ؛ فلا تُشاركُ أهلَ الباطلِ في عملِهم، وتؤدِّي الفرائضَ فيما بينَك وبين ربِّكَ، وتحبُّ للَّهِ، وتُبغِضُ للَّهِ، ولا تشاركُ أحدًا في إثمٍ، وقد أُنزِل في ذلك آيةٌ محكمة: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾، إلى قوله: ﴿فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، وفي ذلك قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: 4]" [1] ، فالأثر المنقول عن الربيع يبرز بوضوح أن التوحيد شرطٌ أساس لاجتماع الأمة، وأنه متى غاب هذا الأصل وقع التفرق والاضطراب، ولم يبق للعبد حينئذ من سبيل إلا العزلة عن أهل الباطل، حفظًا لدينه وسلامة لعقيدته. ومع ذلك، فإن العزلة لا تعني القطيعة المطلقة، بل لا بد أن تبقى رابطة القلب موصولة بالمؤمنين، قائمة على المحبة في الله والبغض في الله، فيوالي في الله ويعادي في الله، ويحب لأهل الطاعة ما يحب لنفسه، ويبغض المعصية وأهلها لما فيها من مخالفة الحق. ويظهر من هذا أن التوحيد هو الخط الدفاع الأول في وجه التشتت والانقسام، وأن العزلة عن أهل الباطل -عند تعذر اجتماع الكلمة على التوحيد- قد تكون مظهرًا من مظاهر التمسك بالوحدة الحقيقية، القائمة على الإيمان والولاء لله تعالى وحده.

وإذا كان التوحيد بهذه المنزلة العظيمة، التي بها تتوحد وجهة الحياة والموت والنسك، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: 162-163]، فقد كان لزامًا أن يكون هو أصل الاجتماع، وشرط وحدة الأمة ونجاتها، فبالشرك تتقطع الأوصال، وبالتوحيد تلتئم القلوب وتجتمع الكلمة.

ومما ينبغي ذكره من الدلائل في هذا الباب، علوّ شأن التوحيد في توحيد الأمة؛ أن الله عز وجل جعله دينًا واحدًا منذ آدم إلى محمدٍ ﷺ، دينًا لا يقبل التفريق بين رسله، ولا التناقض بين أنبيائه، فقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

---

(1) الطبري، *تفسير الطبري*, ٤٩/١٠.

[البقرة: 136]، فجعل العقيدة واحدة، والدين واحدًا، والتوحيد رابطًا يجمع بين الأنبياء جميعًا، فلا توحيد مع الكفر بأحد منهم، ولا يتحقق الإيمان إلا بجمع التصديق بهم كلهم.

ولذا من أعظم ما يدل على وحدة الدين في دعوة الأنبياء جميعًا أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا بمحمد ﷺ إذا بُعث فيهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران:81]، وهو ميثاقٌ يلزم الأمم كافة لا الأنبياء فقط، وكل هذا توحيد في الدين والإيمان والعقيدة.

وقد بيّن الطاهر بن عاشور أن هذا الميثاق عهدٌ رباني على جميع أتباع الأنبياء، لأنه خطابٌ موجّه إلى الأمم من خلال رسلهم، فصار الوفاء به واجبًا على كل من جاءه النبي محمد ﷺ[1]. وعلّق السعدي على الآية بقوله: " يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق النبيين وعهدهم المؤكد بسبب ما أعطاهم من كتاب الله المنزل، والحكمة الفاصلة بين الحق والباطل والهدى والضلال، إنه إن بعث الله رسولا مصدقا لما معهم أن يؤمنوا به ويصدقوه ويأخذوا ذلك على أممهم، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضا لأن جميع ما عندهم هو من عند الله، وكل ما من عند الله يجب التصديق به والإيمان، فهم كالشيء الواحد "[2].

وعليه، فإن وحدة الأمة لا تنفك عن وحدة مصدر التلقي، المتمثل في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، كما قال تعالى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: 285]، وهي الآية التي تقطع بأن كل تفريق بين رسل الله نقض للتوحيد، وطعن في وحدانية الرسالة.

---

(1) ينظر: ابن عاشور, *التحرير والتنوير*, ٤٥٤/١.

(2) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* (بيروت: مؤسسة الرسالة, ٢٠٠٠ م), ١٣٦.

وقد أكّد الشيخ محمد رشيد رضا هذا المعنى حين بيّن أن من جعل الدين وسيلةً للتفرّق، وأعرض عن الوحدة تحت راية الإسلام، فقد نقض ميثاق الله وخرج عن الدين الحق، وأن الأمة لا تصلح إلا بالرجوع إلى هذا الأصل الأصيل، الذي جعله الله ميثاقًا لا يُنقض، ووثاقًا لا ينحل[1].

وبذلك يتضح أن التوحيد هو الأصل الذي ينبني عليه كيان الأمة الإسلامية، وهو العمود الفقري لوحدتها، والحصن المنيع الذي تلوذ به من كل مظاهر التفرق والانقسام، فبالتوحيد تتوحد الوجهة والغاية، وتنتظم الأحكام والشعائر، وتلتئم القلوب على طاعة الله ورسوله، وتذوب كل الفوارق العرقية والجغرافية والمصلحية في كلمة -لا إله إلا الله-، وقد دلّت نصوص الكتاب والسنة، وأقوال المحققين من أهل العلم، على أن الفرقة ما دخلت أمة إلا حين ابتعدت عن التوحيد، وضيّعت الاستسلام الصادق لله وحده، واتباع رسوله ﷺ؛ فإذا عادت الأمة إلى هذا الأصل الراسخ، وأحيت في قلوبها عقيدة التوحيد، وأقامت سلوكها وتشريعاتها عليه، استردّت وحدتها، وعادت عزّتها، وحقّقت وعد الله بالنصر والتمكين، ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7].

2.1.2. تجريد المتابعة للنبي ﷺ

يُعدّ تجريد المتابعة للنبي ﷺ أحد الأسس المركزية التي لابد منها لإعادة وحدة الأمة الإسلامية؛ فإن أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده إرسال نبيه محمد ﷺ، مبشرًا ونذيرًا، هاديًا ومبينًا، ورحمةً مهداة للعالمين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم، فجعل الله طاعته طاعةً له، واتباعه شرطًا في تحقق الإيمان، فلا يستقيم توحيد الله إلا بتجريد المتابعة لرسوله ﷺ، فهي من مقتضيات التوحيد، فإن النبي ﷺ ما ترك خيرًا إلا دلّ عليه، ولا شرًّا إلا حذّر منه، وقد بلّغ الرسالة وأدى الأمانة وترك أمته على المحجّة البيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك، ومن ثمّ، فإن اجتماع المسلمين ووحدتهم مرهون بصدق التمسك بهديه، والاقتداء بسنّته، والرجوع إلى ما جاء به هو من عند ربه، لا إلى دعوات من غيره تفرق ولا توحد، وقد قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، فإذا كان الدين قد اكتمل، فإن أي دعوة إلى الأخذ من غير النبي ﷺ -من القربات-، هي دعوة

---

(1) ينظر: محمد رشيد بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين محمد رشيد رضا, *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)* (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب, ١٩٩٠ م), ٢٩١/٣.

إلى النقص، والتمزق والاختلاف، والمتأمل في واقع الأمة يجد أن الخلل لم يكن في الدين، وإنما في الابتعاد عنه، وفي مفارقة السنة واتباع غير سبيل المؤمنين، وإن الوحدة ستكون أمرا سهلا، وممكنا إذ متابعته متابعة لدين كامل لا يحتاج إلى إضافات بشرية.

والأدلةُ على تأصيل هذا الباب وتوكيده كثيرةٌ جدا في النصوص الإسلامية، نكتفي هنا بالإشارة إلى جملةٍ منها. فأمّا ما جاء في القرآن الكريم، فمن ذلك:

قد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أن ما جاء به النبي ﷺ ليس صادرًا عن اجتهاد بشري، وإنما هو وحي أوحي إليه، قال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 1-4]، وهذا المعنى يجعل التمسك بالسنة النبوية تمسكًا بالوحي، وانفكاك الأمة عنها هو انفكاك عن الوحي الإلهي، وهذا هو جوهر الافتراق والانقسام.

وقد أمر الله تعالى نبيه والمؤمنين معه بالاستقامة على شرعه المكتمل دون ميل ولا انحراف، فقال سبحانه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: 112]، وحذره من الركون إلى من يريدون صرفه عن شيء مما أوحى إليه، فقال جل جلاله: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: 49]، فكيف بمن يريد صرف الأمة كلها عن اتباعه؟!

وإذا كانت طاعة الرسول ﷺ هي طاعة لله، كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80]، فإن مخالفة أمره تعد خيانة للعهد الإيماني، ولذلك قال تعالى محذرًا: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]، وهو تحذير يدل على أن مخالفة الرسول خطيئة تفتح أبواب الفتن وتفرّق الجماعات، بل أبواب الخروج من الدين، وهي أول طريق التمزق، قال ابن كثير: " أي: عن أمر رسول الله ﷺ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته [وسنته] وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائنا ما كان" [(1)].

وكذلك جعل الله متابعة النبي شرطًا لمحبة الله وغفرانه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]. وقد ذكر المفسرون أن

---

(1) ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, ٨٩/٦-٩٠.

هذه الآية نزلت ردًّا على من زعم محبة الله وأظهر التدين دون اتباع رسوله، ومبلغ وحيه، فجعل الاتباع الصادق دليلاً على المحبة الصادقة، روى الطبري عن ابن جريج أنه قال في هذه الآية: "كان قوم يزعمون أنهم يحبون الله، يقولون: إنا نحب ربنا، فأمرهم الله أن يتبعوا محمدا ﷺ، وجعل اتباع محمد علما لحبه" [1]، ومن الأدلة أيضًا ما هو قريبٌ من هذا المعنى ومؤيِّدٌ له، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80]، جعل سبحانه طاعته هي طاعة الرسول، ومخالفة الرسول مخالفة لله، وذلك لأن الرسول لا ينطق عن الهوى، بل يبلغ عن ربه، وكل من طعن في سنته أو تحلل من أمره فهو في الحقيقة خارج عن دائرة الطاعة لله تعالى، قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأنه من أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى"[2].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21]، فالرسول ﷺ هو المبلغ، وهو القدوة والأسوة، في أفعاله وأقواله وتوجيهاته، فمن أراد النجاة في الدنيا والآخرة فعليه أن يسير على خطاه ويستمسك بهديه، قال الطبري: "أن تتأسوا به، وتكونوا معه حيث كان، ولا تتخلفوا عنه"[3]، فمتابعته، بل تجريد المتابعة له، هي السبيل الأمثل لإغلاق أبواب الفتنة وسدّ منافذ التفرق، إذ إن الانحراف عن هديه هو أصل الضلال والتشتت في الأمة، وقد نبّه السعدي رحمه الله إلى هذا المعنى بقوله: "فلو أراد إنسان أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه -أي: من النبي ﷺ- لذلك، لحصل من الغلط على الله وعلى رسوله، وعلى مراد الله من كلامه، شيء كثير"[4]، لذا يمكن أن نقول إن فساد الفهم عن مراد الله تعالى من النصوص -في كثير من الأحيان- إنما هو ثمرة ترك المتابعة، والانفراد بالرأي، والعدول عن طريقة النبي ﷺ في فهم الدين والعمل به، وفي ضوء هذا التوجيه يظهر أن المتابعة الحقة، أو حقيقة المتابعة للنبي ﷺ لا تقتصر على الأقوال الظاهرة أو العبادات الجلية، بل تشمل كذلك منهجه في الفهم والاستنباط والتعامل مع النصوص، فإن ما وقعت

---

(1) الطبري, *تفسير الطبري*, ٣٢٥/٥.

(2) ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, ٣٦٣/٢.

(3) الطبري, *تفسير الطبري*, ٥٩/١٩.

(4) السعدي, *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*, ٣٦.

فيه الأمة من التنازع والتبديع، بل التكفير أحيانًا، إنما نشأ في كثير منه عن الانحراف عن منهجه ﷺ، والتأويلات المجانبة لما دلّ عليه الكتاب والسنة، وهكذا، فإن تجريد المتابعة له عليه الصلاة والسلام لا تحقّق وحدة ظاهرية فحسب، بل هي التي تمنع التنازع العقائدي والفكري، وتحفظ كيان الأمة من التمزق والتشرذم.

ومن الأدلة المحكمة أيضا على هذا الأصل قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7]، وإن كان سياق الآية في بيان أحكام الفيء والغنائم، إلا أن العبرة كما هو مقرر عند أهل الأصول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [1]، وقد وردت أحاديث وآثار تؤكد هذا المعنى وتقرّره، كما سيأتي. قال ابن كثير في تفسيره لها: "مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر"[2]، فكل ما جاء به النبي ﷺ من أمر أو نهي أو توجيه، فهو ملزم للأمة لا مخرج لها عن امتثاله.

وبالجملة، ما ذكرناه من الأدلة القرآنية، يدل دلالة واضحة على أن تجريد المتابعة للنبي ﷺ أصلٌ أصيل في هذا الدين، به يكتمل الإيمان وتتحقق النجاة، وهو في ذات الوقت الأساس الذي تقوم عليه وحدة الأمة، إذ لا اجتماع على هدى إلا باتباع النبي ﷺ واتخاذه مرجعًا في الأقوال والأفعال والاعتقاد، فالمتابعة شرط للوحدة بين المسلمين، وما خالَف هديه فمصيره الردّ، ولو زعمه الناس دينًا.

أما الأدلة من السنة والآثار كثيرة أيضا منها:

من أعظم ما يدل على وجوب تجريد المتابعة للنبي ﷺ، حديثه المشهور الذي يعد أصلًا قاعديًّا في أبواب الدين والعبادة، وأصل في هذا الباب أيضا قوله ﷺ: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو

---

(1) أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الجصاص, *الفصول في الأصول* (الكويت: وزارة الأوقاف الكويتية, ١٩٩٤ م), ٩٩/١.

(2) ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, ٦٧/٨.

رد»[1]، فهذا الحديث نصٌّ صريحٌ على أن كل عملٍ تعبدي لم يكن على ما جاء به الرسول ﷺ، فهو مردود، ولو حسنه الناس بعقولهم أو استحسنته طوائف بآرائها.

ومن أعظم الأدلة أيضا قوله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» [2]، ففي هذا الحديث الشريف دلالة جليّة على أن طاعة النبي ﷺ سبب النجاة، وأن الإعراض عن متابعته الصادقة امتناع عن دخول الجنة، وإن زعم صاحبه الانتماء إلى الأمة، ويدل أيضا على أن الطاعة لرسول الله ﷺ شرط في الإيمان المقبول والمنجي، قال الصنعاني في شرحه لهذا الحديث: "أبى اسم فاعل، وهو الممتنع عن قبول ما جاء به النبي ﷺ، وقيل هو العاصي، وكلا المعنيين داخلان في التهديد"[3]، ، وفيه أن متابعته هي السبيل للنجاة في الدنيا والآخرة، وأن الانحراف عنها انحراف عن طريق الجنة، وطريق الفلاح، وكلما زاد الانحراف في الأشخاص وزاد عدد المنحرفين زاد البلاء والتفرق عن طريق النصر الذي كان عليه النبي صلي الله عليه وسلم.

وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال: "صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب..."، ثم قال النبي ﷺ في آخر الحديث: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[4]، وفي هذا الحديث أيضا أمر صريح بوجوب التمسك بالسنة، لا بمجرد الاتباع العام، بل بالعضّ عليها بالنواجذ، وهو كناية عن غاية الحرص واللزوم، وتظهر أهمية تجريد المتابعة في أن النبي ﷺ لم يجعل الحل في زمن الفتن في الاجتهادات

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٢٠، ٢٦٧٥/٦. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٧١٨، ٣/ ١٣٤٣.

(2) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٦٨٥١، ٢٦٥٥/٦.

(3) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، الأمير الصنعاني, *التَّنوير شرح الجامع الصَّغِير*, تحقيق د. محمد اسحاق محمَّد إبراهيم (الرياض: مكتبة دار السلام, ٢٠١١), ١٦٠/٨-١٦١.

(4) سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أبو داود, *سنن أبي داود*, تحقيق شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي (د. م: دار الرسالة العالمية, ٢٠٠٩ م), رقم الحديث: ٤٦٠٧، ١٦/٧.

المطلقة أو الآراء أو الطوائف، بل في الرجوع إلى سنته وسنة الخلفاء الراشدين، وهو ما يؤكد ما قررنا.

وكما أن التوحيد يقتضي إفراد الله تعالى بالعبادة، فكذلك شهادة أن محمدًا رسول الله تقتضي تجريد الاتباع له وحده دون سواه، فلا يُعبد الله إلا بما شرعه على لسان نبيه، ولا يتحقق الاجتماع إلا على هديه وطريقته، وإذا تدبرنا حال الأمة اليوم، وجدنا أن التمزق والاختلاف لم يقع بسبب الاختلاف المشروع، وإنما بسبب مفارقة هدي النبي ﷺ، واتباع السبل والأهواء، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ومن هنا، فإن من أراد وحدة الأمة، ورفع أسباب الفرقة عنها، فليُعدها إلى كتاب ربها وسنة نبيها، وليُحيي في قلبه معنى الاتباع المحض، والتجرد الكامل من كل سبيل يخالف صراطه المستقيم، فبتجريد المتابعة للنبي ﷺ تنضبط الجماعة، وتزول أسباب النزاع.

2.1.3. الإخوة في الله

تتجلّى وحدة الأمة الإسلامية في أبهى صورها من خلال رابطة الإخوة في الله، تلك الرابطة التي أسّسها الإسلام على قاعدة الإيمان بالله وتوحيده، فجمعت القلوب ووحّدت الصفوف، وربطت بين أفراد الأمة عبر الزمان والمكان، وإن الإخوة في الدين ليست علاقة عارضة تنشأ عن مصالح دنيوية أو عصبيات أرضية، بل هي عقدٌ ربّاني وثيق، يجمع المؤمنين على المحبة والنصرة، والتآزر والتكافل، والتعاطف حتى يصيروا كالجسد الواحد يشدّ بعضُه بعضًا، ويشعر كلُّ فرد فيهم بما يصيب إخوانه من سرّاء أو ضرّاء.

وقد دلّت نصوص الكتاب والسنة على هذا الأصل العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، فهذا الحصر الإلهي يُثبت أن الأخوّة الصادقة لا تقوم إلا على الإيمان، وهذه الأخوة عاطفة وجدانية وعلاقة إنسانية، والتزام شرعي يفرض على المؤمنين أن يُقيموا وحدتهم العمليّة، وأن يتجاوزوا الروابط الأرضية من نسب أو وطن أو لون، إلى رابطة أعلى وأبقى، وهي رابطة الإيمان بالله ورسوله.

وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «وددنا أنا قد رأينا إخواننا»، فقال بعض الصحابة: أولسنا إخوانك؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواني الذين لم يأتوا بعد» [1]، وصف إخوانه من المؤمنين الذين لم يروه بأنهم يأتون يوم القيامة غُرًّا محجَّلين من آثار الوضوء، وأنه ينتظرهم على الحوض، فالإخوة في الدين ليست مقتصرة على المعايشة الزمنية، بل هي رابطة إيمانية ممتدة في الزمان، فهي تجمع بين أجيال الأمة جميعًا في نسق واحد، ومن ثمّ فإن هذه الأخوة أحد أهم الأسس في بناء وحدة الأمة الإسلامية.

والإخوة من حيث الأصل رابطة قوية تُنشأ بين طرفين أو أكثر، وتمتاز بالدوام والثبات، وقد تنشأ من نسب أو رضاع، أو من اشتراك في وطن أو مقصد أو عمل، لكنها إذا كانت قائمة على الإيمان والدين فإنها ترقى إلى أعلى صورها وأثبت معانيها، فتكون "الإخوة في الله"، وهي رابطة شرعية ربانية، تمتدّ لتشمل كل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، من أي جنس أو لغة أو لون، وفي أي زمان أو مكان، وقد أشار إلى هذا المعنى ابن الجوزي بقوله: "اعلم أن المعنى الجامع بين المسلمين الإسلام، فقد اكتسبوا به أخوة أصلية، ووجب عليهم بذلك حقوق لبعضهم على بعض"[2]، فالإسلام لا يقتصر على تنظيم علاقة الإنسان بربه، بل يضع أيضًا أسس المجتمع الذي يعيش فيه، بحيث تقوم علاقاته على الإيمان، ويكون كل فرد مسؤولًا عن رعاية غيره وأداء حقه، في جماعة يسودها الرحمة والشعور بالانتماء الواحد.

ويؤكد ما قلنا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ...﴾ [الحشر: 10]، أوجب من خلاله القيام بحقوق الأخوة في السلم والحرب، في الرخاء والشدة، في الحضور والغيبة، وهي نعمة أنعمها الله على عباده المؤمنين قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ...﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ثم ختم الآية بقوله:

---

(1) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٤٩، ٢١٨/١.

(2) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي, *التبصرة* (بيروت: دار الكتب العلمية, ١٩٨٦), ٢٧٣/٢.

﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾، أي: بنعمة الإسلام والهداية صرتم إخوانًا بعد عداوة وجفاء، وهي أعظم نعمة منّ الله بها على هذه الأمة[1].

هذه الأخوة ربط ربطه الله بين المؤمنين، فكل مؤمن وجد من أي شخص في مشارق الأرض ومغاربها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فهو أخ له، تُوجب هذه الأخوة المحبة والنصرة والرحمة والتواصي بالحق والصبر، قال السعدي: " ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له، ما يكرهون لأنفسهم"[2]، وقال القرطبي: "إنما المؤمنون إخوة، أي في الدين لا في النسب، ولهذا قيل: أُخُوَّة الدين أثبت من أُخُوَّة النسب، فإن النسب ينقطع بمخالفة الدين، وأما الدين فلا يقطعه اختلاف النسب"[3].

وعليه، يتعيّن توثيق هذه الرابطة بما يقوّيها ويشدّ أواصرها، مع ضرورة تجنّب كلّ ما من شأنه أن يفكّكها أو يضعفها، نظرًا لما يترتّب على ذلك من آثار مؤثّرة ذكر النورسي في مكتوباته [4] أنّ من أخطر ما يؤثّر في الأخوة الظلم؛ إذ يجعل العداء ثمرةً له، ويحوّل الخلاف إلى قطيعة وبغضاء. ويستدلّ في ذلك بقول النبي ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» [5]، مؤكّدًا أنّ هذا النهي النبوي يعبّر عن خطورة الاعتداء على رابطة الأخوّة، ويضرب النورسي مثالًا توضيحيًا باثنين من المسلمين، فيبيّن كثرة الروابط الجامعة بينهما؛ فخالقُهما واحد، ومالكُهما واحد، ومعبودُهما واحد، ورازقُهما واحد، وهكذا تتكاثر وجوه الوحدة حتى تبلغ الآلاف، ثم تتأكد هذه الوحدة بوحدة النبي والدين والقبلة، ثم بوحدة البيئة الاجتماعية من قرية ودولة وبلاد، ليخلص إلى أنّ هذه الروابط تمتلك

---

(1) ينظر: القرطبي, *الجامع لأحكام القرآن*, ١٦٤/٤.

(2) السعدي, *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*, ٨٠٠.

(3) القرطبي, *الجامع لأحكام القرآن*, ٣٢٣/١٦.

(4) ينظر: سعيد بن ميرزا بن علي بديع الزمان النورسي, *كليات رسائل النور*, ترجمة إحسان قاسم الصالحي (القاهرة: دار سوزلر للنشر, د.ت), المكتوبات: ٣٣٩-٣٤٣.

(5) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٥٨٨٣، ٥/ ٢٣٠٢. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٥٦٠، ٤/ ١٩٨٤.

من القوة المعنوية ما يفوق الروابط المادية، وأنّ الإعراض عنها لصالح أسباب واهية تولّد الشقاق والعداء يُعَدّ ظلمًا بيّنًا وإهانةً لتلك الروابط الجامعة، كما قرّر أنّ اختلاف الآراء في المسائل الاجتهادية، سواء كانت غير منصوصة أو منصوصًا عليها مع اختلاف دلالاتها أو طرق ثبوتها، لا ينبغي أن يكون سببًا للعداء أو نقض الأخوّة العامة، وينتقد التوسّع غير المنضبط في توظيف مقولة: «الحق واحد لا يتعدّد» [1] بما يؤدّي إلى رفض الاجتهاد، وتصوير الخلافات المعتبرة على أنّها دائرة بين الحق والباطل، واتخاذ ذلك ذريعةً للشقاق بين الإخوة. ويقرّب فكرته بمثالٍ طبّي يبيّن فيه أنّ الماء الواحد قد تتعدّد أحكامه تبعًا لاختلاف أحوال المرضى، فكذلك الأحكام الاجتهادية قد تتعدّد مع بقاء الحق محفوظًا في إطار المقاصد والاعتبارات المختلفة، وهو بذلك يفرّق بين وحدة الحق من حيث المقصد، وتعدّد وجوهه من حيث الفهم والتنزيل [2].

وإنّ مما يعزّز رابطة الأخوّة: العفو والصفح امتثالًا لقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]، وكذلك الحب في الله والبغض في الله بضوابطهما الشرعية، على ألا يؤدّي ذلك إلى الإضرار بالأخوّة العامة بين المؤمنين، والموالاة بينهم قال ابن كمال باشا إن حقَّ الأخوَّة الإيمانيَّة الموالاةُ في المصالح الدِّينية وإنْ كان بينهم معاداةٌ في المصالح الدُّنيويَّة [3] . ومنها البعد، والحذر من الممارسات الاقتصادية والاجتماعية التي تفتك بهذه الرابطة، كجريان الربا والتهاون في أداء الزكاة [4]، لما يترتب عليها من تفكيك للتكافل وإضعاف لمعاني الأخوّة الإيمانية، وقد ذكرنا بعض هذه الأمثلة بشيء من التفصيل في أبواب هذه الرسالة.

وعلى ما ذكر، فالإخوة الإسلامية هي أصل من أصول وحدة الأمة، وميزان التفاضل فيها هو الإيمان لا العرق، والانتماء إلى الدين لا إلى الطين، ولا تزاحمها رابطة أخرى مثل الروابط القومية

---

(1) أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى مقاتل, *تفسير مقاتل بن سليمان*, تحقيق عبد الله محمود شحاته (بيروت: دار إحياء التراث, ١٤٢٣ هـ), ٢/ ٢٢٣. أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي المالكي ابن القصار, *المقدمة في الأصول*, تحقيق محمد بن الحُسين السليماني (تونس: دار الغرب الإسلامي, ١٩٩٦م), ١١٢.

(2) ينظر: النورسي, *كليات رسائل النور*, المكتوبات: ٣٤٢، ٣٤٣.

(3) شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال ابن كمال باشا, *تفسير ابن كمال باشا*, تحقيق ماهر أديب حبوش (اسطنبول: مكتبة الإرشاد, ٢٠١٨), ٤/ ٣٩٩.

(4) ينظر: النورسي, *كليات رسائل النور*, المكتوبات: ٣٥١-٣٥٨.

أو النسبية أو العرقية، فمن تخلى عنها، فكأنما تخلى عن انتمائه لهوية الأمة الإسلامية، وهي في الحقيقة تمثل أحد أهم الأسس التي تقوم عليها وحدة الأمة الإسلامية، وقد جاءت النصوص المحكمة التي ذكرناها وغيرها لتؤكد هذه الحقيقة، وهذه الأخوة بما تحمله من حقوق وواجبات، هي وسيلة لتحقيق مقاصد الدين الكبرى، وعلى رأسها وحدة الأمة وتماسك صفوفها، في وجه ما يعترضها من تحديات داخلية وخارجية، ومن ثم فإن الحفاظ على هذه الرابطة، والعمل على تعزيزها، هو من أعظم ما يخدم مشروع الأمة في وحدتها ونهضتها.

2.2.مقومات وحدة الأمة واجتماعها

ثبت أن وحدة الأمة الإسلامية هدف شرعيّ أكدت عليه نصوص الكتاب والسنة، باعتبارها من أعظم الوسائل لحفظ الدين، وتحقيق القوة، وقد رسمت الشريعة معالم هذه الوحدة، وضع مقوماتها التي تجعل الأمة تجتمع على كلمة سواء، وتتماسك بنيتها العقدية والاجتماعية، وفي هذا المبحث، سيتم تناول أبرز هذه المقومات التي تمثل دعائم حقيقية لوحدة المسلمين.

ويأتي في مقدمة هذه المقومات: الإيمان بالله تعالى، بما هو الرابط الروحي العميق الذي يوحد القلوب ويوحد المقاصد ويوجهها، ثم توحيد مصدر التلقي والتشريع، بما يضمن وحدة المرجعية، ويلي ذلك نبذ الهوى والتعصب، وهو ما يصون ويطهر النفوس من الانحرافات الشخصية والفكرية، كما أن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تمثل صمام أمان لحفظ المجتمع على الجادة، وتقوية الروابط الإصلاحية بين أفراده، ويأتي التمسك بمكارم الأخلاق ليكون الأساس السلوكي الذي يجسد الوحدة في الواقع العملي، ويحقق التراحم والتعاون بين المسلمين، فهذه المقومات، المستمدة من القرآن والسنة -وغيرها كثير ولكن ركزنا على أبرزها، وأكثرها تأثيرا في موضوعنا-، هي توجيهات عملية لبناء أمة واحدة مترابطة، تقف أمام التحديات.

2.2.1. الولاء والبراء في الإيمان بالله تبارك وتعالى

إن الإيمان بالله تبارك وتعالى من أعظم دعائم الوحدة في الأمة الإسلامية، ومقوماتها فإن الأمة الإسلامية تستمد وحدتها من عقيدة التوحيد التي تنبثق من الإيمان بالله، فتمنحها الثبات والقوة والتماسك، وهذا الإيمان هو أصل تتوحد به تصورات المسلمين ومقاصدهم وغاياتهم.

ومن أبرز مظاهر وحدة الأمة الإسلامية المتحققة من خلال الإيمان بالله تعالى: رابطة الولاء والبراء، وهي مظهر عملي لعقيدة التوحيد، تتجلى في محبة الله تعالى ورسوله ﷺ ودينه وأوليائه من المؤمنين، ونصرتهم والوقوف في صفهم، وفي المقابل، في البراءة من أعداء الله تعالى من الكافرين والطواغيت ومن يواليهم أو ينافح عن باطلهم.

وقد جاءت النصوص الشرعية مؤكدة لهذا الأصل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُون * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُون﴾ [المائدة: 55–56].

فهذا النص يبيّن أن الولاية الشرعية للمؤمن لا تكون إلا لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن في ذلك ضمانة لعزة الأمة وانتصارها، لأن الغلبة إنما تكون لحزب الله، وهم الذين تولوا الله ورسوله والمؤمنين دون غيرهم، وقد علّق الإمام الطبري رحمه الله على هذا المعنى فقال: "وهذا إعلامٌ من الله تعالى ذكره عبادَه جميعًا الذين تبرأوا من حلف اليهود وخلعوهم رضًى بولاية الله ورسوله والمؤمنين، والذين تمسكوا بحلفهم وخافوا دوائر السوء تدور عليهم، فسارعوا إلى موالاتهم أنّ مَن وثق بالله وتولى الله ورسوله والمؤمنين، ومن كان على مثل حاله من أولياء الله من المؤمنين، لهم الغلبة والدوائر والدولة على من عاداهم وحادّهم، لأنهم حزب الله، وحزبُ الله هم الغالبون، دون حزب الشيطان"[1]..

ومن تمام هذا الأصل أن الله تعالى وعد أهل الولاء الصادق بالرحمة والنصرة، كما قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71] هذه الآية الكريمة تُبرز صفات أهل الولاء في الإسلام: اجتماعهم على الطاعة، وتناصرهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتآزرهم واجتماعهم في أداء الفرائض، وهي الصفات التي تحفظ وحدة الأمة وتحقق ترابطها العملي والعقدي في آنٍ واحد، وتقطع أسباب التبعية والذوبان في الولاءات الجاهلية أو المعاصرة التي تهدد صف الأمة وكيانها.

---

(1) الطبري, *تفسير الطبري*, ٤٢٧/١٠.

أما -البراء من أعداء الله-، فهو الأصل المكمل للولاء، فلا تصح الموالاة الشرعية إلا بنفي ما يضادها من موالاة الكافرين، وقد شدد القرآن الكريم في النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء، فقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: 28]، وقد فسر الطبري هذه الآية بقوله: "لا تتخذوا أيها المؤمنون الكُفّارَ ظَهْرًا وأنصارًا، توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين... فإن من يفعل ذلك فقد برئ من الله، وبرئ اللهُ منه، بارتداده عن دينه... إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافونهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا لهم العداوة، ولا تعينوهم على مسلم بفعل"[1]، فالبراءة من الكفر والكافرين ليست موقفًا سلبيًّا يعيب المسلمين أبدا، بل هي ركن من أركان الولاء الإيماني الذي يُحافظ به على نقاء الهوية الإسلامية ووحدة الصف، ويُبعد الأمة عن الانحرافات العقدية، ويقوي الرابطة بين المسلمين، ويمنع التداخل بين من يوالي أهل الإيمان ومن يتساهل في المودة مع أعداء الدين.

وقد بيّنت السنة النبوية هذا المعنى في مواضع كثيرة، منها ما رواه البخاري عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: "بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"[2]، وفي رواية أخرى: "وتبرأ من الكافر"[3]، فبيعة الصحابة على البراءة من الكفار دليل على أن ذلك من مقتضيات الإيمان، وأن وحدة الأمة إنما تُبنى على أساس العقيدة، لا على المجاملات أو التوافقات والتناغمات السياسية أو العرقية.

ومع أن هذا الباب من الأبواب العظيمة والمهمة، إلا أن كثيرًا من الفرق قد زلّت فيه أقدامهم؛ فمنهم من بالغ فأفْرَط في فهم هذا الأصل وتطبيقه، ومنهم من قصّر ففَرّط فيه، ولفهم هذا الموضوع بدقة لابد أن ننظر في حديث حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، الذي كتب إلى قريش سرًّا يُخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ، فأرسل النبي عليًّا والزبير والمقداد لاسترجاع الكتاب، فلما أتي به بين يديه، وصفه عمر بالنفاق، و واجهه النبي ﷺ بالسؤال، فاعتذر حاطب بأنه ما فعل ذلك كفرًا ولا ارتدادًا،

---

(1) الطبري, *تفسير الطبري*, ٣١٣/٦.

(2) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٢٥٦٥، ٦٩٨/٢.

(3) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ١٩١٦٥، ٥٠٣/٣١.

بل لغرض شخصي يتعلق بحماية أهله، فقبل النبي ﷺ عذره وقال: "لقد صدقكم"، ومنع عمر رضي الله عنه من إقامة الحد عليه، وعلل ذلك بقوله: "إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"[1].

وهذا الموقف النبوي الحكيم يبين أن الحفاظ على وحدة الأمة لا يعني التغاضي عن الخطأ أو التهاون في الدين، وإنما معالجته بالعدل والحكمة والنظر في السياق والسابقة وحقيقة الاعتقاد، مما يحفظ التماسك من جهة، ويحول دون إثارة الفتن من جهة أخرى؛ لذا علّق العلماء على وصف عمر رضي الله عنه لحاطب بـ "المنافق" بأنه إنما أطلقه باعتبار فعله الذي يشبه فعل المنافقين في ظاهره، ولم يكن يقصد به النفاق الاعتقادي. وقال بعضهم: " إنما أطلق عمر رضي الله تعالى عنه اسم النفاق عليه؛ لأنه والى كفار قريش وباطنهم" [2]، وقال بعض العلماء: إن الإمام إذا ظهر من رجل من أهل الستر على أنه قد كاتب عدوا من المشركين ينذرهم ببعض ما أسره المسلمون من عزم ولم يكن الكاتب معروفا بالسفه والغش للإسلام وأهله، وكان ذلك من فعله هفوة وزلة من غير أن يكون لها أخوات فجائز العفو عنه كما فعله الرسول ﷺ مع حاطب بن أبي بلتعة حيث عفا عن جرمه بعدما اطلع عليه من فعله.[3]

وبناء على ذلك، فإن الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين أحد أعظم مقومات وحدة الأمة الإسلامية، فهو الذي يحدد معالم الانتماء ويُوجّهه في الطريق الصحيح، ويحمي هوية الأمة الإسلامية، ويصونها من أن تذوب في غيرها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥]، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وهذا هو الأساس الذي يحفظ وحدة الجماعة ويحقق مقصود الاجتماع الشرعي على الحق والهدى.

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٤٠٢٥، ١٥٥٧/٤.

(2) ينظر: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني, *عمدة القاري شرح صحيح البخاري* (بيروت: دار إحياء التراث العربي - دار الفكر, د. ت), ٢٥٤/١٤.

(3) ينظر: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال, *شرح صحيح البخاري لابن بطال*, تحقيق أبو تميم ياسر ابراهيم (الرياض: مكتبة الرشد, ٢٠٠٣ م), ١٦٢/٥.

2.2.2. توحيد مصدر التشريع

يُعدّ توحيد مصدر التشريع من أبرز مقومات وحدة الأمة الإسلامية، إذ لا تقوم وحدتها ولا تستقيم أمورها إلا بالرجوع إلى المصدرين الأصيلين: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لقد قامت دولة الإسلام على هذين الأساسين، وبهما تحققت عزتها ونهضتها. وسيتم الاستدلال على هذه الأهمية من خلال جملة من النصوص الشرعية والأقوال العلمية، التي تؤكد أن توحيد المصدر هو الضامن لتحقيق الوحدة الفكرية والاجتماعية.

الأدلة من القرآن الكريم:

أمر الله المؤمنين بالرجوع إلى هذين الأصلين عند النزاع والاختلاف، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ويؤكد الطبري على أن في الرد إلى الله والرسول مصلحة عظيمة للوصول إلى الوحدة والألفة، فيقول في تفسيره للآية: "رد ما تنازعتم فيه من شيء إلى الله والرسول، خير لكم عند الله في معادكم، وأصلح لكم في دنياكم، لأن ذلك يدعوكم إلى الألفة وترك التنازع والفرقة"[1]، ويتضح من هذا التفسير أن توحيد مصدر التلقي هو عامل جوهري في تحقيق الوحدة الفكرية والاجتماعية؛ فكلما التزمت الأمة بالرجوع إلى الكتاب والسنة كلما تقاربت قلوبها واجتمعت كلمتها، بينما يؤدي الابتعاد عنهما إلى أسباب الفرقة والتنازع.

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]. فالتسليم المطلق لحكم الرسول ﷺ، الذي هو غاية الإيمان، يقتضي جعل وحيه -كتابًا وسنة- المصدر الوحيد الملزم في التشريع، وينتج عن هذا التوحيد في المصدر بناء وحدة فكرية راسخة، تفضي بدورها إلى وحدة مجتمعية متماسكة، حيث تتوحد المنطلقات وتتجه القوى نحو غاية واحدة، وهذا هو المعنى العميق، والمراد لتوحيد مصدر التشريع في الإسلام.

---

(1) الطبري, *تفسير الطبري*, ٥٠٦/٨.

الأدلة من السنة النبوية:

جاء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، في خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع، أنه قال: " يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ..."[1]، وفيه تأكيد على أن الاعتصام بالكتاب والسنة هو الضمان الذي لا يضل من تمسك به، وهو الرباط الذي يجمع الأمة ويمنعها من التفرق والاختلاف، فإذا اعتصم بهما بحق، كان سبيلاً للهداية والائتلاف، وإذا أُهملا أو قُدم عليهما غيرهما، كان سببًا للضلال والافتراق.

وجاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطّ خطًّا بيده ثم قال: "هذا سبيل الله"، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: "هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه"، ثم قرأ[2]: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153]، فيها بيان واضح بأن سبيل الله واحد لا يتعدد، وأن السبل المخالفة سبيلُها التفرق والضياع، وكل منها ينتهي بصاحبه إلى غير ما شرع الله تعالى، والفرقة الناجية إنما هي من لزمت هذا الصراط المستقيم واتبعت ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه الكرام[3].

وكذلك قوله ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[4]، وهو أصل في باب الاعتصام بالشريعة وردّ المحدثات والبدع، وفيه إغلاق لباب التفرق والانقسام الناشئ عن اتباع غير سبيل الله ورسوله، فكل ما لم يكن عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو مردود لا يُعتد به، مهما كانت نوايا أصحابه أو مبرراتهم، فالميزان في القبول والرد هو الموافقة للحق لا كثرة الأتباع ولا قوة الحجة المزعومة.

---

(1) أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الحاكم, *المستدرك على الصحيحين*, تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية, ١٩٩٠ م), رقم الحديث: ٣١٨، ١/ ١٧١.

(2) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ٤١٤٢، ١٥٦/٤.

(3) ينظر: القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي, *تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة*, تحقيق لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب (كويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت, 1433), ١٣٨/١.

(4) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٧١٨، ١٣٤٣/٣.

وقد ثبت في "صحيح مسلم" عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين» [1]، وهو نصٌّ جليل يبيّن أن رفعة الأمة وكرامتها وعلو شأنها إنما يكون بالقرآن الكريم، فمن أخذ به واهتدى بهديه رفعه الله، ومن أعرض عنه وتخلّى عن توجيهاته أذله الله، وإن كان من أهل القبلة ظاهرا، وكيف لا، وقد جعل الله سبحانه هذا الكتاب فرقانًا ونورًا يهدي به من يشاء من عباده.

وأما الآثار وأقوال العلماء فلا تحصى في الباب منها:

ما عبّر عنه مالك بن أنس بعبارة بليغة جامعة حين قال: "السنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق" [2]، فالسنة مع القرآن هي العاصم من الهلكة، وهي السبيل إلى اجتماع الكلمة ووحدة الصف، بل لا تتحقق النجاة إلا من خلال الاعتصام بهما معًا، دون تقديم هوى أو تقليد أو عصبية على نصوص الوحيين، فهما الأصلان اللذان لا عدول عنهما، ولا هدى إلا من خلالهما، ولا عصمة إلا بالتمسك بهما، كما تقرر، قال المناوي: "هما الفرقان الواضح والبرهان اللائح بين المحق إذا اقتفاهما، والمبطل إذا خلاهما" [3]، فالأمة الإسلامية إنما تُرزق الوحدة والثبات بقدر تمسكها بالوحي، وتُحرم من ذلك بقدر التفاتها إلى غيره، فهما مصدر التشريع، ومصدر وحدة الكلمة، وهما الميزان الفاصل في كل خلاف، والمرجع عند كل نزاع.

وعليه، فإن الرجوع إلى المنهج الشرعي الذي بُني على الوحي وهو الكتاب العزيز والسنة المطهرة هو السبيل الوحيد إلى اجتماع الكلمة ونبذ الفرقة، وهو الحق الذي لا غبار عليه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، فهو محفوظ من التحريف والتبديل، ومن خلاله يمكن للأمة أن تجد حلولًا شرعية لمشكلاتها، وتجمع كلمتها على ما يُرضي ربها ويُعلي شأنها، وكل حل أو

---

(1) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٨١٧، ٥٥٩/١.

(2) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي, *تاريخ بغداد*, تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي, ٢٠٠٢), رقم الأثر: ٣٨٠٣، ٣٠٧/٨.

(3) المناوي, *فيض القدير*, ٢٤٠/٣.

دعوة تُطرح خارج هذا الإطار فمردودة وباطلة في ميزان الشريعة، ومصيرها الخيبة والفشل مهما زُخرفت بشعارات الوحيد والأخوة.

2.2.3. نبذ الهوى والتعصب

فيما مضى تقرر أن الوحدة بين المسلمين غاية شرعية ومقصد ديني عظيم أمر الله تعالى به، ودعا إليه نبيه ﷺ، لما في اجتماع الكلمة من قوة للأمة ورفعة للدين، ودفع لأسباب الضعف والذل. غير أن من أشد ما يعترض سبيل هذه الوحدة، ويهدد بنيانها، ويفرق صفوفها، هو انتشار الهوى والتعصب بين أفراد الأمة، سواء أكان ذلك تعصبًا لرأي، أو شخص، أو مذهب، أو قبيلة، أو مصلحة، مما يؤدي إلى النزاع والفرقة، ويُزيل روح التكاتف التي دعا إليها الإسلام.

فالهوى يُفسد البصيرة، ويغشي على نور الهداية، والتعصب يفرق بين القلوب ويزرع في النفوس البغضاء، وكلاهما مناقض لحقيقة هذا الدين، الذي جاء ليجمع الناس على الحق ويهديهم إلى صراط مستقيم، ولهذا جاءت نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة محذّرة من اتباع الهوى، ناهية عن العصبية الجاهلية، داعية إلى التجرد للحق، والتعاون على البر والتقوى دون النظر إلى الأسماء أو الانتماءات أو المصالح الضيقة.

وفي هذا المطلب، أسلط الضوء على أثر نبذ الهوى والتعصب في تحقيق وحدة الأمة، من خلال بيان ما ورد في النصوص الشرعية من تحذير من هذه الآفات، وبيان كيف أن التزام الحق وحده، هو الذي يوحد الأمة، ويجمع صفوفها، ويحصّنها من التشتت والاختلاف.

ومن هنا فإن من أعظم مقومات وحدة الأمة الإسلامية، أن يتجرد أبناؤها من الأهواء الشخصية، ويتحرروا من التعصبات المذهبية أو الحزبية أو العرقية، ويعودوا إلى أصل الدين الذي يجمعهم تحت راية واحدة، وقد دلت النصوص الشرعية على أن تحقيق الألفة والاجتماع لا يكون إلا بترك التمحور حول الرأي أو الأشخاص أو الموروثات، والرجوع إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة الصالح، فذلك هو السبيل الأقوم لإعادة وحدة الأمة وشوكتها.

الأدلة من القرآن الكريم:

من الآيات التي نبهت إلى خطر الهوى والتعصب، وحذّرت من نتائجهما المدمّرة على وحدة الأمة وتماسكها، قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، فهذه الآية الكريمة ربطت بوضوح بين طاعة الله ورسوله، وبين النهي عن التنازع، وهو غالبًا ما يكون نتيجة للهوى والتعصب، وحذّرت من أن ذلك التنازع يؤدي إلى الفشل وذهاب الريح، أي ضياع القوة والهيبة والمنعة، وقد فسر ابن جرير الطبري قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ بقوله: "ولا تختلفوا فتتفرقوا وتختلف قلوبكم فتضعفوا وتجبنوا"[1]، وبيّن أن المقصود بـ ﴿تَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ هو ذهاب قوتكم وبأسكم، وهو تعبير مجازي عن فقدان التأثير والهيبة بين الأمم. وقال السعدي في تفسيره للآية: "أخبر الله تعالى أن ائتلاف قلوب المؤمنين وثباتهم وعدم تنازعهم سببٌ للنصر على الأعداء، فإذا استقرأت حال الدول الإسلامية وجدت أن السبب الأعظم في زوال ملكها هو ترك الدين والتفرق الذي أطمع فيهم العدو، وأدخل بينهم البأس والخلاف"[2].

ويُفهم من هذه الآية وتفاسيرها أن التنازع هو نتيجة مباشرة لغياب الانقياد للحق، وانقياد للهوى والتعصب، فيؤدي إلى فشل الأمة وضعفها وانهيارها الداخلي. وعليه، فإن نبذ الهوى والتعصب شرط لابد منه للحفاظ على وحدة الأمة وقوتها وتماسك صفوفها في وجه التحديات.

ومن الآيات التي تُظهر أثر الهوى والتعصب في تمزيق وحدة الأمة، وتحذّر من عواقب الاختلاف بعد قيام الحجة وظهور الدليل، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 105]، ففي هذه الآية الكريمة نهى الله المؤمنين أن يكونوا كأهل الكتاب الذين تفرقوا واختلفوا في دينهم بعد أن جاءتهم البينات من ربهم، فعلموا الحق ثم خالفوه عن عمد واستكبار، فاستحقوا بذلك العذاب العظيم، وقد فسّر الطبري هذه الآية بقوله: "ولا تكونوا يا معشر الذين آمنوا كالذين تفرقوا من أهل الكتاب واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه، من بعد ما جاءهم البينات من حجج الله، فيما اختلفوا فيه، وعلموا الحق فيه، فتعمدوا خلافه، وخالفوا أمر الله، ونقضوا عهده وميثاقه، جراءة على الله، ... فلا تفرقوا -يا معشر المؤمنين- في دينكم تفرق هؤلاء

---

(1) الطبري, *تفسير الطبري*, ٢١٤/١١.

(2) السعدي, *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*, ١٢٦.

في دينهم، ولا تفعلوا فعلهم، وتستنوا في دينكم بسنتهم، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم"[1].

وتبين هذه الآية علاقة اتباع الهوى والتفرق، فأرشد المؤمنين إلى نبذ الهوى واتباع ما أنزله الله وتتضمن دعوة للمؤمنين أن يشكروا نعمة الله عليهم بالهداية، وأن يقيموا دينهم بإخلاص، ويتمسكوا بحبل الله المتين، ويستمسكوا بالوحدة التي جاء بها الكتاب، محذّرًا من مغبة التفرق والابتعاد عن البينات الواضحة التي أوصلها الله إليهم[2].

ومن خلال هذه الآية وتفاسيرها يتضح أن التفرق قد يكون بسبب الجهل بالدين ومقاصده وقد يقع بسبب اتباع الهوى، وتقديم المصلحة أو العصبية على الحق، مع العلم به، وهو ما يجعل التفرق حينئذٍ جريمة في حق الدين ووحدة الأمة، فالتحذير هنا ليس فقط من الاختلاف، بل من الاختلاف الذي يأتي بعد قيام البينة، ومن سبب وقوع الاختلاف، مما يعني أن المرجعية إلى الوحيين -الكتاب والسنة- هي السبيل الوحيد لتحقيق الوحدة، وأن التعصب المذهبي أو الحزبي أو القَبلي، أو غيرها هو السبب الأساس في التفرق والانقسام -كما سيأتي الكلام عنه في الأبواب القادمة-، لذا وجب اجتنابه والبراءة منه قلبا وقالبا.

الأدلة من السنة النبوية:

من الأحاديث النبوية التي تدعو إلى نبذ الهوى والتعصب وتُظهر خطورتهما في تفكيك وحدة الأمة، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات، إلا مات ميتة جاهلية"[3]، حيث يُظهر هذا الحديث النبوي الشريف أن مفارقة الجماعة هي سلوك يحمل صاحبه إلى مآل الجاهلية، حيث لا مرجعية ولا إمام يجمع الناس على الهدى، وقد بيّن أهل العلم أن أهل الجاهلية تفرّقوا لتبعثر الآراء وضعف الرابط

---

(1) الطبري, *تفسير الطبري*, ٥/ ٦٦٢.

(2) السعدي, *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*, ٩٧١.

(3) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٦٦٤٦، ٢٥٨٨/٦.

الديني الذي يؤلف القلوب[1] فالحديث يشير إلى أن من أسباب مفارقة الجماعة: الهوى الشخصي والتعصب الشخصي أو القومي أو الفكري الذي لا يستند إلى الشرع، مما يؤدي إلى التمزق والانقسام.

ومما يؤكد هذا المعنى ما رواه جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس مِنَّا من دعا إلى عصبية، وليس مِنَّا من قاتل على عصبية، وليس مِنَّا من مات على عصبية»[2]، ففي هذا الحديث الشريف نفي واضح لانتساب من يتعصب لقبيلة أو طائفة أو رأي إلى صف الأمة الإسلامية، مما يدل على أن التعصب -بكافة أشكاله- يخالف روح الإسلام التي تؤسس للانتماء إلى رابطة الإيمان لا النسب أو العصبية. وفي شرح هذا الحديث، بيّن أهل العلم أن: من تعصب لطائفة مطلقاً فعل أهل الجاهلية محذور مذموم بخلاف منع الظالم أو إعانة المظلوم من غير عدوان فإنه مستحب، بل واجب فلا منافاة بين هذا وبين حديث: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»[3].

ومن ثم، فإن الوحدة بين المسلمين لا تقوم إلا على أساس متين من التجرّد عن الهوى، والتخلي عن كل شكل من أشكال التعصب، لتبقى الأمة متماسكة، راسخة الأركان، بعيدة عن الفتن التي تزعزع كيانها، فالهوى والتعصب لم يكونا يومًا من صفات أمة مرحومة، بل كانا سبب هلاك من سبق، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

وعليه، فإن الواجب الشرعي يحتم على كل فرد في هذه الأمة أن يكون على وعي تام بأن التعصب يهدم أركان الجماعة، والهوى يجرّ إلى الخلاف والفرقة، ولا سبيل إلى النجاة إلا بصدق الاتباع، ونبذ الأهواء، والاجتماع على الحق الذي جاءت به نصوص الوحي، حتى تكون هذه الأمة كما أراد الله لها: خير أمة أُخرجت للناس.

---

(1) ينظر: محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي ابن العربي, *المسالك في شرح موطأ مالك* (د. م: دار الغرب الاسلامي, ٢٠٠٧ م), ٣٩٩/٣.

(2) أبو داود, *سنن أبي داود*, رقم الحديث: ٥١٢١، ٤٤١/٧.

(3) الأمير الصنعاني, *التَّنوير شرح الجامع الصَّغِير*, ٢٨٣/٩.

2.2.4. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقد منّ الله تعالى على هذه الأمة بمنزلة عظيمة ومكانة رفيعة، فاختارها من بين سائر الأمم لتكون خير أمة أُخرجت للناس، كما في قوله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقد علق سبحانه خيرية هذه الأمة على قيامها بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا تخلّت عن هذا الواجب الجليل، ورضيت بالمنكرات أو سكتت عنها، زال عنها وصف المدح واستحقت الذم والعقاب، كما قال بعض أهل العلم: "فإذا تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سببًا لهلاكهم"[1].

فخيرية الأمة لم تكن وصفًا مطلقًا يُمنح بلا شرط، بل هي ثمرة لالتزام عملي وخلقي وفكري، ولذا أمر الله تعالى المؤمنين أن يُكوّنوا من أنفسهم جماعة قائمة بالدعوة إلى الخير، فقال جل وعلا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فالمقصود تكوين جماعة فاعلة متخلقة بهذا الوصف، تسهم في تحقيق المجتمع الفاضل الذي حلم به الحكماء وبشرت به الشرائع، وجعل الله سبيله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو مظهر من مظاهر الشهادة على الناس، ووسيلة لحفظ هوية الأمة، وصيانة مجتمعها من الانهيار الأخلاقي والديني[2].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما علق الله سبحانه نصر المسلمين به قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، ومن هنا يتضح أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب فردي، ونظام اجتماعي متكامل، يشكل وسيلة لحفظ وحدة الأمة وتماسكها، ويكون سببا لنصرتها، من خلال تقويم الانحرافات في مهدها، والحدّ من عوامل التصدع والاختلاف، فبوجوده تترسخ القيم، وتُحمى الثوابت، وتستقر الأمة على نهج واحد يجمعها على كلمة سواء.

---

(1) القرطبي, *الجامع لأحكام القرآن*, ١٧٣/٤.

(2) ابن عاشور, *التحرير والتنوير*, ٣٨/٤.

ومما يدل على عِظَم منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشريعة الإسلامية، ما رواه الإمام مسلم في "صحيحه" عن طارق بن شهاب رضي الله عنه قال: «أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل، فقال: الصلاة قبل الخطبة! فقال: قد تُرك ما هنالك! فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1]، قال النووي على هذا الحديث بقوله: "هذا أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو من النصيحة التي هي الدين"[2]. وبيّن رحمه الله أن هذا الواجب لا يسقط بحجة قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: 105]، إذ المراد أن الإنسان إذا أدى ما أُمر به لا يضره تقصير غيره، ومن جملة ما أمر به: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا قام به سقط عنه الإثم، وكما بيّن أهل العلم أن هذه الشعيرة لا تختص بأهل الولايات، بل يشترك فيها جميع المسلمين، متى ما توفرت فيهم شروط الإنكار، قال إمام الحرمين: "الدليل عليه إجماع المسلمين، فإن غير الولاة في الصدر الأول والعصر الذي يليه كانوا يأمرون الولاة وينهونهم، مع إقرار الأمة لذلك"، مما يدل على أن هذه الفريضة من مسؤولية الأمة جمعاء لا فئة محددة، ثم إن الإنكار إنما يكون ممن له علم بالمنكر المراد تغييره، ويُفرّق بين ما هو من المحرمات الظاهرة التي يعلمها عامة الناس، كترك الصلاة أو شرب الخمر، وبين ما هو من دقائق المسائل الاجتهادية التي لا يُنكر فيها على المخالف، إذ لا إنكار في مسائل الاجتهاد عند جمهور أهل العلم، لكن يُنصح برفق، ويُرغَّب في الخروج من الخلاف إن لم يلزم منه ترك سنة أو الوقوع في خلاف آخر[3].

فتبين أن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي صمّام أمان الأمة، ووسيلة إصلاحها، والدرع الذي يصد عنها الفتن والانحرافات، ولذلك أمر بها النبي ﷺ بحسب الاستطاعة، ليُشارك كل فرد في حفظ بنية المجتمع من التفسخ والضعف قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف

---

(1) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٤٩، ٦٩/١.

(2) النووي, *شرح النووي على مسلم*, ٢٢/٢.

(3) ينظر: النووي, *شرح النووي على مسلم*, ٢٢/٢-٢٣.

ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» [1]، وعليه، فإن الحفاظ على وحدة الأمة لا يتم إلا من خلال تفعيل هذا المبدأ العظيم، الذي يُعدّ من أهم الآليات الاجتماعية في الشريعة، لما له من دور فعّال في تصحيح الانحرافات، وبث روح الإصلاح، وتحقيق التراحم والتكافل بين المسلمين، فبه يُسدّ الخلل ويُتدارك الخطر قبل أن يزداد ويخرج عن السيطرة فلا يستجاب للصالحين فضلا عن غيرهم من المؤمنين.

وكذلك من أبلغ ما ورد في السنة النبوية في بيان أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحفاظ على وحدة الأمة واستقامتها، ما رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضُهم أعلاها، وبعضُهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقَوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أننا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نُؤذِ من فوقنا، فإن يتركُوهم وما أرادوا هلَكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجَوا جميعًا»[2]، ويُظهر هذا الحديث الشريف أن سلامة المجتمع الإسلامي إنما تتحقق من خلال التكافل الجماعي، الذي يجعل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية مشتركة لا فردية. فإذا تخلى الناس عن هذا الواجب، فإن الهلاك يعمّ الجميع، حتى من لم يشارك في المنكر، لأن ترك الإنكار نوع من القبول والتفريط في الأمانة الشرعية.

قد قال ابن بطال في شرحه لهذا الحديث: "وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[3]؛ أي أن تهاون الأمة عن الإصلاح ومقاومة الفساد يستجلب العقوبة الإلهية الجماعية، ولو بدأ المنكر صغيرًا، كخرق في موضع من السفينة، فإنه لا يلبث أن يفتك بالجميع إن لم يُسدّ مبكرًا، وهذا المعنى هو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25]، فإن الفتنة حين تُترك دون إنكار، لا تقف عند الظالم وحده، بل تعم الصالح والطالح، إذا لم يُؤخذ على يد الظالم، وإن النبي ﷺ في هذا التشبيه البليغ قد صوّر المجتمع الإسلامي كأهل سفينة واحدة، تربطهم مصالح مشتركة ومسؤولية متبادلة، فلا

---

(1) الترمذي, *سنن الترمذي*, رقم الحديث: ٢١٦٩، ٤٦٨/٤.

(2) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٢٣٦١، ٨٢٢/٢.

(3) ابن بطال, *شرح البخاري*, ١٣/٧.

مجال للانعزال أو اللامبالاة، بل على كل فرد أن يسهم في الحفاظ على سفينة الأمة، وحدود الشريعة فيها كجدران هذه السفينة التي تحفظها من الغرق. وقد قسم المجتمع إلى طائفتين: طائفة قائمة على حدود الله، ناهية عن المنكر، وهم الطبقة العليا، وطائفة واقعة في المخالفة، وهي الطبقة السفلى، لذا يجب على الفئة الراشدة العاقلة أن تتدخل بالحكمة والحزم لإنقاذ المجتمع من هذا الانهيار، فإن التغاضي عن المنكرات وإن صغُر شأنها، هو سبب مباشر لخراب المجتمع وفقدان وحدته.

وإضافة إلى ما قلنا فإنه إذا فُقدت هذه الوظيفة أو ضعفت، فإن المجتمع الإسلامي يتعرض لتفكك داخلي، وفتن متتابعة لا يُدرك مداها إلا الله تعالى. فحين تنتشر المعاصي، سواء كانت فكرية أو سلوكية، وتفقد الأمة أدوات الإصلاح، فإنها توشك أن تغرق في طوفان من الفساد والانحلال، ولأجل ذلك إن المنكر إذا استتر لم يؤذِ إلا صاحبه، أما إذا ظهر فإنه يصيب الخاصة والعامة، قال عمر بن عبد العزيز في هذا المعنى: "كان يُقال: إن الله تبارك وتعالى لا يُعذِّب العامة بذنب الخاصة، ولكن إذا عُمِل المنكر جِهارًا، استحقوا العقوبة كلهم"[1]، فظهور المنكرات دون إنكار هو بمثابة تفريط جماعي تستحق عليه الأمة العقوبة، لأنه إعلان ضمني بقبول الفساد أو على الأقل بالسكوت عليه، وهو ما يهدد وحدة الصف ويخلخل البنيان.

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المبحث: أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بدّ فيه من مراعاة المصالح والمفاسد، والنظر في مقاصد الشرع وأحوال الناس. فإنّ من الناس من يُقدم على الإنكار بغير بصيرة، ولا سيما في هذا الزمان الذي قلّ فيه العلم الشرعي، فيقع في ذنبٍ لا يشعر به؛ لأنه قد يتسبب في تفريق المسلمين وإثارة الخلاف بينهم من غير موجبٍ شرعي، وقد نبّه ابن تيمية إلى هذا الخطر حين قال: "وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان، فقد يندب الرجل أو الطائفة ويسكت آخرون عن الأمر والنهي، فيكون ذلك من ذنوبهم، وينكر عليهم آخرون إنكارًا منهيًا عنه، فيكون ذلك من ذنوبهم، فيحصل التفرق والاختلاف والشر..."[2]، ثم ذكر أن الفتن

---

(1) مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني مالك بن أنس, *موطأ الإمام مالك*, تحقيق بشار عواد معروف - محمود محمد خليل (بيروت: مؤسسة الرسالة, ١٩٩١ م), رقم الحديث: ٢٠٩٣، ١٧١/٢.

(2) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ابن تيمية, *الاستقامة*, تحقيق محمد رشاد سالم (رياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, ١٩٨٣), ٢٤١/٢.

التي وقعت بين علماء الأمة وملوكها وعامتها إنما أصلها هو التفاوت في القيام بهذه الفريضة، بين إفراط وتفريط، بين الغفلة والغلظة، وكلٌ وقع في نوع من الظلم والجهل بحسب موقعه.

وبناءً على ما سبق، يتبيّن أن الأمر بالمعروف والنهي عن هو حماية أساسية تحفظ جماعة المسلمين من التفكك والانهيار، وهو من أهم ركائز وحدة الأمة وتماسكها، فبه تُقام الحجة، وتُصان القيم، ويُوجَّه المخطئ إلى الصواب، ويُساق المجتمع نحو طريق الاستقامة، وقد جاءت نصوص الشريعة لتؤكد أن هذه الفريضة سبب في النجاة الجماعية، وأن التهاون فيها يؤدي إلى فتن عامة لا تُبقي ولا تذر، فالأمة التي تُهمِل هذه الفريضة تُعرّض نفسها للفوضى والانقسام، أما الأمة التي تُحييها بروح من الحكمة والعدل واللين، فإنها تُقوّي روابط الوحدة والتراحم، وتسدّ أبواب الفتن والفرقة، وتظل متماسكة في وجه التمزق والانحلال، فبصلاح هذا الواجب يصلح حال الأمة، وبإهماله -نسأل الله العافية- يبدأ طريق الهلاك.

2.2.5. التمسك بمكارم الأخلاق

قد حث الإسلام على التمسك بمكارم الأخلاق، لما لها من أثر بالغ في صلاح الأفراد والمجتمعات، بل في قوة الأمم وعزتها، وخاصة أمتنا الإسلامية التي لا تقوم لها قائمة إلا إذا ارتفعت بأخلاقها. وكان من أبرز أسباب قوة الصحابة رضي الله عنهم وتماسك صفهم التربوي تمسكهم بمكارم الأخلاق، والتي استمدوها من معلمهم الأول رسول الله ﷺ، الذي شهد له ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]، حتى جمع الله به القلوب، وقرّب بين النفوس، ووحّد القبائل المختلفة في جماعة واحدة هي أمة الإسلام.

وقد ورد في الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ إنما كان يأمر بمكارم الأخلاق، ففي الحديث: "لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ، قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، يأتيه الخبر من السماء، فاسمع من قوله، ثم ائتني، فانطلق الأخ حتى قدمه، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر، فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق"[1]، فتُظهر هذه

---

(1) البخاري, صحيح *البخاري*, رقم الحديث: ٣٦٤٨، ١٤٠١/٣. مسلم, صحيح *مسلم*, رقم الحديث: ٢٤٧٤، ٤/ ١٩٢٣.

النصوص أن مكارم الأخلاق هي أداة ربانية لوحدة الأمة، بها جذب النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، وبها أقام مجتمعه الأول، فتآلفت به القلوب وتوحدت به الصفوف، وإن الأمة التي تتأدب بأخلاق نبيها، وتتحلى بالحلم، والعدل، والتواضع، والعفو، والإيثار، هي أمة تبقى موحدة قوية متماسكة، لا تزعزعها خلافات ولا تسيطر عليها أعداء.

2.2.5.1. من مكارم الأخلاق حسن الظن:

يُعد حسن الظن من أهم أخلاق الإسلام التي تُسهم في تثبيت الوحدة بين المسلمين، فهو خُلق ينقّي القلب، ويؤسس لعلاقات اجتماعية قائمة على الثقة والطمأنينة بين أفراد الأمة، ويحول دون تسلل الشكوك والوساوس التي تؤدي إلى البغضاء والفرقة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: 12]، فنهى الله عز وجل عن التسرع في إساءة الظن؛ لما يترتب عليه من تبعات خطيرة في العلاقات الاجتماعية، وقد أُمرنا باجتناب كثير من الظن، مما يدل على أن الظنون الآثمة كثيرة ويجب تمحيصها، ولا يجوز اعتمادها بغير دليل بيّن[1].

وحسن الظن لا يُطلب فقط في التعامل مع الخلق، بل هو أولًا في حق الله تعالى؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ قبل وفاته بثلاث يقول: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ»[2] فالمسلم مأمور بحسن الظن بربه، وحسن الظن بإخوانه المؤمنين، وإذا تحقق ذلك استراحت النفوس وسكنت القلوب، وضعفت دوافع الشقاق وسوء الفهم، وسهل تقبُّل الخلاف المعتبر الذي يُحتمل فيه وجه الاجتهاد.

ومن أعظم آثار هذا الخلق على وحدة الأمة: أنه يهيّئ بيئة نفسية لقبول العذر، والتماس المسوغات للمخالف، خاصة في المسائل التي يسوغ فيها الخلاف، كما يُسهم حسن الظن في احترام اختلاف جهات إصدار الفتوى، وتقدير اجتهادات العلماء، ويمنع من التحامل أو التسرع في اتهام النيات، وهو ما نحتاجه في عصر كثرت فيه المؤثرات ومداخل التفرقة.

---

(1) ينظر: ابن عاشور, *التحرير والتنوير*, ٢٥١/٢٦. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي, *مفاتيح الغيب* (بيروت: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٠), ١٠٢/٢٨.

(2) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٨٧٧، ٢٢٠٦/٤.

وقد نبّه النبي ﷺ على خطورة سوء الظن لما يترتب عليه من فساد في العلاقات، فقال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ...» إلى قوله: «وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»[1]،فختم الحديث بالدعوة إلى الأخوة، ليدل على أن حسن الظن طريق مباشر إلى ترسيخ هذه الرابطة.

فإذا انتشر هذا الخُلق بين المسلمين، تقاربت قلوبهم، وزالت الشكوك، وتهيأت النفوس لقبول التناصح والتسامح، وساد جو من التفاهم والتعاون، وهو ما تحتاجه الأمة لتبقى متماسكة أمام حملات التشكيك والتفريق.

2.2.5.2. ومنها: العفو والتسامح:

جاء الإسلام برسالة السلام والتسامح والتعايش مع جميع البشر، ودعا إلى العفو والصفح، وغرس في النفوس المبادئ الراقية للوصول إلى الأخلاق العالية، وذلك لبناء مجتمع متماسك يسوده التراحم وتُظَلِّله الأخوّة الإيمانية، وقد أُسست هذه المبادئ على توجيهات القرآن الكريم وهدي النبي ﷺ، فكان من أعظم ما يحفظ وحدة الأمة ويؤلف بين قلوبها هذا الخلق النبيل، قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقد فسّر أهل العلم هذه الآية بأنها دعوة إلى الأخذ بالسماحة وترك الشدة في المعاملة، ومن صور ذلك: قبول العذر، والعفو عن الزلات، وتجنب التفتيش في نوايا الناس، بل الإعراض عن الجاهلين، كل ذلك لبناء بيئة تسودها المحبة ويتحقق فيها التماسك الاجتماعي، قال الطبري: "خذ العفو من أخلاق الناس، واترك الغلظة عليهم"[2]، فالعفو هنا ليس مظهرًا من مظاهر الضعف أبدا، بل هو قوة داخلية وموقف تربوي يُعيد ترتيب العلاقات بعد أن توشك أن تنفصم، ويمنح الطرف الآخر فرصة للتصحيح والمصالحة، ولذلك كان من أثر هذا الخلق في وحدة الأمة: قدرته على تجاوز الخلافات والتوترات التي تنشأ في المجتمع، لا سيما بين طوائفه

---

(1) البخاري, صحيح *البخاري*, رقم الحديث: ٤٨٤٩، ١٩٧٦/٥. مسلم, صحيح *مسلم*, رقم الحديث: ٢٥٦٣، ١٩٨٥/٤.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (329/13). الطبري,*تفسير الطبري*, ٣٢٩/١٣.

وأفراده، حيث يردّ العدوان بالحسنى، ويُقابل الخطأ بالإصلاح، فتذوب الشحناء ويعود الصف إلى تماسكه[1].

ومن أروع الشواهد التطبيقية على هذا الخلق ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت أَمشي مع رسولِ اللَّه ﷺ، وعليه بُردٌ نجرانيٌّ غليظُ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجبذَ رداءه جبذةً شديدةً، قال أنسٌ: فنظرتُ إلى صفحة عاتق النَّبيّ ﷺ وقد أثَّرت بها حاشيةُ الرِّداء من شدَّة جبذتِه، ثمَّ قال: يا محمَّدُ! مُر لي من مال اللَّه الَّذي عندك. فالتفت إليه، فضحِك، ثمَّ أمر له بعطاءٍ»[2]، فالحديث يبرز كيف جسّد النبي ﷺ العفو في أبهى صوره، فلم يغضب لنفسه، ولم يُقابل الجفوة بمثلها، بل قابلها بحلم وابتسامة، وأعطى ذلك الأعرابي من مال الله، وهو ما يعلّم الأمة أن العفو وسيلة عملية للحفاظ على الألفة، لا سيما في مواقف الاستفزاز والانفعال، كل هذا التسامح وهو رسول الله من جهة ورئيس الدولة من جهة، والأعرابي كان مؤمنا به فكيف ينبغي أن يكون غيره من الرؤساء والملوك والمسؤولين، قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: " وفي هذا الحديث بيان حلمه ﷺ وصبره على الأذى في النفس والمال، والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام، وليتأسى به الولاة بعده في خلقه الجميل من الصفح والإغضاء والدفع بالتي هي أحسن. "[3]، وفيه أيضا الصبر على جهل الجاهلين، وعدم رد الإساءة بمثلها، بل مقابلتها بالإحسان، ومراعاة من يُراد كسب قلبه، والعفو عمّن ارتكب معصية كبيرة بسبب جهله، إذا لم تكن فيها حدود شرعية [4].

فإذا انتشر هذا الخلق في الأمة، سادت الرحمة، واندفعت كثير من مظاهر العنف والخصومة والقطيعة، التي إن تُركت كانت سببًا في الفُرقة وزوال المحبة، لذلك، فإن العفو لا يكتفي بحماية العلاقات الاجتماعية، بل يساعد أيضًا على إصلاحها وتقويتها كلما تعرضت لما يضعف وحدته.

---

(1) ينظر: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل, *اللباب في علوم الكتاب*, تحقيق علي محمد معوض - عادل عبد الموجود (بيروت: دار الكتب العلمية, 1419), ٤٣١/١٩.

(2) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٥٧٣٨، ٢٢٦٠/٥. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٠٥٧، ٢/ ٧٣٠.

(3) ابن حجر العسقلاني, *فتح الباري بشرح البخاري*, ٥٠٦/١٠.

(4) ينظر: النووي, *شرح النووي على مسلم*, ٧٣٠/٢.

2.2.5.3. ومنها: الإيثار:

يُعد الإيثار من أعظم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، قال الجرجاني: "الإيثار أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة"[1]، فهو خلق رفيع يتمثل في تقديم المسلم غيره على نفسه في وجوه الخير والنفع، سواء في المال أو الجاه أو الخدمة أو حتى في النفس والأهل[2]، وهو أعلى مرتبة السخاء [3]، وبذلك ضد الشح، الذي حذّر منه النبي ﷺ لما له من أثر خطير في تمزيق وحدة الأمة، فقال عليه الصلاة والسلام: "إيّاكم والشُّحّ، فإنّ الشُّحّ أهلك مَن كان قبلكم"[4].

وقد أثنى الله عز وجل على الأنصار في خلق الإيثار، فقال سبحانه في وصفهم: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ [الحشر: ٩]، فهذا الإيثار لم يكن مع السعة، بل كان مع شدة الحاجة، ومع ذلك قدّموا إخوانهم المهاجرين على أنفسهم، فاستحقوا بذلك وسام الثناء من رب العالمين.

فالإيثار من المقومات الأخلاقية التي تُذيب ما في النفوس من أنانية، وتبعث روح الأخوة الصادقة بين المسلمين، لأنه إذا أحب المرء لغيره ما يحب لنفسه زال الحسد وسقط البغض واستقرت المحبة في القلوب، وكان ذلك سببًا في تماسك الصف واجتماع الكلمة، وقد قال النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[5]، وهذا الحديث إن طبق في حياة المسلمين حق التطبيق يتوحد أفراد الأمة توحد الأعضاء في الجسم الواحد.

---

(1) الجرجاني, *كتاب التعريفات*, ٤٠.

(2) ينظر: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي ابن العربي, *سراج المريدين فى سبيل الدين* (طنجة - المغرب، بيروت - لبنان: دار التحديث الكتانية, ٢٠١٧), ٣٢١/٣.

(3) ينظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الغزالي, *إحياء علوم الدين* (بيروت: دار المعرفة, د. ت), ٢٥٧/٣.

(4) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ٦٧٩٢، ٣٩٨/١١.

(5) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ١٣، ١٤/١. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٤٥، ١/ ٦٧.

فبالإيثار تزول أسباب الشحناء، ويُقدَّم حق الأخوة على حظ النفس، فيجتمع المسلمون على التعاون والتكافل، وتسود بينهم المودة والرحمة، فيكونون عباد الله إخوانًا، لا تباغض بينهم ولا تحاسد، بل قلوبهم صفٌ واحد كأنها بنيان مرصوص.

وبذلك يتبين أن مكارم الأخلاق هي فضائل فردية واجتماعية، وهي من أهم الدعائم التي تُقيم وحدة الأمة وتشد أواصرها وتُقوّي بنيانها، فكل خلق حسن يؤدي دورًا عمليًا في ترسيخ المحبة بين المسلمين، وتخفيف حدة الخلاف، ودفع أسباب الشقاق والتباغض، فالصدق يوثق العلاقات، والعدل ينزع الغبن والظلم، والتواضع يزيل الكِبر والتفاخر، والحلم يطفئ نار الغضب، والرحمة تورث الشفقة والتعاون، وسائر الأخلاق الفاضلة لها أثر مباشر، وغير مباشر في جمع القلوب وتكافل الجماعة المسلمة، كما أن هذه الأخلاق تحفّز الأفراد على أداء ما عليهم من واجبات تجاه إخوانهم وأمتهم، فتسود بينهم روح المسؤولية والتكافل والإحسان، وتنبني بذلك الأمة على أساس من المحبة والإيمان والأخوة، لا تفرقها الأهواء ولا تشتتها المصالح، فكلما زادت أخلاق المسلمين صفاءً وقوةً، زادت وحدتهم واشتد تماسكهم.

3. دور النصوص الإسلامية في وحدة الأمة

3.1.أهمية النصوص الإسلامية في وحدة الأمة

تُعدّ النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية هي الركيزة الأساسية التي بُني عليها كيان الأمة الإسلامية، ومنهجها، وهما المصدران المعصومان اللذان يوجهان المسلمين نحو الوحدة والاتحاد، ويحذّران من التفرق والتنازع، فقد جاءت هذه النصوص بتقرير وحدة الأمة عقيدةً وشريعةً، ودعت صراحة إلى الاجتماع على الحق، ونبذ الفرقة.

وفي هذا الفصل سيتم استعراض طائفة من هذه النصوص، وبيان دلالاتها الواضحة في الدعوة إلى وحدة الصف والاجتماع على الكتاب والسنة، مع إبراز الأثر العظيم لهذه النصوص في بناء أمة متماسكة قوية، منذ فجر الإسلام إلى يوم الناس هذا، فبقدر تمسك المسلمين بها كانت قوتهم، وبقدر التفريط فيها كانت فرقتهم وضعفهم ولا يزال.

ولا ريب أن النصوص الشرعية حقُّها التعظيم والامتثال، فهي من الله عز وجل، وتعظيمها هو من الإيمان، بل هو الإيمان، وهو حقيقة الإسلام، الذي يقوم على الخضوع لله تعالى بالتوحيد، والانقياد الكامل للنبي ﷺ بالطاعة والمتابعة، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال أيضًا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: 36]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: 1]، قال الطحاوي: "ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام"[1].

فلا عجب بعد هذا أن تكون النصوص القرآنية والحديثية هي منطلق الوحدة، ومصدر قوتها، وطريق الخلاص من الفتن والاختلاف، بل هي الملاذ لكل من أراد أن يجمع الله به الكلمة، ويُقيم به الحجة.

---

(1) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزديّ الطحاوي, *العقيدة الطحاوية*, تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (بيروت: المكتب الإسلامي, ١٤١٤ هـ), ٤٣.

3.1.1. النصوص القرآنية الداعية إلى الوحدة

يُعدُّ القرآن الكريم المصدر الأول والأعلى للتشريع الإسلامي، والمرجع المعصوم الذي يهدي إلى التي هي أقوم، ويوجه الأمة نحو الاجتماع والائتلاف. فهو كلام الله العزيز، الذي أنزله لهداية البشر وإصلاح أحوالهم، وتوحيد صفوفهم على الحق، وتحقيق العدل فيما بينهم، وقد اعتنت آياته بتقرير وحدة الأمة وبيان أصولها، والتحذير من الفرقة والنزاع، لتكون أكثر تأثيرا وبلاغا في نفوس الخلق، فهو الأعلم بما يصلحهم وينفعهم، قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14]، وفي هذا المبحث، سيتم عرض أبرز الآيات القرآنية التي تدعو إلى الوحدة، مع تحليل دلالاتها واستنباط ما فيها من التوجيهات الربانية التي تسهم في توحيد المسلمين.

وقد جاء توجيه القرآن الكريم إلى وحدة الأمة في أساليب متنوعة، تضمنت أوامر ونواهي وتقريرات محكمة تؤسس لبناء مجتمع مسلم موحد، فدعا إلى الاعتصام بحبل الله والتعاون على البر والتقوى، ونهى عن التنازع والتفرق الذي يؤدي إلى الفشل، كما أكد على الأخوة الإيمانية، وأمر بالإصلاح بين المؤمنين إذا اقتتلوا، وربط ذلك بالتقوى والعدل، ومن أوجه دلالاته أيضًا توحيد مصدر التلقي ومنهج السير، وذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنة عند الاختلاف، وعدم تقديم شيء بين يدي أوامر الله ورسوله، ثم جاء البناء العملي لهذه الوحدة من خلال إقامة جماعة إيمانية متراصة، متحدة في العبادات الجماعية والمعاملات اليومية، تلتزم بأمر الله في الجماعة والطاعة والتكافل، فتحقق بذلك الصورة النموذجية للأمة الواحدة التي أرادها الله لعباده.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، هتين الآيتين تؤصلان الأساس العقدي بين المسلمين إذ تؤسس أن المسلمين على أمة واحدة ودين واحد ما داموا على الحق وهذا ما ينبغي أن يكونوا عليه،

قال الزجاج: "أن هذه أمتكم في حال اجتماعها على الحق، فإذا افترقت فليس من خالف الحق داخلا فيها،" [1].

وقال عز وجل: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، نقل الطبري عن عبد الله بن مسعود أنه قال: حبل الله: الجماعة [2].

وقال: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ [الحج: ٧٨]، أي بما أمر في كتابه وما قاله نبيه ﷺ، ولا شك يدخل فيه الأخوة الإيمانية الوحدة بين المؤمنين، قال البقاعي: "في جميع ما أمركم به، من المناسك التي تقدمت وغيرها لتكونوا متقين" [3]، والاعتصام به هو الاستمساك به وبدينه كما ذكرنا في تعريف الاعتصام، قال أبو زهرة: "الاستمساك به، بأن يكونوا مستمسكين بأوامره ونواهيه، ومستمسكين بذاته العلية لَا يفكرون إلا فيه، ولا يبتغون غيره، ويلتفون حول شريعته غير منفصلين عنه" [4].

وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٠]، تثبت الأخوة الإيمانية، وتوجب الإصلاح إذا وقع الخلاف بينهم قال الثعلبي: "إنما المؤمنون إخوة في الدين، والولاية فأصلحوا بين أخويكم إذا اختلفا، واقتتلا" [5].

---

(1) أبو اسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج, *معاني القرآن وإعرابه*, تحقيق عبد الجليل عبده شلبي (بيروت: عالم الكتب, ١٩٨٨ م), ٤٠٤/٣.

(2) الطبري, *تفسير الطبري*, ٥/ ٦٤٤.

(3) برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي, *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور* (حيدر آباد - الهند: دائرة المعارف العثمانية, 1969), ١٣/ ١٠٤.

(4) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد أبو زهرة, *زهرة التفاسير* (د. م: دار الفكر العربي, د. ت), ٩/ ٥٠٣٨.

(5) أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي, *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*, تحقيق أبو محمد ابن عاشور (بيروت: دار إحياء التراث العربي, ٢٠٠٢ م), ٩/ ٧٩.

وقال: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46]، فيها أن التنازع والاختلاف سبب للفشل وانتهاء الذكر والقوة قال الطبري: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: أطيعوا أيها المؤمنون ربَّكم، ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تخالفوهما في شيء -ولا تنازعوا فتفشلوا-، يقول: ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم "فتفشلوا"، يقول: فتضعفوا وتجبنوا، وتذهب ريحكم" [1].

وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، قال مكي بن أبي طالب: "حذر الله المؤمنين أن يكونوا مثل اليهود الذين اختلفوا في كتابهم وتفرقوا فرقاً، وأمرهم بالجماعة، وينهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالاختلاف والمراء والخصومات في دين الله" [2].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعالم: ١٥٩]، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ * مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ [الروم: ٣٢]، وقوله: وقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣]، في هذه الآيات توبيخ شديد وتحذير صريح من التفرق في الدين، وبيان لموقف النبي ﷺ من الذين خالفوا منهج التوحيد والاعتصام، وسلكوا سبيل التشيع والتجزئة، فالمقصود بها أولئك الذين جعلوا الدين أجزاءً متفرقة، واتبعوا أهواءهم، فكل فرقة تشايعت خلف إمامها، واختارت منهجًا محدثًا ليس من الدين في شيء، فيشمل أهل البدع من هذه الأمة، ممن أعرضوا عن الحق الذي جاء به النبي ﷺ، واتبعوا طرقًا محدثة في الاعتقاد والعمل، فاستحقوا وصف الافتراق، بل وأُطلق عليهم لفظ المشركين لأنهم ممن اتخذ إلهه

---

(1) الطبري, *تفسير الطبري*, ١١/ ٢١٤.

(2) أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي مكي بن أبي طالب, *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه*, تحقيق الناشر (الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة, ٢٠٠٨ م), ٢/ ١٠٨٩. [بتصرف يسير]

هواه [1]، و"سيجزون اولا على تفرقهم فى دينهم وسوء اعتقادهم ثم يجزون على أفعالهم ومعاصيهم"[2]، فمن خالف وحدة الدين والحق، واتبع الهوى، وفارق الجماعة، فإن النبي ﷺ بريء منه، وهو على خطر عظيم في دينه، وهذه دلالة عظيمة على أن وحدة الأمة لا تقوم إلا على وحدة الدين، وأن التفرق في الدين هو السبب الرئيسي لانقسام الصفوف وضعف الأمة، وأن الأصل هو لزوم منهج النبوة وعدم التشيع للفرق والآراء التي تمزق الأمة [3].

وقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢]، وهذه الآية من الآيات العظام التي فيها الأمر بالوحدة والتعاون على كل خير، وقد اشتملت السورة في بدايتها على أمهات التكاليف الدينية ومنها الأمر بالوحدة والتعاون على الخير والتقوى الذي هو من ميزات هذا الدين العظيم، حتى قال بعض المفسرين عن السورة: "ولو لم يكن إلا ﴿تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى واعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾ [المائدة: 8] لكفى"[4] .

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩١]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1] دلائل واضحة لتربية الناس على الوحدة والأخوة بينهم، فهي تأمر بالوفاء بجميع أنواع العهود - التي لا عصيان فيها-، سواء كانت بين العبد وربه، أو بينه وبين غيره من الناس، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، وجاء في موسوعة التفسير المأثور: "يعني العهد الذي كان عهد إليهم في القرآن فيما أمرهم من طاعته أن يعملوا بها، ونهيه الذي نهاهم عنه، وبالعهد الذي بينهم وبين المشركين، وفيما يكون من العهود بين الناس" [5]، فترسي دعائم الثقة والاحترام المتبادل داخل المجتمع الإسلامي، وتمنع أسباب التنازع والتفكك التي تنشأ عن خيانة العهود أو الغدر بالمواثيق. ولا شك أن الوفاء

---

(1) ينظر: وهبة الزحيلي, *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج* ((بيروت-لبنان)، (دمشق-سوريا): دار الفكر المعاصر، دار الفكر, ١٩٩١ م), ٨/ ١١٥-١١٨.

(2) ينظر: محمد ثناء الله الهندي المظهري, *التفسير المظهري*, تحقيق غلام نبي التونسي (الباكستان: مكتبة الرشدية, ١٤١٢ هـ), ٣١٨/٣.

(3) ينظر: المظهري, *التفسير المظهري*, ٢٣٤/٧.

(4) الآلوسي, *روح المعاني*, ٢٢٣/٣.

(5) مركز الدراسات والمعلومات القرآنية, *موسوعة التفسير المأثور*, ٣٠٣/٧.

بالعهود يثمر الاستقرار والوئام بين أفراد الأمة، ويجعل العلاقات قائمة على أسس واضحة من العدل والصدق، وقد جاء في الحديث ما يعزز ويوضح هذا المعنى، حيث قال النبي ﷺ: "ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"[1]، إذ بناءً عليه الأمة الإسلامية بجميع أفرادها تمثل كيانًا واحدًا تتكافل فيه الحقوق، ويتعاون فيه الجميع على حفظ الذمة والوفاء بها، فلا يُخفر عهد أبرمه أحد المسلمين مع غيره، ولو كان من أدناهم منزلة، ومثل هذا النظام الأخلاقي والتشريعي، حين يسود في الأمة، يجعلها صامدة في وجه الانقسام، والتفرق ويمنع من الفوضى والنزاع، ويضمن لها التماسك في الداخل، والهيبة في الخارج، لأن الأمة التي تحفظ عهودها وتفي بها لا تنقسم ولا تُخدع.

والمتأمل في الآيات التي سبقت، يجد أن التوجيهات الربانية التي وردت في القرآن الكريم تُشكل منهجًا متكاملًا يرسم للأمة الإسلامية طريق وحدتها، ويربط أفرادها بعقيدة واحدة، وغاية مشتركة، ومصير موحَّد، فالاجتماع على العقيدة والدين، والانضباط بشرع الله تعالى، هو الحصن الحصين الذي يحفظ الأمة من التمزق والتشرذم، وهو من أعظم أسباب قوتها وغلبتها على أعدائها، وكيف لا يكون كذلك، وهذه الأوامر والتوجيهات صادرة من خالق البشر، العليم بما يصلحهم ويفسدهم؟! لذا لو أن الأمة الإسلامية أطاعت أمر الله حق طاعته، واجتمعت على دينه، وابتعدت عن أسباب الخلاف، لانكشفت أمامها كل المؤامرات التي تُدبَّر ضدها، وتحطمت تلك المخططات أمام وحدتها القوية؛ لأن الأمة إذا تمسكت بدينها وعقيدتها، لا تُغلب من قلة فكيف من كثرة.

ولا ريب أنه لا قوة على وجه الأرض -سياسية كانت أو عسكرية- يمكن أن تُوحِّد الأمة حقًا كما تُوحدها قوة الإيمان، التي تجمع بين القلوب تحت راية -لا إله إلا الله، محمد رسول الله-، تلك القوة التي ألّفت بين المهاجرين والأنصار، وجمعت الأوس والخزرج، ووحّدت بين العرب والعجم في صف واحد، ولعلّ في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: 63]، تقريرًا لهذا المعنى العظيم، فالوحدة التي تبنيها النصوص الإلهية ليست سطحية أو مؤقتة، بل

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٦٨٧٠، ٢٦٦٢/٦. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٣٧١، ٢/ ٩٩٩.

هي وحدة تذيب الفوارق وتربط القلوب بالإيمان، وتجعل من الأمة جسدًا واحدًا يشد بعضه بعضا لا يتصدع ما دامت مستمسكة بكتاب ربها وسنة نبيها.

3.1.2. الأحاديث النبوية التي تحث على الوحدة وتحذر من الفرقة

تُعد السنة النبوية المطهرة المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وهي المبينة له والمفسرة لأحكامه، والمتممة لمنهجه، وقد كان من مقاصدها توجيه الأمة نحو الاجتماع، وترسيخ معاني الأخوة، وتحذيرها من أسباب الفرقة والضعف، وقد جسد النبي ﷺ هذا المعنى العظيم في أقواله وأفعاله وسيرته كلها، فكان حريصًا على جمع المسلمين على قلب رجل واحد، وإزالة كل الحواجز القبلية والعنصرية التي كانت سائدة في الجاهلية.

وقد تجلّى هذا الحرص في مواقف عظيمة، منها ما أخرجه الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال: «يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عبِّيَّة الجاهلية وتعاظمها بآبائها، الناس بنو آدم، وآدم من تراب» [(1)].

وفي هذا البيان النبوي الشامل، إلغاء صريح لكل اعتبارات العصبية الجاهلية، وتأسيس لوحدة إسلامية شاملة تقوم على مبدأ المساواة في الأصل الإنساني والكرامة الإيمانية، وهذا المعنى نفسه أكدته الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13] ,فهذا التنوع بين البشر في الأعراق واللغات والطبائع لا ينبغي أن يكون سببًا للتنازع، بل هو مدعاة للتكامل والتعاون في القيام بمسؤوليات الأمة وتلبية حاجاتها. فالوحدة التي يؤسسها الإسلام لا تلغي الخصوصيات، بل هي وحدة قائمة على التآلف في العقيدة والتعاون في الطاعة، والانضواء تحت راية الإسلام.

ومما ورد في هذا الباب من الأحاديث التي تؤصل مبدأ الوحدة وترسّخ معاني التماسك بين المؤمنين

قوله عليه الصلاة والسلام: "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا" [(2)]، شبّه فيه النبي ﷺ العلاقة بين أفراد الأمة بعلاقة اللبنات في البنيان الواحد، في دلالة واضحة على أن المؤمنين

---

(1) الترمذي, *سنن الترمذي*, رقم الحديث: ٢٧٧٤، ٥/٦٩٠.

(2) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٤٦٧، ١/١٨٢. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٥٨٥، ٤/ ١٩٩٩.

متكاملون متعاونون، لا غنى لبعضهم عن بعض، وأن قوة الأمة مستمدة من هذا التلاحم والارتباط بين أجزائها، تمامًا كما تتقوّى جدران البناء بتماسك لبناته واتصالها.

وقد أشار العلماء إلى أن هذا التشبيه يدل على أن كل فرد من أفراد الأمة له دور حيوي في تقوية الكيان العام، فإن غاب أو تعطّل، حصل الخلل، وضعفت البنية، وانتقض عقد الجماعة، كما في قول الذهلي حيث قال: "المؤمنون يرتفدون بالمؤمنين، ويتعاضدون ويتساعدون؛ فتقوى شوكتهم، ويعلو أمرهم، وكان ذلك مشعرًا بإيمانهم، فإنهم على شكل البنيان الذي كل لبنة منه من حيث اتصالها بأختها، تكون نفعًا لأخرى، وهكذا في سائر أجزائه"[1]، فالتشبيه جاء تأسيسًا لقيمة اجتماعية عظيمة، وهي وحدة الصف الإسلامي، القائمة على التعاون والتكامل لا على التشابه أو التطابق، ومما يستفاد من الحديث أن الاختلاف المشروع في الطبائع والوظائف لا ينقض أصل الوحدة، بل يقويها متى بُني على الإيمان والولاء لله ورسوله، وهذا من إعجاز الإسلام في الجمع بين التنوع والائتلاف.

وقال ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[2]، وقال في رواية: "المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى رأسه اشتكى كله وإن اشتكى عينه اشتكى كله"[3] يتجلى في هذا الحديث عمق الترابط الذي يجب أن يكون بين أفراد الأمة، ترابط لا يقف عند حدود التعاون المصلحي أو المجاورة الظاهرية، بل يتجاوز إلى وحدة في الشعور والتألم والتأثر، كأنهم كيان جسدي واحد.

وقد فصّل بعض العلماء في دلالة هذا الحديث، فقال بعضهم: "لما كان الإيمان ضامًا شمل المؤمنين، يتراحمون به، ويتوادّون فيه، ويتواصلون من أجله، كان تواصل المؤمنين وتراحمهم وتوادّهم دالًا على إيمان كلّ منهم، ويدخل في هذا من كان يحب أن تُجمع كلمة المسلمين، وأن ينصلح ذات بينهم،

---

(1) يحيى بن (هبيرة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين الذهلي, *الإفصاح عن معاني الصحاح*, تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد (د. م: دار الوطن, ١٤١٧ هـ), ٣٩٨/٦.

(2) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٥٨٦، ١٩٩٩/٤.

(3) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٥٨٦، ١٩٩٩/٤.

وأن يزول الشقاق عنهم والنفار، فإنه المؤمن حقًا، ومن كان بضد ذلك فهو بضده"[1]، فهنا لا يكتفي بوصف الحال المثالي للأمة، بل يرسم مقياسًا واقعيًا للإيمان، يتمثل في مقدار الشعور بمعاناة الأمة والقيام بحقوقها، فمن تألم لألم إخوانه وسعى في لمِّ شعثهم وإزالة أسباب الفرقة والنزاع عنهم، فهو المؤمن الصادق، ومن جهل هذا المعنى أو تجاهله فهو على خطر عظيم، وتظهر هنا عظمة السنة النبوية في ربط الوحدة الإيمانية بالوحدة الشعورية، بما يضمن بناء مجتمع متماسك مترابط، يحمي بعضه بعضًا ويقوّي بعضه بعضًا.

وهذه الأحاديث النبوية المتقدمة -وغيرها كثير تأتي في أبوابها- تؤكد أن الوحدة بين المسلمين أصلٌ شرعي وضرورة واقعية، وأن الجماعة رحمة والفرقة عذاب وقد أوصى النبي ﷺ بالتمسك بالجماعة ونبذ التفرق، كما في قوله: "عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة "[2]، وقوله: "والجماعة رحمة، والفرقة عذاب"[3]، وقوله: «إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان»[4]، وبين ﷺ أن مما يرضاه الله لعباده: "أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا"[5]، وأوصى بقوله: "وكونوا عباد الله إخوانًا"[6]، وهذه التوجيهات النبوية لم تكن مجرد شعارات، بل كانت قاعدة عملية بُني عليها مجتمع الصحابة رضي الله عنهم، فكانوا بحق خير أمة أُخرجت للناس.

وقد أدرك أعداء الإسلام خطورة هذا الاجتماع وقوته، فسعوا إلى تفريق المسلمين إلى كيانات صغيرة متناحرة، تختلف في الحدود والتوجهات والنُّظم، واللغات، بل واللهجات وذلك في إطار سياسة "فرّق تَسُد" التي نجحوا فيها إلى حدٍّ كبير، حتى تمكنوا من الهيمنة على مقدرات المسلمين واستضعافهم في شتى البقاع. ولا شك أن هذه الأمة -في صعبها وسهلها- لن تجتمع ولن تنتصر إلا

---

(1) الذهلي, *الإفصاح عن معاني الصحاح*, ٣٩٧/٦-٣٩٨.

(2) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ٢٣١٤٥، ٢٢٠/٣٨.

(3) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ١٨٤٤٩، ٣٩٠/٣٠.

(4) أبو داود, *سنن أبي داود*, رقم الحديث: ٢٦٢٨، ٢٦٧/٤.

(5) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٧١٥، ١٣٤٠/٣.

(6) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٥٧١٧، ٢٢٥٣/٥. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٥٨٥، ٤/ ١٩٩٩.

بما اجتمع عليه صدرها الأول من الإيمان والاعتصام بالكتاب والسنة، وتقديم مصلحة الأمة على حظوظ الأفراد والجماعات، والاحتكام في موارد النزاع إلى الوحي المعصوم.

وإن العقلاء من أبناء هذه الأمة يدركون أهمية الوحدة والاجتماع، لكن العائق الأكبر قد يكون غياب الآلية العملية لذلك، وهذه الآلية لا يمكن أن تستمد إلا من مصادر العزة والكرامة: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. فما صلح به أول هذه الأمة هو وحده ما يصلح به آخرها [1]، كما قال الإمام مالك رحمه الله.

فتُظهر هذه الأحاديث أن وحدة الأمة واجب شرعي ولا سبيل لذلك إلا باجتماع القلوب على طاعة الله، وائتلاف الصفوف على منهاج النبوة.

3.2.مظاهر وحدة الأمة في النصوص الإسلامية

مما يدل دلالة قاطعة على أن الشريعة الإسلامية قد اعتنت غاية العناية بوحدة الأمة، وجعلتها من المقاصد العليا للدين، أنها شَرعت جملة من الأحكام والشرائع التي لا يمكن تحقيقها في واقع الناس إلا إذا اتحدوا، وارتفع عنهم التفرق، وربطت بها كثيرا من الفرائض والواجبات، ومن هذا المنطلق، نذكر فيما يأتي أمثلة ظاهرة تدلّ على ما قررنا.

وتتجلى وحدة الأمة الإسلامية في النصوص الشرعية من خلال مظاهر متعددة تعكس تماسكها وتآلفها، سواء في العبادات أو المعاملات أو السلوكيات الاجتماعية، فالقرآن الكريم والسنة النبوية لم يكتفيا بالدعوة إلى الوحدة كمبدأ، أو قاعدة نظرية، بل رسما منهجًا عمليًا يظهر في جوانب الحياة المختلفة، مؤكدين أن الوحدة واقع يُعاش في حياة المسلمين اليومية.

ويهدف هذا الفصل إلى استعراض أبرز مظاهر وحدة الأمة كما وردت في النصوص الإسلامية، مع بيان كيف ساهمت أو تساهم هذه المظاهر في تعزيز التكاتف والتلاحم بين المسلمين عبر التاريخ، ومن خلال تحليل هذه النصوص، يتبين أن الوحدة تتجسد في العبادات الجماعية، والمعاملات العادلة، والأخلاق الرفيعة، مما يجعلها حجر الأساس لبناء مجتمع متماسك قادر على مواجهة التحديات والانقسامات.

---

(1) أبو القاسم ، عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي الجوهري, *مسند الموطأ للجوهري*, تحقيق لطفي بن محمد الصغير - طه بن علي ابو سريح (بيروت: دار الغرب الإسلامي, ١٩٩٧ م), ٥٨٤.

3.2.1. مظاهر الوحدة في العبادات

من أعظم صور الوحدة، اجتماع المسلمين يوميًا في الصلوات الخمس جماعة، واجتماعهم للجمعة أسبوعيا، واجتماعهم للحج سنويا لمن استطاع إليه سبيلاً، فكل هذه العبادات تظهر أهمية الوحدة وفيها من الرسالة الربانية لتربية النفوس على الوحدة والائتلاف والبعد عن التفرق والتباغض، وهذه التربية كانت ظاهرة بين أصحاب النبي ﷺ كما في حديث ابن مسعود الذي يقول فيه: "كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول "استووا ولا تختلفوا. فتختلف قلوبكم»"[1]، وكان يحذر أشد الحذر من ترك الجمعات حيث يقول: "لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات. أو ليختمن الله على قلوبهم. ثم ليكونن من الغافلين"[2]، والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ومن العبادات الظاهرة التي تُظهر وحدة المسلمين بأجلى صورها: الحج، وما فيه من الوقوف بعرفة، ذلك الموقف الذي يتجلى فيه المعنى الكامل للوحدة الإسلامية؛ إذ يجتمع المسلمون – على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأوطانهم – في موضع واحد، بلباس واحد، ونداء واحد، وفي وقت واحد، يؤدّون مناسك واحدة، امتثالًا لأمر واحد، واتباعًا لنبي واحد، وللوصول لهدف واحد، قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]، ولا ريب أن المنافع العامة مقدّمة على المنافع الخاصة، كما هو مقرر في الشريعة، وأي منفعة أعظم من أن تجتمع الأمة على أمر يرضي ربها ويقوّي شوكتها ويورثها النصر والعز في الدنيا والآخرة؟ فإن رسالة الحج في هذا واضحة، بل هو من أعظم ما شرعه الإسلام في ترسيخ معنى وحدة الأمة وإظهارها للعيان.

ومنها وحدتها في شهر صيامها، وفي مصالحها وأهدافها من إقامة الدين، ونشر العدل، وحفظ الحقوق، وتحقيق الأمن والسلام، وغيرها، لذا إنّ مظاهر الوحدة الإسلامية في العبادات كثيرةٌ لا تخفى، وهي في مجملها تمثل جانبًا عمليًا عظيما من مقاصد هذا الدين العظيم في توحيد القلوب وتصفية الصفوف وربط المسلمين برابطة الإيمان، ويمكن أن نقول أن كل ما ذكر من العبادات من الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وسائر الشعائر الجماعية – وقد يدخل فيها غير الجماعية أيضا – قد شُرعت لتعظيم جانب الوحدة، وتربية المسلم على الاندماج في الجماعة، والبعد عن مظاهر

---

(1) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٤٣٢، ٣٢٣/١.

(2) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٨٦٥، ٥٩١/٢.

التفرّق والانقسام، وليس ذلك من باب الاتفاق العارض، بل هو مقصد مقصود، ومنهج متكرر، وسمت ظاهر في هذا الدين الحنيف، يربي أبناء الأمة على الاجتماع لا على التشتت، وعلى الوفاق لا على الشقاق.

3.2.2. مظاهر الوحدة في العقيدة

إن من المعلوم أن الإيمان الصادق المأخوذ من الوحي والمقبول عند الله واحد لا متعدد، فالله خاطب الناس أن يؤمنوا إيمانا كإيمان محمد ﷺ وأصحابه الصادقين قال تعالى: ﴿**فَإِنْ** آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾[البقرة: ١٣٧]، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقال النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره"[(1)]، فالعقيدة والإيمان هو الأساس الذي يوحد أصحابه، وينبغي لأصحاب العقيدة الواحدة أن يكونوا واحدا فيما بينهم، وفي مقابل غيرهم[(2)]، وسنبين بشيء من التوضيح كيف تعزز هذه الأصول وحدة المسلمين من خلال توحيد المعتقدات والسلوكيات[(3)].

3.2.2.1. الإيمان بالله: أساس الوحدة العقدية

يُعد الإيمان بالله تعالى هو الركن الأعظم الذي تُبنى عليه شخصية المسلم، والأساس العقدي الذي تُقام عليه وحدة الأمة الإسلامية، فهو الرابط الأول الذي يجمع بين المسلمين مهما اختلفت لغاتهم وألوانهم وأوطانهم، ويوجه قلوبهم جميعًا نحو عبادة الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، هذه الآية تُبين أن حقيقة البر والإيمان ليس في المظاهر الشكلية فقط، بل في الإيمان القلبي الحقيقي بالله تعالى، فهو الأساس الذي يجمع المسلمين على عقيدة موحدة، توحدهم في التوجه والغاية والمصير.

---

(1) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٨، ٣٦/١.

(2) ينظر: مصالحه, *وجوب وحدة الأمة الإسلامية*, ٣٩.

(3) ينظر: كنعان - الجندي, *التفرق العقدي وأثره على الوحدة الإسلامية: دراسة تحليلية نقدية*, ٧٨.

وحقيقته وأصله إيمان محمد ﷺ ثم أصحابه الأخيار، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وفي هذا دلالة على أن الهداية لا تتحقق بمجرد الإيمان المجمل، بل لا بد من أن يكون الإيمان مطابقًا لما كان عليه النبي ﷺ، والصحابة الكرام، وهو ما يبيّن أن الإيمان الحق الذي يوحد الأمة هو ما كان على وفق المنهج النبوي، في العقيدة والعمل، وأن من خالفهم تفرق وانحرف عن سواء السبيل، وقد كانت هذه العقيدة هي نفسها التي دعا إليها الأنبياء جميعًا منذ آدم عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣]، فدين الأنبياء واحد، وأصل دعوتهم واحد، وهو توحيد الله، والاجتماع عليه، وترك سائر سبل التفرق والتشرذم العقدي.

وقد أسس هذا الإيمان على أركان ثلاثة كما تقرر [1]:

- توحيد الربوبية: بأن يقر وأن يعتقد العبد ربانية الله خلافا لأهل التعطيل الذين لا يؤمنون بإله صانع.
- وتوحيد الألوهية: بإفراده بالعبادة، والطاعة، والخضوع، فيعتقد وحدانيته خلافا للمشركين.
- وتوحيد الأسماء والصفات: بالإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تمثيل ولا تشبيه.

وبهذه الأصول ينتفي التفرق العقدي، وتنتظم الأمة على عقيدة واحدة مستقيمة صافية، يتوجه فيها كل مسلم إلى ربه جل وعلا دون واسطة، ويسجد لربه في مشارق الأرض ومغاربها.

فإن الإيمان بالله تعالى، إذا تحقق بصورته الصحيحة، أصبح ضامنًا لوحدة العقيدة والأمة، وسدًّا منيعًا في وجه الانقسامات الفكرية والمذهبية، كما أنه يمنح المسلمين هوية موحدة تنبع من ارتباطهم جميعًا بالله تعالى وتوجههم إليه، فيحصل بذلك الانسجام الداخلي والوحدة الروحية التي لا تتأثر باختلاف الأعراق أو الأقاليم والاختلافات الرعية.

---

(1) ينظر: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بَطَّة العكبري ابن بطة, *الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة*, تحقيق رضا معطي وآخرون (الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع, ١٤١٨ هـ), ١٤٩/٦.

3.2.2.2. الإيمان باليوم الآخر: وحدة الهدف

أما الإيمان باليوم الآخر فهو أحد أركان الإيمان العظمى كذلك، وقد قرنه الله تعالى بالإيمان به في قوله: ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ليُبيّن أن غاية المسلم ليست محصورة في متاع الدنيا، وإنما تمتد إلى ما هو أعظم وأبقى، وهو اللقاء مع الله سبحانه وتعالى، والحساب على الأعمال، والجزاء بالجنة أو النار. وهذا الإيمان يُوحد المسلمين في الهدف والمصير، فيجعلهم جميعًا يتجهون إلى غاية واحدة، ويستعدون لموقف واحد، فيحملهم ذلك على الاستقامة والطاعة، والتواصي بالحق والصبر، ويبعث فيهم روح التراحم والتكافل وتحمّل بعضهم لبعض.

وهذه الوحدة في الغاية هي التي تنشئ بين المسلمين روحًا أخوية صادقة، تجعلهم ينظرون إلى اختلاف الطبائع والألوان واللغات والمذاهب باعتبارها تنوعًا لا تنازعًا، ما دام الأصل الذي يجمعهم محفوظًا، والوجهة واحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة: ٢٥]، وفي هذا تنبيه عظيم على أن ما لا يُحسم في الدنيا من خلاف في فهم نصوص حمالة الأوجه، يُردّ في الآخرة إلى حكم الله العدل، فلا ينبغي أن يتخذ المسلمون من كل اختلاف ميدانًا للتباغض والتشرذم.

وبناء على هذا، فإن المسلمين جميعًا يؤمنون بأن الحساب يوم القيامة هو الحكَم النهائي في كل الأمور، ولهذا فهم مأمورون بالعدل والإنصاف، وإحسان الظن، وقبول الخلاف المعتبر، والاعتذار للمخطئ، والانتصار للحق الذي هو الوحي الإلهي لا للأشخاص، ومن ثم فإن الإيمان باليوم الآخر يُعدّ صِمام أمان لوحدة الأمة، ودافعًا إلى تجاوز الخلافات الجزئية، وربط الأمة بهدفٍ أعلى، يعلو على النزاعات، ويُعلي من شأن الاجتماع على الحق، وبذلك يتحقق التراحم والتآلف والتناصح، ويُغلق الباب على دعاة التفرق.

3.2.2.3. الإيمان بالملائكة: وحدة المراقبة والضبط الأخلاقي

ثم الإيمان بالملائكة من أركان الإيمان أيضا، وقد جاء ذكره في نفس الآية قال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وجاء في قوله: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وهذا الإيمان لا يُراد به مجرد التصديق المجرد بوجود الملائكة، بل هو إيمان فاعل يُثمر أثرًا، أو آثارا في سلوك المسلم وانضباطه، ويُسهم في بناء وحدة الأمة الأخلاقية من الداخل، ومن هذه الآثار أن يُدرك المسلم أنه ليس وحده، بل هناك ملائكة كرام كاتبون، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ،

يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١]، قال الطبري: "كرامًا على الله، يكتبون أعمالكم، لا يتركون صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها"[1]، وهذا الشعور العميق بالرقابة الإلهية عبر حضور الملائكة يزرع في نفس المسلم حرصًا على الصلاح والابتعاد عن المعاصي، مما يؤدي إلى تجانس سلوكي عام داخل الأمة، فتنضبط أخلاق الأفراد، وتتهذب معاملاتهم، ويظهر أثر ذلك في استقرار المجتمع وتماسكه.

بل إن هذا الإيمان المشترك بالملائكة، وخصوصًا بمهامهم كالحفظ، والكتابة، وتبشير المؤمنين، والاستغفار لهم، يُولد في نفوس المسلمين شعورًا بالارتباط المشترك برقابة واحدة، ومرجعية غيبية موحدة، تحفهم جميعًا، وتوجههم نحو الخير، وتضبط سلوكهم على نسق واحد، فيتحقق بذلك نوع من الوحدة السلوكية التي تُعزز وحدة الأمة في ظاهرها وباطنها.

3.2.2.4. الإيمان بالكتاب: وحدة المرجعية، والتشريع

أما الإيمان بالكتب السماوية فيعد من الأصول العقدية الكبرى التي تشكل قاعدة مشتركة بين المسلمين من لدن آدم إلى قيام الساعة، وذكر في قوله تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله: ﴿وَكُتُبِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، والمقصود بذلك الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه، مع الإيمان بأن القرآن الكريم هو الكتاب الخاتم والمهيمن على ما قبله[2]،قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، فالقرآن الكريم هو المرجعية العليا للأمة الإسلامية، وهو الميزان الحق الذي يُرجع إليه عند النزاع، والهادي عند الاختلاف، والمصدر الذي يوحد الفكر والتشريع والوجدان، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقد فسّر العلماء "حبل الله" بأنه القرآن الكريم كما مر.

والإيمان بالقرآن يتضمن الانقياد التام لحكمه، والتحاكم إليه، والإذعان لتوجيهاته، والاعتقاد بأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه المحفوظ بحفظ الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، ولئن كانت الأمم والمجتمعات الحديثة تعجز عن

---

(1) بتصرف: الطبري, *تفسير الطبري*, ١٨١/٢٤.

(2) الطبري, *تفسير الطبري*, ٤٨٦/٨.

الاتفاق على مرجعية واحدة، بل وتتغير دساتيرها وقوانينها تبعًا للأهواء والضغوط، فإن المسلمين جميعًا متفقون على مرجعية الوحي، وعلى أن القرآن حق لا يمكن إبطال أوامره، ولا تخطئة أحكامه، ولا إنكار ما جاء فيه من حقائق، وهذا وحده يمثل ميزة عظيمة ومتفردة تُمكِّن هذه الأمة من الاجتماع، لو أحسنت التلقي عن هذا المصدر وأخلصت له الاتباع.

فإذا كانت الأمة تؤمن بمرجعية واحدة محفوظة من التبديل، فإنها بذلك تمتلك الأساس المتين للاجتماع والوحدة، ويزول عنها كثير من أسباب النزاع والتفرق، فهو الحبل المتين، والصراط المستقيم، وسبب النجاة، ومن تمسك به نجا، ومن أعرض عنه ضل وتشتت، ولذلك فإن الإيمان بالكتب -وفي مقدمتها القرآن، باعتباره الكتاب المحفوظ والمقطوع بأنه من الله من غير تحريف لألفاظه بين المسلمين- يضمن وحدة المرجعية الفكرية والتشريعية، ويُعيد الأمة إلى نقطة الانطلاق التي توحدها من جديد على كلمة سواء.

3.2.2.5. الإيمان بالنبيين: وحدة الرسالة والاتباع

والإيمان بالنبيين من أصول الإيمان الستة التي يشترك فيها المسلمون، وقد ورد التنصيص عليه في قول الله تعالى: ﴿وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله: ﴿وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويؤكد القرآن هذه الحقيقة في قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فالمسلم يؤمن بجميع أنبياء الله دون تفريق، ويعتقد أن كلهم دعوا إلى التوحيد، وأن أصل دينهم واحد، وإن اختلفت شرائعهم، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، فدين جميع الأنبياء هو الإسلام، أي الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهواء النفوس.

ويؤمن المسلمون أن محمدًا ﷺ هو خاتم النبيين، وأن شريعته هي الخاتمة والناسخة لما سبقها، وأن الإسلام الذي جاء به هو الدين الحق إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وهذا الإيمان بنبوة محمد ﷺ لا يكتمل إلا باتباعه والرجوع إلى هديه في كل شأن من شؤون الحياة كما سبق، قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ ٱهْتَدَوا﴾ [البقرة: ١٣٧]، فالميزان في صحة الإيمان والمذاهب والآراء هو الرجوع إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وأنه لا نجاة ولا وحدة حقيقية إلا بذلك.

وإذا تفرقت السبل، واضطربت المناهج، واختلفت الأهواء، فإن الرجوع إلى سنة النبي ﷺ وقوله وفعله وبيانه هو أعظم سبيل لاتحاد المسلمين واجتماع كلمتهم، إذ لا يتحد الناس على مذهب بشري أو رأي فلسفي، وإنما يتوحدون على وحي الله تعالى المتمثل في الكتاب والسنة.

ولهذا، فإن الإيمان بالرسل، وعلى رأسهم محمد ﷺ، يرسخ وحدة المصدر والطريق والمنهج، ويجعل المسلمين أمة واحدة، تتبع نبيًا واحدًا، وتؤمن برسالة واحدة، وتنتسب إلى ملة واحدة، هي ملة الإسلام، التي جمعت القلوب المتفرقة، وجعلت من أمة الإسلام مثالًا خالدًا لوحدة تنبني على العقيدة والاتباع.

3.2.2.6. الإيمان بالقدر: وحدة التسليم والثقة بالله

الركن السادس والمظهر السادس في الإيمان بالله تعالى هو الإيمان بالقدر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وهو يجمع المسلمين على التسليم المطلق لله، والثقة بحكمته وعدله، فيورث المؤمنين الرضا بما قدّره الله عليهم من خير أو شر، ويغرس في نفوسهم الصبر في البلاء، والشكر في الرخاء، مما يخلق في الأمة روحًا من التماسك الداخلي والانضباط النفسي والاجتماعي.

فالمسلم إذا تيقن أن قوته وضعفه، وصحته ومرضه، وغناه وفقره، ونصره وابتلاءه، كلها تجري بقدر الله ومشيئته، فإنه لا يحقد على غيره، ولا يتنازع مع إخوانه، ولا يحمل في صدره غلًّا على من رُزق ما لم يُرزق، بل يعلم أن الأرزاق والمناصب والسلطات بيد الله وحده، فيسعى في الخير متوكلًا على الله، ويترك ما لا يطيق، ويؤدي ما عليه من التعاون والنصح في حدود استطاعته، بيده أو بلسانه أو بقلبه، كما أمر بذلك الشرع.

إن هذا الإيمان العميق بالقدر يقضي على بذور النزاع والتنافس غير المشروع، ويجعل المسلمين متعاونين على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان. فهم بذلك يشكلون أمة واحدة، موحدة في عقيدتها، راضية بقضاء ربها، متضامنة في مواجهة التحديات، متماسكة أمام أسباب الفُرقة والشقاق.

وبهذا يُتم الإيمان بالقدر أصول العقيدة الإسلامية الستة، التي بها تتحقق وحدة الأمة إيمانًا وغايةً وسلوكًا، ويثبت أن هذه العقيدة هي أساس لوحدة المجتمع الإسلامي واستقراره.

3.2.3. مظاهر الوحدة في العلاقات الاجتماعية

بعد أن تقرر في المباحث السابقة أن وحدة الأمة الإسلامية مقصد شرعي عظيم قررته النصوص الإسلامية، وأن لها مظاهر واضحة في العقائد والعبادات، فإننا في هذا المطلب ننتقل للتركيز على جانب آخر من مظاهر هذه الوحدة، ألا وهو جانب العادات والعلاقات الاجتماعية، لما لهذا الجانب من تأثير عميق على الأفراد والمجتمعات. فالعلاقات الاجتماعية هي الميدان العملي الذي تتجلى فيه القيم والمبادئ، وهي من أوضح المجالات التي تعكس نجاح الأمة في تحقيق مقاصد الشريعة وأهدافها، وفي مقدمتها وحدة الصف واجتماع الكلمة.

لقد قرنت الشريعة بين التوجيه نحو وحدة العقيدة، وبين ضبط سلوك الأفراد في معاملاتهم اليومية، فجاءت النصوص تؤسس لبنية اجتماعية متماسكة، قائمة على الإيمان بالله، والتراحم، وحسن الظن، والإيثار، والتكافل، والعدل، وغيرها من الأخلاق التي تحفظ وحدة المجتمع من التصدع والانقسام. فالوحدة في التصور الإسلامي ليست مجرد تنظير، بل هي ممارسة تنعكس في تفاصيل الحياة اليومية؛ في الأسرة، والمجتمع، وفي كل علاقة تربط المسلم بأخيه.

ومن هنا، تُعد النصوص المنظمة للعلاقات الاجتماعية امتدادًا طبيعيًّا للنصوص العقدية والعبادية، حيث تتكامل كلها لبناء أمة واحدة، قوية بتماسكها، راقية بأخلاقها، صلبة في وجه التحديات التي تستهدف وحدتها وهويتها، وقد جاء هذا البناء الاجتماعي في الإسلام قائمًا على روابط الإيمان لا العصبيات، وعلى التعاون، والنصيحة والأمانة لا على الغيبة، والتنازع، والخيانة.

وفي هذا المبحث نعرض بإذن الله أهم مظاهر الوحدة في العلاقات الاجتماعية كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية، ونُبرز كيف أثرت وتؤثر هذه التوجيهات في صناعة مجتمع مسلم متراحم، متعاون، متماسك.

3.2.3.1. المحبة والرحمة

من أبرز مظاهر الوحدة في العلاقات الاجتماعية: المحبة والرحمة بين المؤمنين، فقد جاءت النصوص الشرعية تؤصل هذا الخلق العظيم وتجعل منه قاعدة ثابتة في بناء الأمة الإسلامية، حيث يتعامل المسلمون فيما بينهم على أساس التوادّ والتراحم لا على أساس المصالح الدنيوية أو العصبيات الجاهلية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وهذه الأخوّة الإيمانية هي

حقيقة عقدية توجب المحبة والتناصر والشفقة، وقد قال النبي ﷺ: "وكونوا عبادَ الله إخوانًا"[1]، وجعل المحبة والرحمة معيارًا للإيمان فقال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[2].

ووصف ﷺ علاقة المؤمنين بعضهم ببعض في حديث جامع مر معنا بقوله: "مثلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[3] ، فبهذا التصوير النبوي البليغ ترتقي العلاقات بين المسلمين لتصبح وحدة شعورية ومصيرية متكاملة.

ولم تقف الشريعة عند الحث النظري، بل شرعت ما يعزز هذه المحبة عمليًّا، فشرعت زيارة المريض، واتباع الجنائز، وردّ السلام، وإفشاءه، وجعلت ذلك كله من حقوق المسلم على المسلم، قال ﷺ: "ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"[4]، وقال: "حق المسلم على المسلم ست" قيل: ما هن؟ يا رسول الله! قال "إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فسمته وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه"[5].

وقد شرعت هذه المحبة على وجه يربط الأمة ببعضها في مشارق الأرض ومغاربها، فلا يشترط اجتماع الأبدان، بل يكفي الاشتراك في الإيمان ليُبعث في القلوب هذا الود والتراحم، فالمؤمنون تتآلف قلوبهم وإن تباعدت أبدانهم، وأهل الباطل تتفرق قلوبهم وإن اجتمعت أبدانهم، ولا يجتمعون إلا على خوف أو طمع[6].

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٥٧١٧، ٢٢٥٣/٥. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٥٥٨، ١٩٨٣/٤.

(2) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ١٣، ١٤/١.

(3) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٥٥٨، ١٩٩٩/١.

(4) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٥٤، ٧٤/١.

(5) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢١٦٢، ١٧٠٥/٤.

(6) ينظر: السيوطي, *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*, ٤٩٢/٤.

فالمحبة والرحمة هما من أساس تماسك الأمة ووحدتها، ولهذا حذّر النبي ﷺ من غياب الرحمة فقال: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا"[1]، فكل هذا يبين أن الشريعة قصدت إلى ترسيخ مبدأ التحابّ في الله، ليبقى المجتمع المسلم مجتمعًا حيًّا متماسكًا، يسوده التعاطف.

3.2.3.2. العدل والإنصاف

العدل من أعظم القيم التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، وهو من أبرز مظاهر الوحدة الاجتماعية في الإسلام، إذ لا يمكن أن تستقيم العلاقات بين أفراد الأمة، ولا أن يتحقق التماسك بينهم، إلا في ظل عدل يُطبّق على الجميع، دون محاباة أو تمييز، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: 135]، فتأمرنا الآية بالقيام التامّ بالقسط والعدل، سواء في الحكم، أو الشهادة، أو المعاملة، مع القريب والبعيد، ومع الصديق والعدو، بل مع المسلم وغيره، وهو أمر لا تستقر الجماعة المسلمة إلا به، وفي الحديث، قال النبي ﷺ: "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا"[2]، أي: تنصره إن كان مظلومًا بإعانته، وتنصره إن كان ظالمًا بمنعه من الظلم كما في الحديث، وهذا هو غاية الإنصاف وعدالة الأخوّة.

فإذا ساد العدل بين المسلمين، شعر كل فرد بأن له حقوقًا مصونة لا يُهدرها جاه أو نسب أو مال، ولا يُرجّح فيها طرف على طرف إلا بالحق، فيحترم الناس الحقوق، ويرجعون إلى أهلها، ويقبلون الحكم إذا صدر عن عدل، ولو كان ضد أنفسهم، وبذلك تنتفي أسباب التنازع والتباغض، ويشيع الأمن والثقة، وتترسخ المحبة في النفوس، ويتحقق الانتماء الجماعي للأمة.

وقد قرر النبي ﷺ هذا المعنى بفعله قبل قوله، حتى قيل له: يا رسول الله اعدل، فقال: "ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل"[3]، فكان ﷺ قدوة في تطبيق العدل في أقواله وأحكامه ومعاملاته، بين القريب والبعيد، وبين الرجل والمرأة، وبين العربي وغير العربي، فالعدل

---

(1) الترمذي, *سنن الترمذي*, رقم الحديث: ١٩١٩، ٣٢١/٤.

(2) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٢٣١٢، ٨٦٣/٢.

(3) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٣٤١٤، ١٣٢١/٣. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٠٦٣، ٢/ ٧٤٠.

في الحقيقة هو أساس تنظيمي يحفظ وحدة الصف، ويمنع تمزق الجماعة، ويشيع شعورًا بالمساواة والانتماء، وهو ما أكده النبي ﷺ بقوله: "إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد"[1].

ولذلك، فإن إقامة العدل والإنصاف بين المسلمين هو من أعظم المظاهر العملية لوحدة الأمة، إذا ما طُبّق في أرض الواقع كما أمرت به الشريعة.

3.2.3.3. الإيثار والتكافل

وكذلك من أسمى مظاهر الوحدة في العلاقات الاجتماعية: خلق الإيثار وروح التكافل، حيث يتجاوز المسلم محبة الخير لنفسه، إلى أن يقدمه لغيره ولو كان هو في حاجة ماسّة إليه. قال الله تعالى في وصف الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، وهذا من أعظم صور العطاء التي تؤسس لوحدة قوية، تنبع من القلب لا من المصلحة.

وقد قال النبي ﷺ: "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"[2]، فالإسلام يربط بين نُصرة الفرد وبين معية الله له، وهي منزلة لا تُنال إلا بصدق الأخوة والتكافل بين المسلمين.

وقد تجلت أروع صور هذا المعنى في النموذج النبوي الفريد الذي تحقق في مجتمع المدينة المنورة، ذلك المجتمع الذي أسّسه رسول الله ﷺ على أرقى معاني الإيمان والإخلاص والمحبة والعدل، فكان هو رأس الدولة، وهو أيضًا القدوة في الخلق والتضحية والعطاء، وكان أصحابه رضوان الله عليهم هم خير من طبّق الإسلام بعده، حتى صاروا أنموذجًا خالدًا على مرّ العصور.

لقد ارتقت أخلاقهم في العفو والصفح، وفي التعاون والتراحم، وفي محبة الآخرة على الدنيا، وفي التضحية بالمال والنفس، وبلغت ذروة هذه القيم في الإيثار، وهو أن يقدم الإنسان حاجة أخيه على

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٣٢٨٨، ١٢٨٢/٣.

(2) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٦٩٩، ٢٠٧٤/٤.

حاجته، طمعًا في رضا الله لا في مقابل دنيوي، فكانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾، لا رياءً ولا نفاقًا، بل طمعًا فيما عند الله من الفضل.

لذا إن أردنا أن نصل إلى نتيجتهم في الإيمان والعز والنصرة، وأن نشارك في وحدة هذه الأمة وبنائها كما شاركوا، فعلينا أن نسير في طريقهم في: الإيمان، والمحبة، والعطاء، والتضحية، والتجرد من الأنانية، وغيرها من شعائر الإسلام لأن هذه الصفات وأمثالها هي التي تبني الجماعات القوية، وتقيم المجتمعات الرحيمة، وتصنع الوحدة الحقيقية.

3.2.3.4. النصح والإصلاح

والنصح والإصلاح بين المسلمين كذلك من أهم دعائم وحدة المجتمع الإسلامي، لما له من أثر بالغ في ترميم العلاقات، وجبر ما قد يحدث من خلل نتيجة اختلاف الطبائع وتفاوت المراتب في الإيمان والسلوك، فالقرآن الكريم والسنة النبوية شددا على هذا الجانب، وجعلاه من القُربات العظيمة التي يفوق فضلها كثيرًا من العبادات.

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقال أيضًا: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، فالإصلاح بين المتخاصمين من مقتضيات الأخوّة الإيمانية، ومن الوسائل الفعالة لحفظ لحمة المجتمع ووحدة الصف.

وجاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟" قالوا: بلى، قال: "إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة"[1]، والمراد بالحالقة أنها تحلق الدين.

وكل هذا لأن الإنسان مجبول على النقص والخطأ، والمجتمع البشري لا يخلو من المنافق والعاصي والمجتهد والمقصر، فإن بقاءه قويًا ومتماسكًا لا يمكن أن يتحقق إلا بوجود طائفة مخلصة من المصلحين، يحملون همّ الأمة، ويقربون بين وجهات النظر، ويعالجون الخلل

---

(1) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ٢٧٥٠٨، ٤٥/٥٠٠.

بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد قيل: "المؤمنون نصحة، والمنافقون غششة"[1]، وورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا المعنى بقوله: "لا خير في أمة ليسوا بمصلحين، ولا خير في أمة لا يحبون الناصحين"[2].

ولذا كان النصح والإصلاح من المظاهر البارزة التي اعتنت بها الشريعة الإسلامية في أغلب، إن لم نقل في جميع، أبوابها وتشريعاتها؛ إذ لا يكاد يخلو باب من أبواب الدين -من العبادات والمعاملات، إلى الأحوال الشخصية، والأخلاق، والأنظمة الاجتماعية- من نصوص تُؤكد على النصح أو تدعو إلى الإصلاح بين الناس، لما لهما من أثر بالغ في حفظ وحدة الأمة واستقرارها.

فالمصلحون هم صمام الأمان، وهم من يحفظون وحدة الأمة من الانهيار والتشظي، وهم ورثة الأنبياء في مهمتهم التي قال عنها الله: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

3.2.3.5. الستر والاحترام

من مظاهر الوحدة الاجتماعية التي رسّختها النصوص الإسلامية: الستر المتبادل، والاحترام المتبادل بين المسلمين، لما لذلك من أثر عظيم في حفظ الكرامة الإنسانية، وتثبيت المحبة، ومنع التنازع والتباغض، قال الله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ... وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال أيضًا: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، وقال النبي ﷺ: "من ستر مسلمًا في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة"[3]، وقال: "وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا"[4]، فهذه الآيات والأحاديث تؤسس لمجتمع قائم على الستر والاحترام المتبادل لا على التشهير والازدراء، وعلى تقبل الاختلاف لا على احتقار المخالف.

---

(1) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني, *مكارم الأخلاق*, تحقيق أحمد شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية, ١٩٨٩ م), ٣٣٥.

(2) الحارث بن أسد المحاسبي, *رسالة المسترشدين*, تحقيق عبد الفتاح أبو غدة (حلب-سوريا: مكتب المطبوعات الإسلامية, د.ت), ٧١.

(3) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ١٦٩٥٩، ٢٨١٥٨.

(4) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٥٨٨، ٢٠٠١/٤.

وبما أن الإسلام دين عالمي، ورسالة محمد ﷺ موجهة إلى الناس كافة باختلاف ألوانهم، وألسنتهم، وطبائعهم، فقد كان من الضروري أن يؤسس الإسلام منهجية تحفظ بها كرامة الجميع، وتساوي بين الناس في الإنسانية، وترفع معيار التفاضل من العنصر أو النسب إلى التقوى والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فلا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، كما صرح بذلك النبي ﷺ في خطبة الوداع[1].

وقد أغلق الإسلام أبواب الفتنة في المجتمع بأن حرّم السخرية، والطعن، والتنابز، والغيبة، والنميمة، وسوء الظن، واحتقار الناس، لأن هذه كلها تُضعف أواصر الأخوة، وتمزّق وحدة الصف، وتفتح باب الكراهية والانتقام، كما أن ستر العورات والزلات، واحترام المقصرين، وتقديم النصح لهم بلطف ورحمة، أسلوب نبوي يعزز من تماسك المجتمع، ويُشعر المسلم بالأمان، ويشجعه على التوبة والصلاح، فالإسلام لم يُرد من المسلم أن يتعالى على أخيه أو يزدريه، بل أراده أن ينشغل بعيوبه قبل عيوب غيره، وأن يستر ما استطاع ستره، فإن فضح أخاه المسلم بغير حق، خالف هدي النبي ﷺ، وأضعف جدار المودة في المجتمع.

ولذلك، فإن الستر والاحترام بين أفراد الأمة من أقوى أسباب وحدتها، ولا يمكن أن تقوم جماعة إيمانية متماسكة في ظل أجواء التشهير والازدراء والتقليل، بل بالتقدير المتبادل والتعامل الراقي كما أرشدت النصوص الشرعية.

3.2.3.6. ردع الظلم والتنازع

من أبرز مظاهر الوحدة في العلاقات الاجتماعية التي قررتها النصوص الإسلامية: تحريم الظلم، والنهي عن التنازع والصراع الداخلي، لما لهما من أثر مباشر في تمزيق الصفوف، وهدم الثقة، وإضعاف الأمة داخليًا وخارجيًا، قال النبي ﷺ: "اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة"[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، فالظلم - كيف كان شكله - كقنبلة

---

(1) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ٢٣٤٨٩، ٤٧٤/٣٨.

(2) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٥٧٩، ١٩٩٦/٤.

موقوتة داخل المجتمع الإسلامي؛ تفسد العلاقات، وتزرع البغضاء، وتُفشل المشاريع الجماعية، وتمنع التآلف والتعاون بين أفراده، وكذلك التنازع، فهو طريق واضح إلى الفشل والضعف وفقدان التأثير والهيبة، كما صرّحت بذلك الآية الكريمة.

والنصوص الشرعية – قرآنًا وسنة – قد جاءت بتحريم الظلم بنصوص صريحة كثيرة، وبتأكيد خطورته على الفرد والمجتمع، وبينها العلماء أوضح البيان، حتى قيل: "إن الله تعالى ليقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة، وأن الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والاسلام "[1]؛ وذلك لأن العدل هو أساس قيام الأمم ودوام الملك، والظلم سبب لانهيار المجتمعات، ولو وُجد في أوساط تنتسب إلى الدين، لذا أجمع الأمم على أن عاقبة الظلم الفساد وانهيار في الدنيا قبل الاخرة، قال ابن تيمية: "الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة"[2].

ولا يمكن تصور أمة مسلمة حقيقية -يتبع أفرادها نصوصها حقيقة- يسودها الظلم، ويتكرر فيها التنازع؛ وهي تملك من النصوص عشرات الآيات والأحاديث التي تحذر من الظلم بجميع صوره، وتدعو إلى العدل، وتمنع التخاصم والتنازع.

فإذا أرادت الأمة الإسلامية أن تستعيد وحدتها ومكانتها، فعليها أن تُزيل الظلم من داخلها، وتمنع التنازع بين أطرافها، وتستبدل بهما العدل والإنصاف والحوار والإصلاح؛ فهذه هي الوصفة الشرعية التي تضمن وحدة حقيقية لا شكلية.

3.2.4. وحدة المنهج، مظهر من مظاهر الوحدة في النصوص

قد ذكرنا بعضا من مظاهر الوحدة في المباحث الماضية التي شملت العقائد والعبادات والعلاقات الاجتماعية، فإن من تمام الحديث عن مظاهر الوحدة في النصوص الإسلامية، أن يُذكر مظهرٌ عظيم له أثر بالغ في فكر الأمة وسلوكها، ألا وهو: وحدة المنهج.

---

(1) ابن تيمية, *الاستقامة*, ٢٤٧/٢.

(2) ابن تيمية, *مجموع الفتاوى*, ٦٣/٢٨.

فالمنهج الذي يتعامل به المسلم مع النصوص الشرعية من حيث أخذ الدين، ومصادر التلقي، وفهم النصوص، وتطبيق المفاهيم، وتنزيل الأحكام على الوقائع، قد رسمه الوحي، وحدد معالمه بوضوح لا مجال فيه للتخبط أو التفرق.

وإن وحدة المنهج في هذا الباب لا يمكن أن تكون مسألة اجتهادية محضة، بل هي مظهر شرعي أصيل من مظاهر وحدة الأمة، يضبط مسار التفكير والاستدلال، ويمنع التنازع في أصول الاستنباط، ويحقق للأمة وحدةً فكرية وعقدية وسلوكية، تؤدي بها إلى الغاية العظمى التي هي: رضوان الله تعالى، والسير على الصراط المستقيم الذي شرعه لعباده.

وإن مما يظهر للباحث أن النصوص الإسلامية وحدت المنهج من خلال الوحدة في: المراجع والمصادر، وفهمها، وتطبيقها.

3.2.4.1. وحدة المراجع والمصادر

لقد سبق في مباحث سابقة بيان عن مصادر التلقي في الدين الإسلامي، وهمنا نقصد أن توحسد المصادر وتحديدها هو مظهر من مظاهر الوحدة، وقررت النصوص أن الكتاب والسنة هما المرجعان الوحيدان اللذان ترجع إليهما في التنازعات، ويُردّ إليهما الخلاف، وتُستمد منهما الأحكام والشرائع، وقد أكد الله تعالى ذلك في قوله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]،

فهذا التوجيه الرباني يمنع التفرق الذي قد ينشأ عن تعدد المراجع أو تقديم الأقوال البشرية على الوحي المعصوم، وقال النبي ﷺ: "إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي"[1]،فالنبي ﷺ بيّن أن الاعتصام بالوحي هو صمام الأمان من الضلال والفرقة، وهو المنهج الذي سار عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، فحفظ الله بهم الدين، واجتمعت كلمتهم، وساد بهم الإسلام.

---

(1) أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدار قطني, *سنن الدار قطني*, تحقيق شعيب الارنؤوط, وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة, ٢٠٠٤ م), رقم الحديث: ٤٦٠٦، ٥/٤٤٠.

وبذلك، فإن وحدة المرجع والمصدر تعد قاعدة منهجية كبرى تُسهم في حفظ وحدة الأمة، وتضبط منهجها العلمي والعملي على مر العصور.

3.2.4.2. وحدة الفهم وضوابطه

إن من مقتضيات وحدة المنهج في النصوص الإسلامية: وحدة طريقة الفهم، وهذا لا يعني أن الشريعة أغلقت باب الاجتهاد ولا منعت التفاعل العقلي مع النصوص، بل جاءت محفّزة على التدبر، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، ولا أنها منعت الاختلاف في الأفهام مطلقا، فقد حصل في زمن النبي ﷺ اختلاف في فهم بعض النصوص، ولم ينكر النبي عليه الصلاة والسلام عليهم ولكن مع ذلك، فإن النصوص ذاتها رسمت للمسلم منهجًا سليمًا للوصول إلى الفهم الصحيح، يقوم على التسليم للوحي، والرجوع إلى هدي النبي ﷺ وفهم السلف الصالح، فقررت أن الهداية مرتبطة باتباع ما عليه الصحابة، كما مر قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ [البقرة: ١٣٧].

ولذا فإن دائرة الفهم واسعة ما دام منضبطًا بقواعد الشرع، وإن اتباع الهوى أو تحريف المعاني أو تقديم الرأي على النص هو ما تُحذر منه النصوص؛ لأنه يُخرج الفهم عن حدوده الشرعية، ويُسهم في التفرق.

ومن هنا، فإن وحدة الفهم لا تعني بالضرورة انعدام الاجتهاد، بل تعني الاجتهاد المنضبط الذي يسير وفق أصول الشريعة، على طريقة الصحابة ومن تبعهم بإحسان، كما أشار إليه النبي ﷺ في قوله: "ما أنا عليه وأصحابي"[1]، فهذا المسار هو الضمان لفهم سليم يجمع الأمة، ويقلل من أسباب الافتراق.

فتعامل المسلمين مع النصوص مبنيًّا على قواعد ضابطة، تحفظ للنص هيبته، وتمنع الفوضى في التأويل، وتُقرب وجهات النظر إلى مراد الله ورسوله ﷺ، وقد أرشدت النصوص الشرعية إلى هذا

---

(1) الترمذي, *سنن الترمذي*, رقم الحديث: ٢٦٤١، ٢٦/٥.

المنهج في الفهم، فأمرت باتباع سبيل المؤمنين، وخصّت السلف الصالح من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان، بالثناء والمدح والرضا، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، هذه الآية أيضا تشير إلى أن الاتباع الصحيح لا يكون إلا باتباع طريقتهم في الفهم والتطبيق.

كما حذّر الله تعالى من الانحراف عن هذا المسار، فقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء: ١١٥]، فقرن الله بين مخالفة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين، أي الصحابة رضوان الله عليهم، فدل على أن سبيلهم هو الصراط المستقيم، وأن من حاد عنه فقد عرض نفسه للضلال.

وهذا يؤكد أن للفهم الصحيح للنصوص أُسسًا لا بد من مراعاتها، ومن أهمها:

- التسليم للنص وعدم تقديم الرأي عليه.
- فهم النصوص على ضوء فهم الصحابة رضي الله عنهم.
- مراعاة مقاصد الشريعة العامة.
- حمل المتشابه على المحكم، ورد المختلف إلى المعلوم من الدين.

وهكذا فإن وحدة الفهم، المبنية على ما جاء في الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة، تُعد من أبرز وسائل الحفاظ على وحدة المسلمين، والتقليل من أسباب الفرقة والاختلاف.

3.2.4.3. وحدة التطبيق

لم تترك الشريعة الإسلامية للمسلمين حرية مطلقة في كيفية تطبيق النصوص كي لا تطبق وفق الأهواء أو التصورات المخطئة، بل أرست قواعد واضحة ومنهجًا ربانيًا دقيقًا في كيفية تطبيق الأحكام الشرعية، خصوصًا في أبواب العبادات، التي لا تُعرف إلا عن طريق الوحي. فالعقل وحده لا يمكنه إدراك كيفيات الصلاة، ولا تفاصيل الزكاة، ولا مناسك الحج، ولا غيرها من العبادات ولهذا كان النبي ﷺ هو المبين، والمطبق الأول، والمفسر العملي للكتاب والسنة.

تُظهر النصوص القرآنية بوضوح أن اتباع النبي ﷺ في تطبيق الشريعة هو أصل من أصول الإيمان ومظهر من مظاهر الاستسلام الحق لله تعالى، وليس خيارًا، قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وهذه الآية تؤسس قاعدة الاقتداء في السلوك والتطبيق، فالنبي ﷺ هو النموذج الكامل لفهم الوحي وتنزيله على الواقع.

وقال سبحانه: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]، فجعل تحكيم النبي ﷺ والرضا به شرطًا في صحة الإيمان، وحذَّر من تقديم الرأي والهوى على حكمه، لأن من لم يرض بحكمه -وإن انقاد ظاهراً- فليس على حقيقة الإيمان.

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، بيانٌ واضح بأن الشريعة واجب الاتباع كما هي، واتباع غير منهجه ﷺ من طرق وآراء وأذواق إنما هي أهواء الجاهلين، ومن سلك غير سبيله فقد سلك سبيل الجهل والضلال.

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٦]، وهنا يظهر خطورة العدول عن شريعة الله -التي جاء بها نبيه ﷺ- وأن من لم يتحاكم إليها ويُطبّقها كما أنزلها الله فإنه واقع في وصف الكفر أو الظلم أو الفسق بحسب حاله.

فمن خلال هذه النصوص الجليلة، يتبين أن اتباع النبي ﷺ هو الضمان الحقيقي لصحة الإيمان، وسلامة الفهم، وصحة التطبيق، وأن الانحراف عنه انحرافٌ عن الشريعة نفسها، يؤدي إلى الوقوع في مفاسد الاعتقاد، أو التشريع، أو الفهم، أو السلوك. وهذه القاعدة العظيمة إنما جاءت لترسيخ وحدة الأمة على منهج واضح، يحفظها من التمزق والضياع تحت رايات الأهواء والمناهج المتفرقة.

والنصوص النبوية أيضا على نفس النوال تُقرر أن التطبيق الأمثل للدين يكون على وفق ما جاء به النبي ﷺ، ويظهر في قول النبي ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي"[1]، وقوله: "لتأخذوا مناسككم"[2]،

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٥٩٧٠، ٢٣٣١/٥.

(2) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٢٩٧، ٩٤٣/٢.

وفي رواية: "خذوا عني مناسككم"[1]، وأكد ذلك بقوله: "من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد"[2]، أي مردود عليه غير مقبول.

وهكذا تطبيق الخلفاء الراشدين قال ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ"[3]، فكل هذا يفيد بأن سنة النبي ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين هي الميزان العملي لتطبيق الشريعة، وهي التي تضبط تصرفات المسلم فلا يخرج عن دائرة الجماعة والاتباع إلى الابتداع والتفرق.

لذا أوجب الشارع على من لم يعرف النصوص الشرعية ومفهومها وتطبيقها أن يسأل من يعرف هذه الأمور من أهل العلم، فقال الله سبحانه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وهذا لأن كل تطبيق من كل شخص سيؤثر مباشرة على الوحدة بين أفراد المسلمين فيكون سببا في التفرق والتنازع.

وبعد هذا العرض لبعض مظاهر الوحدة في النصوص الإسلامية، يتبين أن هذه النصوص أرست قواعدها في العقيدة، والعبادة، والسلوك، والعلاقات الاجتماعية، حتى في منهج التعامل مع النصوص نفسها. فقد جاءت الآيات والأحاديث لتبني أمة موحدة الجذور والغايات، متماسكة البنيان، متآلفة الأرواح، ترجع إلى مرجعية واحدة، وتتحاكم إلى وحي معصوم، وتقتدي بنبيٍّ هو أكمل الناس خُلقًا وأتمهم هديًا. فكلما ننظر إلى النصوص وشرائعها يتبين أن الوحدة فريضة شرعية ومقصد قطعي، يُبنى عليه بقاء الأمة وقوتها، ويُعدّ تحقيقها مسؤولية كل فرد فيها، وإن الأمة ما انحرفت عن هذه الوحدة إلا بتفريط في بعض هذه المظاهر، أو استبدالها بغيرها، ومن هنا، فإن الرجوع إلى النصوص، فهمًا واتباعًا، هو السبيل الأوحد لاستعادة وحدة الأمة وعزتها.

---

(1) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي, *السنن الكبرى*, تحقيق محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٣ م), رقم الحديث: ٩٥٢٤، ٢٠٤/٥.

(2) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٧١٨، ١٣٤٣/٣.

(3) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ١٧١٤٤، ٣٧٣/٢٨.

4. أسباب التفرق وموانع الوحدة بين المسلمين

بعد أن تقرر في الأبواب السابقة أن الوحدة بين المسلمين مأمور بها شرعًا، وأن النصوص الإسلامية من قرآن وسنة قد أولت هذا الأصل العظيم اهتمامًا بالغًا، وذلك من خلال الأمر الصريح بها، والنهي الشديد عن ضدها، ومن خلال تشريعات عباديّة واجتماعية لا يمكن إقامتها على الوجه الأكمل إلا في ظل وحدة قائمة بين أبناء الأمة؛ كالصلاة الجماعة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها مما لا يتم إلا بجماعة متماسكة، فقد ثبت أن الوحدة مقصد عظيم من مقاصد الشريعة، وأساس من أسس عزّتها ونهضتها.

ولقد سبق بيان دلائل ذلك، وتوضيح مظاهر الوحدة في النصوص الإسلامية، كما تجلت في العقيدة والعبادة والمعاملات، وفي منهج التعامل مع النصوص ذاتها، مما يدل على أن هذا الدين قد أسس للوحدة في كل جوانبه. والآن، يأتي هذا الباب ليتناول جانبًا آخر مكملًا، لا يقل أهمية، وهو بيان العوامل والأسباب التي تؤدي إلى نقض تلك الوحدة أو إضعافها أو منع تحققها بعدما غابت.

ذلك أن الشريعة لم تُوجِب شيئًا ولم تُحرّم شيئًا إلا لحكمة بالغة ومصلحة راجحة، عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها؛ فكيف إذا كان هذا الواجب الذي هو الوحدة من أعظم الواجبات بإجماع المسلمين، وأحد مقاصد هذا الدين الكبرى؟

لذلك، سيتناول هذا الباب:

- أولًا: أسباب التفرق بين المسلمين.
- وثانيًا: موانع تحقق الوحدة بين المسلمين.

وكل ذلك في ضوء النصوص الشرعية، ومن خلال استقراء دقيق للواقع والمآلات.

4.1. أسباب التفرق بين المسلمين

لقد دلّت النصوص الشرعية على أن المسلم مأمور بالأخذ بالأسباب، والاعتبار بها، والحذر من مسببات الهلاك، كما قال تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: 71]، وقال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60]، وغيرها من الآيات التي تدل على أن الشريعة تدعو إلى النظر في الأسباب والمقدمات، مع التوكل على الله سبحانه، كما هو منهج عامة أهل العلم، فليس من تمام

الإيمان بالله التواكل، بل التوكل المبني على السعي الشرعي المشروع في درء المفاسد وجلب المصالح[1].

وانطلاقًا من هذه القاعدة الشرعية، فإن التفرق بين المسلمين من أعظم ما يجب الحذر منه، والسعي في دفع أسبابه، لأنه من أخطر التحديات التي واجهت الأمة الإسلامية وتواجهها في كل زمان، فهو لا يُضعف بنيانها فحسب، بل يُفقدها تماسكها السياسي والاجتماعي، ويجعلها غرضًا للأعداء والطامعين، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46].

وقد دلّت النصوص كذلك، ووافقها النظر الصحيح، على أن هذا التفرق لم يكن وليد اللحظة، بل كان نتاج جملة من الأسباب والعوامل المتراكبة، التي تضافرت على مدى العصور فأضعفت وحدة المسلمين، كما أن للوحدة موانع تحول دون تحققها، يجب معرفتها والتحذير منها.

لذلك، يهدف هذا الفصل إلى استعراض أبرز الأسباب التي أدت إلى التفرق بين المسلمين، وذلك في ضوء النصوص الشرعية، والنظر المقاصدي، والتجارب التاريخية التي مرّت بها الأمة ونذكر منها:

- الجهل بالدين والدنيا، وما ينشأ عنه من ضعف في البصيرة والوعي.
- البعد عن النصوص الشرعية (القرآن والسنة)، وما نتج عنه من الوقوع في البدع والمحدثات، والافتراق في العقائد.
- اتباع الهوى في الشهوات والشبهات.
- التحزبات الطائفية والمذهبية، والانتماءات الضيقة على حساب رابطة الإسلام الجامعة.
- التحاكم إلى مناهج وأفكار دخيلة على الإسلام كالعلمانية، والليبرالية، والقومية، نموذجا.
- الفقر والجوع وانتشار التفاوت الطبقي والمعيشي بين أفراد المجتمع.

---

(1) ينظر: صدر الدين محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي الصدر المناوي, *كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح*, تحقيق د. محمد إسحاق محمد إبراهيم (بيروت: الدار العربية للموسوعات, ٢٠٠٤ م), ٤١١/٤.

- حب الدنيا وكراهية الموت، وهو من أعظم مظاهر ضعف الإيمان والركون إلى الحياة الدنيا.
- ترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن خلال تحليل هذه الأسباب، يسعى هذا الفصل إلى إبراز خطورتها وآثارها في تفكيك وحدة الأمة، مع التأكيد على أن السبيل إلى العلاج يبدأ بالرجوع الصادق إلى منهج الإسلام الصحيح، في الاعتقاد، والسلوك، والتنظيم، تحقيقًا للوحدة والتآلف، واسترجاعًا لمكانة الأمة بين الأمم.

4.1.1. الجهل بالدين والدنيا

إنَّ الجهل يعد من الأسباب الجذرية التي تفضي إلى تفكك الأمة الإسلامية وتفرق شملها، وقد أولى القرآن الكريم والسنة النبوية عناية بالغة بالعلم، إذ هو السبيل الذي يقود إلى الوحدة والاستقرار. قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وهذه الآية تشير إلى أهمية طلب العلم ورفع درجات المعرفة في حياة المسلم. وجاء في الحديث الصحيح: " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"[1] مما يدل على أن الفقه في الدين من أعظم أسباب الخير والهداية التي تحفظ تماسك الأمة وتجنبها الفرقة.

فالجهل بالدين يؤدي إلى ضعف الفهم لأحكام الشريعة، مما يفتح الباب للانحرافات الفكرية والعقائدية، ويولّد التنازع والفرقة بين المسلمين. وأما الجهل بالدنيا، فيتمثل في غياب الوعي بالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وهو ما يعمّق الانقسامات ويعوق تطور الأمة [2].

4.1.1.1. الجهل بالدين

يُعدّ الجهل بالدين من أبرز أسباب التفرّق بين المسلمين، إذ يؤدي إلى تباين الفهم لتعاليم الشريعة، ويفتح المجال للتأويلات المنحرفة للنصوص الشرعية. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٧١، ٣٩/١. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٠٣٧، ٧١٩/٢.

(2) ينظر: عبد الكريم عكيوي, "جهود بديع الزمان النورسي في إرساء أسس الوحدة الفكرية وتثبيت الحوار العلمي في عصره" (تجديد الفكر الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري, الرباط-المغرب: د. ن, ١٧-١٩٩٩/٠٣/١٨), ١١.

وَأَلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤]. أي: "نسوا كتاب الله بين أظهرهم، وعهد الله الذي عهده إليهم، وأمر الله الذي أمرهم به" [1]، فصاروا فرقًا متنازعة يكفّر بعضهم بعضًا [2]. والنسيان هنا ـ كما ذكر العلماء ـ قد يكون تركا، وتغافلًا عما يُعلم أو زوالًا للعلم عقوبةً لهم [3]، فيُصبح ضربًا من الجهل، فقد قيل: "الجهل البسيط بعد العلم يسمّى نسيانًا" [4]، فكان نسيانهم وجهلهم بأوامر الله سببًا مباشرًا في وقوع العداوة والاختلاف بينهم [5].

ومن هنا يتضح أن مواجهة الجهل لا بد أن تكون عبر التعلم الجاد، واتخاذ أسبابه، والبعد عن كل ما يؤدي إلى إضعاف العلم، وهذه وظيفة مشتركة بين الدول والأفراد، لأن ضرر الجهل يقع على الجميع. وقد حذر النبي ﷺ من هذا الواقع فقال: إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما، اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا"[6]، وهو نص جلي في أن غياب العلماء الربانيين يفتح الباب واسعًا أمام انتشار الجهل، وما يترتب عليه من فتن وفرقة بين المسلمين [7].

ولذلك لم يأمر الله تعالى نبيه ﷺ بالاستزادة من شيء كما أمره بالاستزادة من العلم [8]، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]. ولو كان ثمة شيء أشرف من العلم لأمره أن يسأله الزيادة فيه، كما

---

(1) الطبري, *تفسير الطبري*, ٨/ ٢٥٦.

(2) ابن الجوزي, *زاد المسير في علم التفسير*, ١/ ٥٢٩.

(3) السعدي, *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*, ٢٢٥. أبو زهرة, *زهرة التفاسير*, ٤/ ٢٠٨٤.

(4) محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي التهانوي, *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*, تحقيق علي دحروج (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون, ١٩٩٦ م), ٢/ ١٦٩٥.

(5) ينظر: محمد رشيد رضا, *تفسير المنار*, ٦/ ٢٣٥. الهلال, *تفسير القرآن الثري الجامع*, ٣/ ١٤٧.

(6) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ١٠٠، ١/ ٥٠. مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٦٧٣، ٤/ ٢٠٥٨.

(7) ينظر: ابن بطال, *شرح البخاري*, ١/ ١٧٧.

(8) ينظر: سعيد بن محمد ديب الحوّى, *الأساس في التفسير* (القاهرة: دار السلام, ١٩٨٥ م), ٧/ ٣٣٨٩.

قال بعض المفسرين [1]، وقد كان ﷺ لا يزال في زيادة من العلم حتى توفاه الله [2]، وهو ما يدل على أن الأمة كذلك مأمورة بالحرص على التعلم بلا توقف، وأن تظل في حالة إلحاح في طلبه، لأن العلم بالله وبشرعه هو سبب رفعتها ووحدتها معًا [3].

وعليه؛ فإن الجهل بالدين لا يمثل مجرد نقص معرفي، بل هو جذر لكثير من الانقسامات والنزاعات، بينما يكون العلم الصحيح المؤصل هو الرابط الجامع الذي يحفظ وحدة الأمة ويقوي بنيانها.

4.1.1.2. الجهل بالدنيا

كما أن الجهل بالدين سبب للفرقة والتنازع، فإن الجهل بالدنيا يمثل وجهًا آخر من أوجه الضعف في الأمة الإسلامية، إذ يحرمها من القدرة على التفاعل مع الواقع، ومعالجة تحدياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية [4]. وقد حثّ القرآن الكريم على النظر والتأمل والتعلم من سنن الكون، فقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وهذا أمر صريح بالسير في الأرض للاعتبار والنظر والتعلم [5]. وقد من الله على عباده في كتابه بتعليمهم علوما كعلم صناعة الأسلحة وعلم الزراعة وغيره من العلوم المفيدة، قال سبحانه: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ

---

(1) ينظر: أحمد بن صالح بن عمر ابن مرشد, *درر من تفسير القرطبي* (د. م: د. ن, ١٤٤٤ هـ), ١٨٠. محمد سيد الطنطاوي, *التفسير الوسيط للقرآن الكريم* (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, ١٩٩٧-١٩٩٨ م), ٢/ ٥٥.

(2) ينظر: ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, ٥/ ٣١٩.

(3) ينظر: أبو الفضل بكر بن محمد ابن العلاء المالكي, *أحكام القرآن*, تحقيق سلمان الصمدي (دبي- الإمارات العربية المتحدة: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم, ٢٠١٦ م), ٢/ ٤٩١.

(4) ينظر: عكيوي, "جهود بديع الزمان النورسي في إرساء أسس الوحدة الفكرية وتثبيت الحوار العلمي في عصره", ١١.

(5) ينظر: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي, *بحر العلوم* (د. م: المكتبة الشاملة, د. ت), ٢/ ٥٩١. الثعلبي, *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*, ٧/ ٢٧٥. مكي بن أبي طالب, *الهداية إلى بلوغ النهاية*, ٩/ ٥٦١٣. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي, *التفسير البسيط*, تحقيق لجنة علمية من جامعة الإمام محمد بن سعود (الرياض: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية., ١٤٣٠ هـ), ١٧/ ٥٠٨.

لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، في إشارة إلى أهمية الصناعة والتقنية في الأسلحة والدروع - ومفهوم الأسلحة والدروع قد يختلف من عصر لعصر- في حفظ الأمة، وقال: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٧-٣٨]، وهو بيان لسعة أبواب العلم والصناعة التي سخرها الله لعباده.

ولهذا كان الاشتغال بالعلوم الدنيوية النافعة وبعمارة الأرض جزءًا من امتثال أوامر الدين [1]، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، ولا يمكن إقامة الدين حقًا إلا بالعلم الذي يعين على عمارتها وتنظيم شؤون الحياة فيها. ومن هنا جاء توجيه النبي ﷺ: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها، فليفعل"[2]، وهذا الحديث أصل في الحث على العمل والإنتاج الدنيوي النافع حتى في أصعب الظروف، وفيه بيان بأن الزراعة والغرس – مع ما تحتاجه من معرفة وخبرة – عبادة وقربة إذا قصد بها وجه الله، وأن طلب العلم المتعلق بها مطلوب لتحقيق هذه الغاية. إذن للوصول إلى مقاصد الشريعة وغاياتها لا بد من تحصيل كل علم نافع من علوم الدنيا، وقد تقرر عند الأصوليين أن للوسائل حكم الغايات، فكان الاشتغال بالعلم الدنيوي النافع من جملة ما تتوصل به الأمة إلى إقامة الدين وحفظه وتحقيق مصالحها [3].

وقد ورد أن النبي ﷺ يوما سمع أصواتا، فقال: "ما هذا الصوت؟" قالوا: النخل يأبرونه، فقال: "لو لم يفعلوا لصلح"، فلم يؤبروا عامئذ، فصار شيصا، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: "إن كان شيئا من أمر دنياكم، فشأنكم به، وإن كان شيئا من أمر دينكم، فإلي"[4] وهو إقرار صريح بأهمية الخبرة والتجربة

---

(1) ينظر: الهلال, *تفسير القرآن الثري الجامع*, ٥/ ٢٣٤. الواحدي, *التفسير البسيط*, ١١/ ٤٥٥. محمود بن أبى الحسن بن الحسين أبو القاسم النيسابوري, *إيجاز البيان عن معاني القرآن*, تحقيق حنيف بن حسن القاسمي (بيروت: دار الغرب الإسلامي, ١٤١٥ هـ), ١/ ٤١٥.

(2) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ١٢٩٨١، ٢٠/ ٢٩٦.

(3) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي, *البحر المحيط في أصول الفقه* (د. م: دار الكتبي, ١٩٩٤ م), ١/ ٣٠٤. أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء العز بن عبد السلام, *الفوائد في اختصار المقاصد*, تحقيق إياد خالد الطباع (دمشق: دار الفكر المعاصر, ١٤١٦), ٤٤.

(4) ابن ماجه, *سنن ابن ماجه*, رقم الحديث: ٢٤٧١، ٢/ ٨٢٥.

الإنسانية في شؤون الحياة الدنيوية، وعدم معارضتها لشرع الله، بل هي داخلة في باب عمارة الأرض التي كلف الله الإنسان بها.

وبناء على ما سبق، فإن الجهل بالدنيا -إن كان عاما عند جميع المسلمين- في حقيقته راجع إلى الجهل بالدين، لأن الدين لم يأمر الإنسان بترك الدنيا أو هجرها، بل أمره بعمارتها مع التزام عبادة الله تعالى فيها، بل وجعل عمارتها من عبادة الله سبحانه. ولا شك أن الجهل بأمور الدنيا النافعة يؤدي إلى تخلف المسلمين، ويجعلهم عالة على غيرهم، بل يورث الانبهار بالمجتمعات المتقدمة صناعيًا وتقنيًا، حتى يظن بعض الجهلة أن الدين هو سبب التخلف، مع أن الحقيقة أن البعد عن الدين هو الذي جرّ إلى التخلف في الدنيا أيضًا [1].

وهذا الضعف ينعكس مباشرة على وحدة الأمة، إذ يوقعها في التنازع والتفرق، ويذهب بقوتها، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وكذلك شهد التاريخ الإسلامي أن السبب الأعظم في زوال مُلك المسلمين إنما هو إهمالهم لطلب العلم في الدين والدنيا معًا، مما أورثهم فرقة وضعفًا أطمع فيهم الأعداء، وجعل بأسهم بينهم شديدًا.

4.1.1.3. العلاقة بين الجهل بالدين والدنيا

لقد أبرزت النصوص الشرعية أهمية العلم على اختلاف أنواعه، سواء كان علمًا شرعيًا أو دنيويًا، إذ إن العلم الدنيوي الحقّ يقود صاحبه إلى الإيمان بالله تعالى وشريعته بلا ريب. لذلك حثَّت النصوص الإنسان على السير في الأرض، والتأمل، والنظر في آيات الكون؛ ليصل بذلك إلى الإيمان، ثم حثته بعد ذلك على تحصيل العلوم الدنيوية التي تحفظ له دينه وتيسر عليه معيشته ومعيشة غيره، ليكون ذلك كله معينًا على عبادة الله تعالى حق العبادة، وقد مر معنا بعض هذه المعاني مع أدلتها في المطالب القبلية.

ولذا من تأمل النصوص تبيّن له أن الاقتصار على نوع من العلوم وإهمال الآخر يعدّ تركًا لأمرٍ من أوامر الله تعالى؛ فقال سبحانه: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:

---

(1) ينظر: عكيوي, "جهود بديع الزمان النورسي في إرساء أسس الوحدة الفكرية وتثبيت الحوار العلمي في عصره", ١٤.

7]، وقال عز وجل: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ﴾ [العنكبوت: 20]، وقال جل شأنه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال: 60]. وهذه الآيات تدل على أن ترك العلم الدنيوي مذموم كما أن الركون إليه دون غيره مذموم أيضًا، لأن كلا الطرفين تفريط في أمر الله تعالى بالتعلم.

وقد أمر الله المسلمين أن يكونوا في طليعة الأمم حتى في مجالات العلوم الدنيوية، ويظهر ذلك جليًا في قوله تعالى: ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾ [الأنفال: 60]، حيث وجَّه المؤمنين إلى إعداد أدوات الحرب بما يناسب كل عصر، وبناء القوة المادية والمعنوية بما يحقق الغلبة ويحفظ الأمة، فالعلم النافع -في حقيقته- نور وهداية وحياة [1]، ولذلك جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: 114] إشارة إلى شمولية طلب العلم النافع، سواء تعلق بأمور الدين والآخرة أو بما يحتاجه الإنسان في معاشه من علوم الدنيا[2].

وعليه، فإن الجهل بالدين والدنيا ليسا منفصلين، بل هما مترابطان ومتكاملان؛ إذ إن إهمال أحدهما يؤدي بالضرورة إلى خلل في الآخر، فغياب الفهم الصحيح للدين يفضي إلى ضعف الوعي بالواقع، ومن ثم ترك العلوم الدنيوية، كما أن إهمال العلم الدنيوي يؤدي إلى اضطراب أحوال المجتمع المسلم، وانعدام الأمن فيه، وتسليط الأعداء عليه، ليؤول مصيره في نهاية المطاف إلى التبعية للكفار وظهور التحزبات والتفرقات.

4.1.1.4. الحلول المقترحة

إن معالجة مشكلة الجهل تستدعي حلولًا عملية متكاملة، تنطلق من:

- تعزيز التعليم الشرعي عبر مناهج راسخة تقوم على الفهم الصحيح للنصوص الأصلية، بعيدًا عن الاختزال أو التحريف، بما يضمن ترسيخ العقيدة السليمة وتصحيح التصورات.

---

(1) نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري, *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*, تحقيق زكريا عميرات (بيروت: دار الكتب العلمية, ١٤١٦ هـ), ١/ ٢٣٤. الزحيلي, *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*, ١٠/ ٥٠.

(2) ينظر: الهلال, *تفسير القرآن الثري الجامع*, ٧/ ١٤٥.

- وفي الوقت نفسه، لا بد من العناية بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والتكنولوجية وسائر العلوم النافعة، حتى يكون المسلمون قادة ومصدرين للمعرفة لا مجرد مستهلكين لها. ويتحقق ذلك من خلال سياسات تعليمية مدروسة، منها:
  - ابتعاث الطلاب إلى أبرز الجامعات والمعاهد العلمية في العالم لاكتساب أحدث الخبرات، ثم إعادتهم إلى بلدانهم وتوفير الدعم لهم ليطوروا ابتكارات نافعة للأمة.
  - كما يتحقق بفتح مراكز بحث وتطوير في شتى المجالات داخل البلاد الإسلامية، واستقدام الأساتذة والعباقرة إلى ديار المسلمين؛ ليقوموا بتدريب الكفاءات وتعليمها في بيئتها، بدل الاكتفاء بإرسال الطلاب إلى الخارج.

إلى جانب ذلك، ينبغي نشر وعي مجتمعي عام بأن الدين يحفز على التعلم، وأن طلب العلم -دينيًا كان أو دنيويًا- هو سبيل للتقرب إلى الله تعالى وإعمار الأرض وفق مراده.

4.1.2. البعد عن النصوص - القرآن والسنة-

بما أنّه قد تبيّن في الباب السابق الدور الجوهري للنصوص الشرعية وأهميتها في تحقيق وحدة الأمة الإسلامية، فإنّ الإعراض عنها أو التهاون في التمسك بها يُعدّ سببًا مباشرًا في وقوع الخلافات والافتراق بين المسلمين. وقد عنيت الشريعة الإسلامية عنايةً فائقة بالاعتصام بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وجعلتهما سبيل الهداية والتوفيق والاجتماع، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحبل الله هو القرآن كما قال بعض المفسرين. وهو أصل الهداية والاستقامة، إذ يقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ [المائدة: ١٦]، وقال أيضًا: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]. وقد حذّر سبحانه من الغفلة عنه بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24].

ولأجل ذلك أمر النبي ﷺ بالتمسك به وبالسنة معًا، فقال: "إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ" [1]، فالسنة هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وقد

(1) الحاكم, *المستدرك على الصحيحين*, رقم الحديث: ٣١٨، ١/ ١٧١.

قال العلماء أنها وحي من الله أيضا وأنّها بيان للقرآن وتفصيل لمجمله، وهي حجة ملزمة [1]، إذ يقول النبي ﷺ: " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه" [2]، ويقول: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله"[3] فالابتعاد عنها ابتعاد عن طريق الهداية، وفتح لباب البدع والتفرق، لأن النبي ﷺ معصوم، لا ينطق عن الهوى، وإن أخطأ لا يُقرّ على خطئه، فاتباعه واجب في كل شأن من شؤون الدين كوجوب التباع القرآن [4].

وقد بيّن الله تعالى في شأن أهل الكتاب أن سبب تفرقهم هو تركهم لما أنزل الله عليهم [5]، فقال: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤]، وقال أيضًا: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨]. وهذا تحذير بليغ للأمة من مغبة الإعراض عن الوحي، إذ إن نتيجته الحتمية هي الفرقة والعداوة.

وعليه، فإنّ الابتعاد عن النصوص، سواء في ميدان التفسير أو في ميدان التطبيق، يؤدّي إلى النزاع والاختلافات الفكرية والعقدية التي تُفتّت وحدة الأمة الإسلامية، ويفسح المجال لظهور اتجاهات ومذاهب شتّى بعيدة عن هدي الكتاب والسنة. أما الاعتصام بهما فهو الضمان الأكيد لحفظ الجماعة، وتحقيق تماسكها، ووحدتها في مختلف شؤون الحياة.

---

(1) ينظر: ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, ٧/١.

(2) أبو داود, *سنن أبي داود*, رقم الحديث: ٤٦٠٦، ٧/ ١٣.

(3) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٢٧٩٧، ٣/ ١٠٨٠.

(4) ينظر: محمد رشيد رضا, *تفسير المنار*, ٥/ ٣٢٢-٣٢٣. السعدي, *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*, ١٩٩. أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري, *الإبانة عن أصول الديانة*, تحقيق صالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي التميمي العصيمي (الرياض: دار الفضيلة, ٢٠١١ م), ١٧٧. أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي, *الموافقات*, تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان مشهور آل سلمان (الأولى: دار ابن عفان, ١٩٩٧ م), ٤/ ٤٧٠.

(5) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ابن تيمية, *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*, تحقيق علي بن حسن وآخرون (السعودية: دار العاصمة, د.ت), ٢/ ٣٧٧.

4.1.2.1. الحلول المقترحة

في الحقيقة بما أن الجميع يدعي أنه تابع للوحي فإنّ الحل الوحيد هو أن يُعاد الاعتبار إلى النصوص الشرعية والرجوع إليها في كل مسائل الدين، سواء في العقيدة أو العبادات أو المعاملات. ويتحقق ذلك عبر مجموعة من الأمور:

1. الرجوع إلى القرآن والسنة معًا: لا يكفي الاقتصار على القرآن وحده كما يفعل بعض الاتجاهات التي تنكر السنة النبوية (القرآنيون)، لأن القرآن نفسه دلّ على اعتبار السنة ووجوب اتباع النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٦]، وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وهذه الآيات ونظائرها تبيّن أنّ القرآن نفسه قد أحال على السنة واعتبرها وحيًا مكمِّلًا وشارحًا ومفصِّلًا كما مر.
2. اعتماد ضوابط علمية لقبول السنة: لا يمكن قبول كل ما يُنسب إلى النبي ﷺ دون تحقيق وتثبّت، بل لا بد من الاعتماد على المنهج الذي قرّره علماء الحديث في التمييز بين الصحيح والضعيف، وإلا وقع الناس في تناقضات واختلافات لا مبرر لها، كما هو حال من يعتمد على روايات واهية أو بلا إسناد. فالبناء على الأحاديث الصحيحة وحدها يضمن صفاء الفهم ووحدة المرجعية.
3. جمع النصوص الصحيحة مع القرآن لفهم مراد الشارع: بما أن الأمة مجمعة على حجية القرآن الكريم، فإنّ الطريق الأمثل هو تفسيره وبيان مقاصده بالرجوع إلى الأحاديث الصحيحة الثابتة، ليُبنى الفهم الشرعي على أصل متفق عليه، وبيان نبوي مأمون من الانحراف.
4. تعزيز الثقافة الشرعية في الأمة: وذلك عبر نشر الوعي بأن القرآن والسنة مصدران متكاملان لا ينفصلان، وأن النبي ﷺ هو المبين عن الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. ومن ثمّ، فإنّ الهداية لا تُنال إلا بالاعتصام بالوحيين معًا.

التحذير من الانحرافات الفكرية: مثل الاتجاهات التي تهمل النصوص النبوية أو تردّها بحجة كفاية القرآن، أو تلك التي تبني تصوراتها على الأحاديث الضعيفة والموضوعة، إذ هذه المسالك لا تؤدي إلا إلى مزيد من التفرق والاضطراب في الدين.

4.1.3. اتباع الهوى (الشهوات والشبهات)

يُعَدّ اتباع الهوى من أخطر الأسباب التي تُفضي إلى ضلال الأفراد، وتمزق جماعة المسلمين، وتفكك وحدتهم، إذ إن الهوى يُميل النفس عن جادة الحق، ويَصرفها عن سبيل الرشاد. وقد ذمّ الله تعالى ورسوله ﷺ الهوى ذمًّا شديدًا، قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: 43]، قال ابن كثير: "أي: مهما استحسن من شيء ورآه حسنًا في هوى نفسه كان دينه ومذهبه" [1]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: 26]. فالهوى ظلمة تحجب نور العقل، وتطمس بصيرة القلب، وقد قيل: "إن الهوى والشهوة يغلبان العقل والعلم" [2]. ومن هنا كان اتباع الهوى مانعًا من الهداية، وحائلًا دون اجتماع الأمة على الحق.

4.1.3.1. تعريف اتباع الهوى

الهوى في اللغة: أي: سقط إلى أسفل فهوت أي سقطت [3]، فهوى النفس يهوى بصاحبه فيما لا ينبغي [4]، وشرعًا: الميل بالنفس إلى ما يخالف الشرع والعقل السليم، أو إلى ما يستلذه النفس من غير داعية الشرع [5]. فاتباع الهوى في كل ما تريده النفس البشري قد يصل إلى التعبد لهواها لذا قال

---

(1) ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, ٦/ ١٠٣.

(2) ينظر: أبو محمد سهل بن عبد الله التستري, *تفسير التستري*, تحقيق محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٢ م), ١٣٢.

(3) ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري, *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*, تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين, ١٩٨٧ م), ٦/ ٢٥٣٨. ابن منظور, *لسان العرب*, ١٥/ ٣٧١.

(4) ينظر: ابن فارس, *مقاييس اللغة*, ٦/ ١٦.

(5) ينظر: الجرجاني, *كتاب التعريفات*, ٢٥٧. محمد عميم الإحسان البركتي, *التعريفات الفقهية* (بيروت: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٣), ٣٩، ٢٤٢. زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا، زين الدين أبو يحيى الأنصاري, *الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة*, تحقيق مازن المبارك (بيروت: دار الفكر المعاصر, ١٤١١), ٦٨.

بعض السلف: "شرّ إله عُبِد في الأرض الهوى"[1]، فالذي يتبع هواه يظن نفسه على الحق، وإن كان في الباطل، فإن النفس تظهر جمال باطلها قال تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 30]، وقد قال تعالى عن فرعون: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: 26]،فجعل هوى فرعون يظهر قبح فعله واعتقاده فعلا محمودا جميلا يستحق الحمد عليه، وهو في الحقيقة المفسد. ويختلف ميل الناس إلى الهوى، فمنهم من يجنح إلى شهوات الدنيا من مال أو متاع، ومنهم من ينحرف إلى الشبهات الفكرية التي تُزيَّن للإنسان على أنها حق، وهي في حقيقتها مخالفة لما جاء به الإسلام.

4.1.3.2. اتباع الهوى في الشهوات

الشهوات هي ما تميل إليه النفس من لذّات الدنيا ومتعها [2]، من مال، أو نساء، أو منصب، أو غيرها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وكل هذه المشتهيات وغيرها مما أجازت الشريعة تناولها بل ورغبت أحيانا فيها، إذا جاوزت حدود الشرع ولم تكن لإرضاء الرب سبحانه تكون مذمومة يستحق متبعها العقاب عليها قال تعالى:﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤] فإذا أُطلقت النفس لتتبع هواها بلا ضابط شرعي أورثت الفساد في الأرض[3]، كما في قول النبي ﷺ: "ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه من الخيلاء"[4].

---

(1) مجموعة مختصين, *نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم*, تحقيق صالح بن عبد الله بن حميد - عبد الرحمن بن محمد بن ملوح (بيروت: دار الوسيلة للنشر والتوزيع, د. ت), ٩/ ٣٧٧٠.

(2) ينظر: الجرجاني,*كتاب التعريفات*, ١٢٩.

(3) ينظر: نخبة من العلماء, *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*, تحقيق مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (د. م: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية, ١٩٧٣ م -١٩٩٣ م), ١/ ٥٢٨.

(4) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني, *المعجم الأوسط*, تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد, أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني (القاهرة: دار الحرمين, ١٩٩٥ م), رقم الحديث: ٥٤٥٢، ٥/ ٣٢٨.

وكلما ابتعد المسلمون من اتباع الشرع وأوامره اقتربوا من الفواحش والشهوات وآثارها فلا يخافون الله في السماء، ولا يستحيون من الناس في الأرض [1] قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]؛ أي: شرا، وخسرانا [2]، والشهوات شرب الخمور والزنى وسلب الأموال، والتلذذ بالفواحش، والمنكرات والانهماك في المعاصي، والسيئات [3]. وإن الوعيد بالهلاك الوارد في الحديث، والغيّ المذكور في الآية، لا يقتصر أثره على الأفراد المتبعين لأهوائهم، بل يشمل المجتمع أيضا إذا غلب عليه الهوى في شهواته؛ فيضعف دينه وأخلاقه، ويتهدد ترابطه وتماسكه، وتتصدع وحدته، حتى يصير كل فرد أسيرًا لنزواته وشهواته.

4.1.3.3. اتباع الهوى في الشبهات

الشبهة ما يُشبه الثابت وليس بثابت[4]، وقيل: ما لم يُتيقن كونه حلالًا أو حرامًا [5]، فهي إذن منزلة بين الحلال والحرام، يلتبس فيها الحق بالباطل [6]، وقد عُدّت من أخطر الداءات، لأنها تجعل صاحبها يرى الحق باطلًا والباطل حقًا، فهو كمخطئ الطريق الذي كلما ركض ازداد بعدًا عنه [7].

وقد حذر النبي ﷺ من الوقوع في الشبهات، فقال: "الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه" [8]، وهذا الحديث من القواعد العظيمة التي عليها مدار

---

(1) ينظر: ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, ٥/ ٢١٦.

(2) ينظر: ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, ٥/ ٢١٧.

(3) ينظر: محمد علي طه الدرة, *تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه* (دمشق: دار ابن كثير, ٢٠٠٩ م), ٥/ ٦١٥.

(4) البركتي, *التعريفات الفقهية*, ١١٩.

(5) الجرجاني, *كتاب التعريفات*, ١٢٤.

(6) ينظر: الأنصاري, *الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة*, ٧٧.

(7) ينظر: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور, *كتاب بغداد*, تحقيق السيد عزت العطار الحسيني (القاهرة: مكتبة الخانجي, ٢٠٠٢ م), ٤٩.

(8) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٥٢، ٢٨/١.

الإسلام [1]، ولو أن كل من اشتبهت عليه مسألة توقف حتى يتبين له وجه الحق، لقلّ الخلاف، وانحسرت كثير من المذاهب المنحرفة والآراء الضالة.

غير أن الهوى قد يزين للإنسان بعض الأفعال المحظورة في الشريعة، فيظنها مباحة أو غير ضارة، فيغتر بها، ويقع في الضلال، مخالفًا لما جاء في الكتاب والسنة. ولذا جاء توجيه النبي ﷺ بالحذر من الشبهات والابتعاد عن موارد الشك، فقال: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " [2]، فهذا التوجيه النبوي أصل عظيم في دفع الشبهات، إذ إن من ركن إليها بهواه واتخذها سبيلًا، أفضت به إلى الانحراف والوقوع في أفكار، وأفعال غير مشروعة، مما يزيد التفرقة والشقاق بين المسلمين.

4.1.3.4. آثار اتباع الهوى على وحدة الأمة

قد تبين مما سبق أن الشارع الحكيم نهى عن اتباع الهوى وما ينهى الشرع من أمر إلا لما فيه من آثار سلبية عظيمة على الفرد والأمة معًا، إذ أن الهوى إذا تملّك الإنسان فرّقه عن جماعة المسلمين من حيث لا يشعر، وهذه الآثار تظهر في جانبين رئيسين:

1. جانب المعاصي والشهوات: فإن كل صاحب شهوة يجعل معيار الولاء والبراء عنده ما تهواه نفسه، فيحب ويبغض على وفقها، فيكون سببًا في التفرقة بين المسلمين بقدر معصيته شاء أم أبى.
2. جانب البدع والمحدثات: وهو الجانب الأخطر، لأن البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على النصوص الشرعية، ومن ثم فهي سبب عظيم للتنازع والافتراق في الدين.

إن التباين في الآراء والتوجهات المفرقة بين أفراد الأمة نتيجة حتمية لاتباع الهوى -في أكثرها-، حيث يخلق حالة من الفوضى الفكرية التي تضر بوحدة المسلمين، فينشأ عنها تنازع يفضي إلى ظهور جماعات وأحزاب تختلف فيما بينها على أساس فكري وعقائدي، فيضعف بذلك تماسك الأمة،

---

(1) النووي, *شرح النووي على مسلم*, ١١/ ٢٧.

(2) الترمذي, *سنن الترمذي*, رقم الحديث: ٢٥١٨، ٤/ ٦٦٨.

حتى قال ابن تيمية: إن اتباع الهوى هو أصل التفرق بين أهل الأرض قديما وحديثا [1]، وقد بيّن كذلك أن لزوم السنة هو الذي يحفظ من شر النفس والشيطان دون الطرق المبتدعة، فإن أصحابها لا بد أن يقعوا في الآصار والأغلال وإن كانوا متأولين، ولا بد لهم من اتباع الهوى، ولهذا سُمِّي أصحاب البدع "أصحاب الأهواء"، وقال: "وفي البدعة جهل وظلم، وفيها اتباع الظن وما تهوى الأنفس"[2]، وهذا يوضح أن الابتداع في الدين لا يكون إلا بسبب اتباع الهوى، وأنه من أعظم أسباب تفرق الأمة؛ كما أن اتباع السنة من أعظم أسباب اجتماعها ووحدتها. وقد صرّح العلماء بأن اتباع الهوى أصل الزيغ ومفارقة الحق والتفرق [3]، وذكروا أن السبب الحقيقي للاختلاف المفرّق للمسلمين هو اتباع الأهواء، والأخذ بعلم الكلام المذموم، والتعويل على العقول، مع اتهام النقول وعدم الاعتماد عليها في أمور العقيدة [4]، ومن هذا المنطلق قال العلماء في فرق الشيعة: "وجل مقالاتهم في اتباع الهوى" [5].

وكذلك نبّه الشاطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103]، فقال: "فإذا اختلفوا وتقاطعوا، كان ذلك لحدث أحدثوه من اتباع الهوى"[6].

---

(1) ينظر: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية, *جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية*, تحقيق محمد عزير شمس (الرياض - بيروت: دار عطاءات العلم - دار ابن حزم, ٢٠١٩ م), ٨٩.

(2) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية, *الزهد والورع والعبادة*, تحقيق حماد سلامة, محمد عويضة (الأردن: مكتبة المنار, ١٤٠٧ هـ), ٩.

(3) محمد با كريم محمد با عبد الله, *وسطية أهل السنة بين الفرق* (د. م: دار الراية للنشر والتوزيع, ١٩٩٤ م), ٢٩٩.

(4) عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر عبد المحسن العباد, *الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي* (الرياض: دار الفضيلة, ٢٠٠٣ م), ٣٢.

(5) محمود شكري الألوسي, *السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة*, تحقيق مجيد الخليفة (القاهرة: مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع, ٢٠٠٨), ٥٩.

(6) الشاطبي, *الموافقات*, ٥/ ١٦٤.

وبهذا يتبين أن اتباع الهوى -سواء في باب الشهوات أو البدع والمحدثات- من أعظم أسباب التفرق والاختلاف، وأنه لا يمكن للأمة أن تحقق وحدتها ما لم تتحرر من سلطان الهوى، وتلتزم بالرجوع إلى نصوص الوحيين بفهم سليم ومنهج قويم. وهذا ما يفتح الباب للكلام عن بقية الأسباب المؤدية إلى التفرق، وسبل معالجتها في ضوء النصوص الشرعية.

4.1.3.5. الحلول المقترحة

لا شك أن القرآن الكريم دلّ على سبل النجاة من هذا المشكل، والمفرق، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤١-٤٠]، وقال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فالنجاة من اتباع الهوى لا يمكن الا بتزكية النفس من قبل صاحبها لأن اتباع الهوى في الأمور الخلافية -السائغة حتى- أمر باطني -في أصله- لا يعلم به الا صاحبه، إذ هو يعرف لم وافق ولم خالف ولم تفرق، ولِم اهتدى إلى هذا الطريق؟! إلا قد يكون له دلائل ظاهرة خصوصا في المسائل التي يوجد في مقابلها نص محكم لا يحتمل الا وجها، وقد نبّه الشاطبي إلى هذا المعنى بقوله: "إلا أن هذه الخاصية راجعة إلى كل أحد في خاصة نفسه؛ لأنها أمر باطن، فلا يعرفها غير صاحبها، إلا أن يكون عليها دليل في الظاهر، والتي قبلها راجعة إلى العلماء الراسخين في العلم؛ لأن بيان المحكم والمتشابه راجع إليهم، فهم يعرفونها ويعرفون أهلها بمعرفتهم لها، والتي قبلها تعم جميع العقلاء من أهل الإسلام؛ لأن التواصل أو التقاطع معروف للناس كلهم، وبمعرفته يعرف أهله"[1].

كما قرر القرآن أن المخرج من تفرق الأهواء واختلاف الآراء هو الاعتصام بحبل الله، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. قال صاحب تفسير المنار: "إن الله -تعالى- قد وضع لنا بفضله ورحمته قاعدة نرجع إليها عند تفرق الأهواء واختلاف الآراء، وهي الاعتصام بحبله"[2].

---

(1) الشاطبي, *الموافقات*, ٥/ ١٦٥.

(2) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني رضا, *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)* (د. م: الهيئة المصرية العامة للكتاب, ١٩٩٠ م), ٤/ ٢٢.

وانطلاقًا من هذه النصوص، يمكن وضع جملة من الحلول العملية لمواجهة آثار الهوى، ومن أبرزها:

1. تعزيز الوعي الشرعي: من خلال تكثيف البرامج التوعوية والأنشطة الدعوية التي تبين خطورة الهوى، وتوضح وجوب التمسك بالشرع، وضرورة الابتعاد عن الشبهات والشهوات التي تضل المسلم عن الطريق القويم.
2. التمسك بالوسطية الشرعية: وذلك عبر ترسيخ الفكر الوسطي المستند إلى نصوص القرآن والسنة بفهم سليم، والابتعاد عن الإفراط والتفريط، فإن التطرف في الرأي والهوى كلاهما سبب للتفرق.
3. تشجيع الفهم الصحيح للنصوص: عبر إقامة الحلقات العلمية والندوات والبرامج التعليمية التي تشرح كيفية التعامل مع النصوص الشرعية، وتبين منهج العلماء في الجمع بين الأدلة، والتمييز بين الصحيح والضعيف، حتى لا يقع المسلمون في تناقضات أو اختلافات لا مبرر لها.
4. تربية الأفراد على محاسبة النفس: إذ كل إنسان أدرى بهواه، فعليه أن يراقب قلبه ويجاهد نفسه، وقد ذكرنا قول بعض السلف: "شر إله عبد في الأرض الهوى".
5. ومن الحلول المهمة في نصيحة أهل الأهواء عدم ذكر أسمائهم -الا إذا دعت ضرورة- كي لا يتولد من ذكر الأسماء التوحش والتفرق أيضا قال الشاطبي: "فإذا كان من مقتضى العادة أن التعريف بهم على التعيين يورث العداوة والفرقة وترك الموالفة، لزم من ذلك أن يكون منهيا عنه... إلا أن تكون البدعة فاحشة جدا... فبحسب نظر المجتهد، وما سوى ذلك، فالسكوت عن تعيينه أولى"[1].

وبذلك يتضح أن اتباع الهوى في الشهوات والشبهات كان ولا يزال من أعظم أسباب التفرق بين المسلمين، وأن الحل يكمن في العودة إلى نصوص الوحيين، والاعتصام بحبل الله، وتربية النفوس على الاستقامة والبعد عن الأهواء، حتى تعود للأمة قوتها وتماسكها.

---

(1) الشاطبي, *الموافقات*, ٥/ ١٥٥. [بتصرف قليل]

4.1.4. التحزبات المذهبية والطائفية والانتماءات الضيقة

تعد التحزبات المذهبية والطائفية والانتماءات الضيقة كذلك من أسباب تفرق الأمة الإسلامية، فقد خلق الإسلام أمة واحدة تؤمن بالله تعالى وبالرسول ﷺ، وجعل وحدتها قوة تظهر في جميع الجوانب السياسية والاجتماعية والعقائدية، ومع ذلك نجد أن الأمة الإسلامية اليوم قد ابتُليت بتفرق شديد بسبب النزاعات المذهبية والطائفية التي تتبع الهوى والانتماءات الضيقة في أغلبية أفكارها المفرقة، مما أدى إلى تمزق صفها.

4.1.4.1. المقصود من التحزبات المذهبية والطائفية والانتماءات الضيقة

قال ابن فارس في تعريف الحزب لغة: "الحاء والزاء والباء أصل واحد، وهو تجمّع الشيء. فمن ذلك: الحزب الجماعة من الناس، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]". فكل طائفة اجتمع هواها على أمر واحد فهي حزب [1].

وأما في الاصطلاح المعاصر، فالحزب يطلق على كل جماعة – قلّت أو كثرت – لها رأسٌ تُوالي وتُعادي على أساس الانتماء الحزبي، وتنتصر لإرادته ومقرراته [2]. وقد ورد لفظ 'الحزب' في القرآن الكريم على وجوه متعددة [3]، منها:

1 .للدلالة على الخير والفلاح: وهو ما سُمّي بـ حزب الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]. وهم الذين اجتمعوا على ما يرضي الله تعالى، من تولّيه وطاعة رسوله والمؤمنين، ونصروا دينه بالإيمان به والتوكل عليه، ومؤازرة المؤمنين دون أعدائهم[4]. وهذه الحزبية وصف للمؤمنين الصادقين، فهي

---

(1) ابن فارس, *مقاييس اللغة*, ٢/ ٥٥. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي, *العين*, تحقيق مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي (د. م: دار ومكتبة الهلال, د. ت), ٣/ ١٦٥.

(2) عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار, *بحوث ومقالات في التحذير من الحزبية* (الزلفي- المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية, ٢٠٢٤ م), ١٣.

(3) الطيار, *بحوث ومقالات في التحذير من الحزبية*, ١٣-١٤; عمر عبد اللطيف محمد نور, *التشوقية لسبق اليدمقراطية* (الخرطوم- سودان: المكتبة الوطنية, ٢٠١٩ م), ١٠٦.

(4) ينظر: الزحيلي, *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*, ٦/ ٢٣٤. الطبري, *تفسير الطبري*, ٨/ ٥٣٢.

جامعة لا مفرّقة، وقد تضمن الوعد لهم بالنصر، فكل من والى الله تعالى بالطاعة وامتثل أمره واجتنب نهيه، وجعل منه ناصرًا ومعينًا؛ فهو داخل في حزب الله وفي جماعة المؤمنين [1].

2. للدلالة على الشر والخسار: وهو ما سُمّي بـ حزب الشيطان، كما قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]. وهم الذين استولى عليهم الشيطان وزيّن لهم أعمالهم، فاتبعوا وساوسه وتركوا ذكر الله وطاعته، فصاروا من الخاسرين [2]. وقد قال بعض المفسرين: "كل حزب لا يكون سائراً على الجادّة المستقيمة؛ فهو حزب الشيطان، أي: أتباعه وأنصاره وأعوانه، وهم الخاسرون"[3].

3. للدلالة على معناه اللغوي الخالص، من غير مدح ولا ذم: كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢]. وقد قيل في تفسير الحزبيْن: مسلمان، أو كافران، أو مسلم وكافر [4].

أما **المذهب** فأصله من "ذهب يذهب ذهابًا"، ويأتي على معانٍ منها: الممرّ، والطريق، والرأي [5]. والمقصود هنا أقوال العلماء وما ذهبوا إليه من الآراء، كالمذاهب الفقهية الأربعة، ومذاهب السلف

---

(1) ينظر: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة, *المعجم الوسيط* (القاهرة: مجمع اللغة العربية بالقاهرة, ١٩٧٢), ٢/ ١١٠٠.

(2) ينظر: الهلال, *تفسير القرآن الثري الجامع*, ١١/ ٣٩٠. محمد فاروق فارس الزين, *بيان النظم في القرآن الكريم* (دمشق: دار الفكر, د.ت), ٤/ ١٧٢-١٧٣.

(3) الدرة, *تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه*, ٩/ ٥٧٩.

(4) ينظر: الدرة, *تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه*, ٥/ ٤٣٥-٤٣٦. ابن كمال باشا, *تفسير ابن كمال باشا*, ٦/ ٢٣٠.

(5) ينظر: أحمد مختار عمر, معجم *اللغة العربية المعاصرة* (د. م: عالم الكتب, ٢٠٠٨), ١/ ٨٢٥. زين الدين الرازي, *مختار الصحاح*, ١١٣. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرس ابن سيده, *المحكم والمحيط الأعظم*, تحقيق عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٠ م), ٤/ ٢٩٥.

من علماء الأمة، وكذا المذاهب العقدية[1]، فلا يلزم من لفظ 'المذهب' حقانية الرأي ولا بطلانه بمجرد إطلاقه.

وأما الطائفة فهي جزء من الشيء، وقد تُطلق على الفرد الواحد، وقيل أقلها رجلان، وقيل: هي الجماعة من الناس[2]. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله»[3]. وأما الطائفية في الاصطلاح فهي: التعصب لجماعة ذات رأي مخصوص – سواء كان سياسيًا أو اجتماعيًا أو دينيًا – بما يفضي إلى الولاء والبراء على ذلك الأساس. وفي المقابل فإن 'اللاطائفية' مبدأ يقوم على الوحدة والتعايش ونبذ التعصب [4].

وأما الانتماء فهو الانتساب، فيقال: 'انتمى إلى حزب' أي انتسب إليه وانضمّ إلى جماعته [5].

4.1.4.2. الآثار السلبية للتحزبات المذهبية والطائفية والانتماءات الضيقة على وحدة الأمة:

قد ثبت فيما تقدم أن كل خلاف أدى إلى التعصب، والتفرق، والتقاتل بين المسلمين؛ شرٌّ يجب الرجوع فيه إلى ما خالفوا فيه بعضهم بعضًا، ليعود المخطئ إلى الحق، فإن النصوص المحكمة تأمر بالوحدة وتنهى عن التفرق. قال السعدي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]: "بما أن الرب والدين والصراط واحد كان اللائق الاجتماع على هذا الأمر، وعدم التفرق فيه، ولكن البغي والاعتداء أبيا إلا الافتراق والتقطع والتحزب، وكل يدّعي أن الحق معه والباطل مع الفريق الآخر، ولا شك أن المصيب منهم من كان سالكًا للدين القويم والصراط المستقيم مؤتمًّا بالأنبياء، وسيظهر هذا يوم لا تخفى خافية" [6].

---

(1) ينظر: البركتي, *التعريفات الفقهية*, ٢٠٠.

(2) ينظر: ابن منظور, *لسان العرب*, ٩/ ٢٢٦.

(3) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٩٢٠، ١٥٢٣/٣.

(4) ينظر: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة, *المعجم الوسيط*, ٢/ ٥٧١. أحمد مختار عمر, *معجم اللغة العربية المعاصرة*, ٢/ ١٤٢٣.

(5) ينظر: أحمد مختار عمر, *معجم اللغة العربية المعاصرة*, ٣/ ٢٢٨٩.

(6) ينظر: السعدي, *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*, ٥٣٠.

وقد حذّر النبي ﷺ من التفرق والتحزب فقال: «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» [1]. وقال: «ومن قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية» [2]، وقال أيضًا: «ليس منا من دعا إلى عصبية...» [3]، كما جاء عنه التحذير من الدعاة على أبواب جهنم بقوله: «دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها» [4].

وعليه، فإن عاقبة هذه التحزبات الطائفية والمذهبية: الخسران في الدنيا والآخرة، لأنها من بقايا الجاهلية، ولأنها تقوم على الهوى لا على النصوص الشرعية.

أما آثارها السلبية الظاهرة فكثيرة، منها:

1. إضعاف الأمة: إذ تؤدي إلى الضعف والهوان والتخاذل بين المسلمين.
2. اختلال الولاء والبراء: فيوالي المسلم حزبه أو طائفته ولو كان أهلها فساقًا، ويعادى المسلم الصادق المخالف لحزبه، بل قد تمتد القطيعة حتى بين أفراد العائلة الواحدة إذا انتموا لأحزاب مختلفة.
3. فقدان الثقة بين المسلمين: مع أن الأصل أن يكون المسلم موضع ثقة وبراءة عند أخيه المسلم.
4. نشأة مدارس ومناهج خاصة: لا نقصد المذاهب الفقهية المعروفة التي لا تؤدي إلى فرقة، بل المناهج الحزبية الضيقة التي تزرع العصبية.
5. مدخل للأعداء: إذ يجد أعداء الإسلام في هذه الانقسامات ثغرة لدعم بعض الأحزاب ضد بعض، وبث بذور العداوة والبغضاء بين المسلمين.
6. التلاعب بالنصوص الشرعية: حيث يُقدَّم الضعيف دلالة أو متنًا، ويُترك الصحيح، لموافقة الهوى الحزبي، أو المذهبي، أو الطائفي.

---

(1) الترمذي, *سنن الترمذي*, رقم الحديث: ٢٨٣٢، ٤/ ٥٨٦.

(2) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٨٤٨، ٣/ ١٤٧٨.

(3) أبو داود, *سنن أبي داود*, رقم الحديث: ٥١٢١، ٧/ ٤٤١.

(4) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٨٤٧، ٣/ ١٤٧٥.

7. انتشار البدع: لأن الزعيم الحزبي أو الطائفي إذا دعا إلى بدعة سرعان ما تُتلقّى بالقبول من أتباعه، ارتباطًا بولائهم له.
8. عدم استقرار الدول الإسلامية: إذ تنشأ الفوضى في إدارة شؤون الدولة سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا؛ بسبب تضارب الولاءات الحزبية.
9. التقاتل بين المسلمين بغير حق: حتى يصل الحال إلى أن لا يعرف القاتل لِمَ قتل، ولا المقتول لِمَ قُتل كما ورد في الأخبار.

فهذه جملة من أخطر الآثار التي تنجم عن التحزبات المذهبية والطائفية والانتماءات الضيقة، وكلها تنتهي إلى إضعاف وحدة الأمة، وتمزيق صفوفها، وصرفها عن الغاية التي خُلقت لأجلها.

4.1.4.3. الحلول المقترحة

لمواجهة خطر هذه الانقسامات ينبغي التزام جملة من الحلول الشرعية والعملية، أبرزها:

1. تعميق الانتماء للإسلام كهوية جامعة: بغرس مفهوم "الأمة الواحدة" في النفوس، بحيث يكون الولاء الأول للدين لا للطائفة أو المذهب أو الحزب، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].
2. الاحتكام إلى الكتاب والسنة عند الاختلاف: لأن كثيرًا من النزاعات المذهبية مردّها اتباع الهوى أو العصبية كما تقدم، بينما الأصل أن تُحسم بالرجوع إلى النصوص: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].
3. نشر ثقافة الاعتدال والتسامح بين المذاهب الإسلامية: ببيان أن الخلاف الفقهي السائغ لا يبرر التعصب أو الطعن، وأن العلماء الكبار كانوا يوقّر بعضهم بعضًا رغم اختلافهم.
4. البحث عن البدائل الشرعية للتعددية الحزبية: إذ لم يظهر لها أثر إيجابي في واقع الأمة، وهذا بوضع لجان من أهل العلم والخبرة.
5. نشر روح التعايش بين المسلمين في الوطن الواحد: بترسيخ حرمة الدم والعرض والمال بين المسلمين، وبيان أن الموالاة الإسلامية لا يقابلها أي ولاء آخر، قال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه» [1].

---

(1) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٥٦٤، ٤/ ١٩٨٦.

6. الدعوة إلى نبذ الطائفية والحزبية بالحكمة والموعظة الحسنة: حتى يبتعد الناس عنها وعن حبها، ويرتبطوا بالمنهج الشرعي الذي يجمع ولا يفرق.
7. إدماج قيم الوحدة في المناهج الدراسية: عبر غرس روح الأخوة الإسلامية منذ المراحل التعليمية الأولى وتقبيح العصبية عندهم، حتى ينشأ الجيل القادم على أن حب المسلم لإسلامه مقدم على أي ولاء أو رابطة تنافيه.
8. تعزيز الحوار العلمي الرصين بين أتباع المذاهب: لوصول المخطئ إلى الحق، وإزالة الشبهات التي تؤدي إلى الصدام.
9. ترسيخ قيم العدل والإنصاف في النظر إلى الآخر: فلا يُقصى المخالف في المسائل الاجتهادية، بل يُعامل بالعدل، إذ قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].
11. إحياء التجارب التاريخية في تجاوز الفتن المذهبية: كتجربة صلاح الدين الأيوبي الذي وحّد الصفوف ضد العدو الخارجي، متجاوزًا الانقسامات الداخلية.

وخلاصة القول: إن معالجة التحزبات المذهبية والطائفية والانتماءات الضيقة لا تتم إلا بالعودة الصادقة -البعيدة عن الهوى- إلى شرع الله، وتعميق الانتماء للإسلام كهوية جامعة، وترسيخ ثقافة التعايش بين المسلمين في الوطن الواحد، مع التأكيد على حرمة الدم والعرض والمال، والدعوة إلى نبذ العصبية المذمومة بالحكمة والموعظة الحسنة. كما يشمل ذلك نشر قيم الوحدة والاعتدال في المناهج التربوية والبرامج التوعوية، والبحث عن البدائل الشرعية للتعددية الحزبية التي لم تُثمر إلا الانقسام. ومن الحلول العملية المهمة أيضًا الالتزام بالسمع والطاعة لولاة أمر المسلمين وحكامهم في الخير والدعاء لهم بالتوفيق للعباد والبلاد، وإفهام الأحزاب المعارضة التي تريد الوصول إلى السلطة في الدول المسلمة بأن تعاملاتهم يجب أن تكون في إطار المحبة للدولة والوطن والسمع والطاعة في المعروف [1]، قال النبي ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة» [2]، وقال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية،

---

(1) الطيار, *بحوث ومقالات في التحذير من الحزبية*, ٤٥. نور, *التشوقية لسبق اليدمقراطية*, ١٠٧.

(2) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٦٧٢٣، ٦/ ٢٦١٢.

فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» [1]. وبهذا التمسك بالحق والاعتدال يمكن للأمة أن تستعيد عافيتها، وتنهض متجاوزة آثار الانقسامات، جامعةً كلمتها على الحق، محققةً لمقاصد الشرع في وحدة الصف واجتماع الكلمة.

4.1.5. التحاكم إلى المناهج والأفكار غير الإسلامية - العلمانية والليبرالية والقومية نموذجا-

إنَّ الأفكار تمثِّل الوقود العقلي المحرّك لحركة الحياة عند الأفراد والجماعات، وكلما ازدادت صفاءً ونقاءً انعكس أثرها إيجابًا على الأعمال والسلوكيات، وكلما اعتراها الانحراف والاضطراب كانت نتائجها سلبية مدمِّرة. ومن هنا كان لزامًا على المجتمعات أن تعي طبيعة الأفكار التي تؤثِّر في أبنائها، وأن تدرك أن وراء كل حضارة منظومة فكرية تُشكِّل أساسها، وأصل كل فكر عقيدةٌ دينية أو فلسفية تُعَدُّ الدافع الرئيس لبناء الحضارات. والمقصود بالفكر هنا هو الرؤية الشاملة في تفسير الوجود وتقويم حياة الإنسان [2].

والمتأمِّل في تاريخ الفكر الإنساني يدرك أن الإسلام يمثِّل مرحلة فاصلة في هذا التاريخ، ليس من جهة كونه دينًا جديدًا لم يُسبق بمثله فحسب، بل لأنه خاتم الرسالات السماوية، وكان من مقتضى ختمه أن يُحفَظ من التحريف، والتبديل نصًّا، وعقيدة، وفكرًا [3]. ومع ذلك، فإنّ القوى الاستعمارية الغربية عملت على تصدير بضائعها الفكرية -التي جاءت لتعويض الفراغ الحضاري الذي كانت تعيشه - إلى العالم الإسلامي، فانتقلت إلى ديار المسلمين تياراتٌ متعددة مثل: العَلمانية، والليبرالية، والقومية، وكان لهذه التيارات أثرها البالغ في تشكيل مواقفٍ حزبيةٍ وطائفيةٍ متنازعة داخل المجتمعات الإسلامية [4].

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٦٧٢٥، ٦/ ٢٦١٢.

(2) ينظر: مصالحه, *وجوب وحدة الأمة الإسلامية*, ١٥٩. جمعان ظاهر ماضي الحريش, *مشكلة الافتراق في الفكر الإسلامي أسبابها وطرق علاجها* (مصر: جامعة القاهرة, دكتوراه, ٢٠٠١ م), ١٣.

(3) ينظر: الحريش, *مشكلة الافتراق في الفكر الإسلام*, ١٥.

(4) ينظر: عكيوي, "جهود بديع الزمان النورسي في إرساء أسس الوحدة الفكرية وتثبيت الحوار العلمي في عصره", ١٦.

4.1.5.1. العلمانية

العَلمانيــة -بفـتح العـين لا بكسـرها كمـا يلفظهـا الـبعض خطـأً- أصـلها مـن الكلمــة الإنجليزيــة (Secularism)، والحقيقة أن كلا الترجمتين العربية "العِلمانية" أو "العَلمانية" لا تعبّران بدقة عن معناها؛ إذ ليس لأصل الكلمة المترجَمة علاقةٌ بالعلم أو بالعالَم [1]، كما يظن البعض، بل هي مشتقة من مفهوم "الدنيوي" في مقابل "الديني"، ولذلك ترجمتها إلى "العالمانية" لا تستقيم أيضًا، لأنها ليست مجرد حصرٍ للاهتمام بالعالَم المادي، بل تتدخل في الشأن الديني وتعمل على فصله عن الحياة العامة فصلاً تامًا، وقد حُرّفت هذه الكلمة وأُدخلت إلى الثقافة العربية والإسلامية عبر نصارى العرب، لتخفيف وطأة معناها الأصلي "اللاديني" وتزيينها في الأسماع الإسلامية، حتى يُظَنَّ أنها دعوةٌ إلى العلم أو التنوير[2]. لكن حقيقتها أنها فلسفة سياسية واجتماعية تدعو إلى فصل الدين عن الحياة العامة والسياسية، وجعل القوانين والأحكام والأخلاق قائمة على أسسٍ بشريةٍ محضة، دون الرجوع إلى الشرائع السماوية [3].

---

(1) توضيح: قد يقال إن لفظ العَلمانية مشتقٌّ من العالَم لا من العِلم، فيكون أصله عالَماني ثم حُرِّف إلى عَلماني، فيُظنّ أن معناها مرتبطٌ بـ(العالَم) بمعنى الدنيا. وهذا الادعاء لا يمكن إثباته من جهة الاشتقاق القياسي في العربية.
ومع ذلك، فإنّ ارتباطها بالدنيا المحسوسة وحدها لا يكفي لتحديد معناها؛ لأن العلمانية -بحسب تعريف دائرة المعارف البريطانية وغيرها- أوسع من ذلك، إذ تقوم على فصل الدين عن مجالات الحياة العامة كلها، وليس مجرد التركيز على الجانب الدنيوي.
فإن قيل: هي نسبة إلى العالَم بمعنى (الإيمان بالمادة دون خالقها)، فهذا المعنى قريب من الدهرية الذين قال الله تعالى عنهم: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية: ٢٤]، إلا أنّ العلمانية تزيد على الدهرية بأنها لا تكتفي بإنكار الغيب أو تجاهله، بل تسعى إلى فصل الدين عن التشريع، وعن تنظيم شؤون الحياة العامة؛ فهي بذلك أوسع أثرًا وأشدّ خطورة.

(2) ينظر: سفر بن عبد الرحمن الحوالي, *العلمانيَّة - نشأتهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة* (د. م: دار الهجرة, د. ت), ٢١. عوض بن محمد القرني, *العلمانية التاريخ والفكرة* (د. م: د. ن, د. ت), ٢.

(3) ينظر: أحمد فرج, *جذور العلمانية* (المنصورة - مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع, ١٩٩٠ م), ١٦٤.

وقد عرّفت دائرة المعارف البريطانية العَلمانية بأنها: "حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها" [1]، كما عُرفت بأنها: "مفهوم يرى ضرورة أن تقوم الأخلاق والتعليم على أساس غير ديني" [2].

وإذا كان الدين الإلهي -الإسلام- بمنهجه الشامل يوحّد أتباعه من خلال الإيمان الذي يدعو إليه، والعبادات التي ينظمها، والأخلاق التي يأمر بها، والاجتماعيات والأحكام التي يرتبها، فإنَّ أيّ انحراف عن هذا المنهج، أو نقصٍ في فهمه أو تطبيقه، يؤدي حتمًا إلى التفرّق بين أفراده ومجتمعاته.

ومن هنا، فإن العَلمانية تمثّل خطرًا جوهريًا على وحدة الأمة الإسلامية؛ لأنها تحاول أن تُقصي الإسلام عن مجالات الحكم والسياسة والاقتصاد والعلم والأخلاق والفن، وتمنح الإنسان حريةً مطلقة في التشريع والتصرّف بعيدًا عن الضوابط الشرعية. وبذلك تُضعف الروابط التي تجمع المسلمين، وتُحدث تفككًا خطيرًا في كيان الأمة، فلا تقوم العدالة الاجتماعية التي أمر بها الإسلام، ولا تبقى الصلة الوثيقة بين الدين والدنيا التي كانت الأساس الذي قامت عليه الأمة الإسلامية ووحّد صفوفها[3].

4.1.5.2. الليبرالية

الليبرالية مصطلح أجنبي مُعرَّب، مأخوذ من الكلمة الإنجليزية (Liberalism) أو الفرنسية (Libéralisme)، وتعني "الحرية" أو "التحررية". وهي في حقيقتها وجه من وجوه العلمانية، إذ

---

(1) مأخوذة من كتاب: الحوالي, *العلمانيَّة نشأتهَا وتطوّرهَا*, ٢٢.

(2) اللجنة العلمية بجمعية الترتيل, *العلمانية، الليبرالية، الديمقراطية، الدولة المدنية في ميزان الإسلام* (د. م, د. ت), ٧.

(3) ينظر: سالم علي البهنساوي, *تهافت العلمانية في الصحافة العربية* (المنصورة - مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع, ١٩٩٠ م), ١٤٧، ٥٤. الحوالي, *العلمانيَّة نشأتهَا وتطوّرهَا*, ٤٩٣.

تشترك معها في المرجعية الفكرية القائمة على إقصاء الدين عن مجالات الحياة العامة، والسعي إلى تنظيم شؤون الإنسان بمعزل عن الوحي الإلهي [1].

والتحرر الذي تدعو إليه الليبرالية يشمل معظم جوانب الحياة؛ السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية، وغيرها. فعُرفت في المجال السياسي بأنها: "حركة سياسية تدعو إلى الحرية السياسية والمدنية غير الخاضعة لسلطة استبدادية" [2]، وفي المجال الاقتصادي بأنها: "نظرية اقتصادية تتبع سياسة عدم التدخل والسوق الحرة وقاعدة الذهب" [3].

وتقوم الليبرالية في جوهرها على مبدأ الحرية الفردية المطلقة، بحيث يكون هوى الإنسان إلهه، ومحور التشريع والمرجع في تحديد ما يراه خيرًا أو شرًا، مادام لا يصطدم بالقانون الوضعي. - ولهذا فإنها قد ترفع شعار: دعوا الناس أحرارًا ما لم يضرّوا غيرهم ضررا حسيا مخالفا للقانون-، وتعدّ القانون هو الحدّ الوحيد الذي يقف أمام الحرية الفردية، دون أي اعتبار ديني أو أخلاقي مستمد من الوحي [4].

ورغم أن الليبرالية تتضمن بعض المفاهيم التي لا تخلو من جوانب صحيحة نظريا -كالدعوة إلى كرامة الإنسان ورفض الاستبداد- والتي لا تخلوا منها الإسلام، إلا أنها تتناقض جوهريًا مع مبادئ الشريعة الإسلامية؛ لأنها تروّج لفكرة الحريات غير المنضبطة بضوابط الشرع، وتمنح الإنسان سلطة مطلقة على أفعاله وأفكاره دون التزامٍ ديني أو خُلقي. كما تسعى إلى الحدّ من سلطة الدولة في ضبط السلوك العام، وتقليص دورها في الاقتصاد، وتوسيع ما تسميه بالحريات المدنية، حتى أصبح

---

(1) ينظر: مجموعة من الباحثين, *موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة*, تحقيق الشيخ عَلوي السقاف (د. م: المكتبة الشاملة, ١٤٣٣ هـ), ١/ ١٩٠. شحاتة محمد صقر, *الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان* (الاسكندرية - مصر: دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي, د. ت), ٢٣. اللجنة العلمية بجمعية الترتيل, *العلمانية، الليبرالية، الديمقراطية، الدولة المدنية في ميزان الإسلام*, ١٦.

(2) أحمد مختار عمر, *معجم اللغة العربية المعاصرة*, ٣/ ١٨١٩.

(3) ينظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي, *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة*, تحقيق مانع بن حماد الجهني (الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع, ٢٠٠٣ م), ٢/ ١١٣٥. أحمد مختار عمر, *معجم اللغة العربية المعاصرة*, ٣/ ١٨١٩.

(4) اللجنة العلمية بجمعية الترتيل, *العلمانية، الليبرالية، الديمقراطية، الدولة المدنية في ميزان الإسلام*, ١٧-١٩.

النظام الليبرالي في جوهره نظامًا علمانيًا يجعل الإنسان محور الكون، ومصدر التشريع، ومرجع القيم، والمعايير.

وقد جاء في الموسوعة الأمريكية الأكاديمية أن "النظام الليبرالي الجديد الذي ارتسم في فكر عصر التنوير بدأ يضع الإنسان بدلًا من الإله في مركز الأشياء، فالناس بعقولهم المفكرة يمكنهم أن يفهموا كل شيء، ويطوّروا أنفسهم ومجتمعاتهم عبر الفعل النظامي والعقلاني"[1]. وهذه الفلسفة -القائمة على تأليه العقل البشري واستقلاله عن الوحي- تتناقض تمامًا مع العقيدة الإسلامية التي تجعل الوحي الإلهي المصدر الأعلى للمعرفة والهداية، وترى أن العقل أداة لفهم النصوص لا بديلاً عنها.

ولذلك فإن الليبرالية بما تحمله من مضامين فكرية وسلوكية تعدّ خطرًا على وحدة الأمة الإسلامية، إذ تفصل الدين عن حياة الناس، وتُضعف سلطان الشريعة في النفوس، وتحوّل المجتمع إلى تجمعات فردية تسير كلٌّ وفق هواه ورأيه، مما يؤدي إلى ضعف التماسك وفقدان المرجعية الجامعة التي تحفظ وحدة الأمة وتوجهها.

4.1.5.3. القومية

جاء في معجم الوسيط أن القومية هي: "صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع، وقد تنتهي بالتضامن والتعاون إلى الوحدة كالقومية العربية" [2].

وهذه الصلة -وإن بدت في ظاهرها رابطة اجتماعية أو ثقافية- فإنها حين تُتَّخذ بديلاً عن الرابطة الدينية، وتتحول إلى عصبية تُمجِّد الجنس أو اللغة أو الأرض على حساب العقيدة، تصبح من الصفات المذمومة التي نهى عنها الإسلام. فقد كانت القومية في صورتها العصبية من أبرز ملامح الجاهلية، حيث كان الناس يفتخرون بالأحساب، ويطعنون في الأنساب، ويُقدِّمون الولاء والانتماء

---

(1) ينظر: مجموعة من الباحثين, *موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة*, ١/ ١٩٠. مصالحه, *وجوب وحدة الأمة الإسلامية*, ١٦١.

(2) نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة, *المعجم الوسيط*, ٢/ ٧٦٨.

للقبيلة على حساب الحق والدين، وقد جاء الإسلام فهدم هذه العصبيات البغيضة، وأقام مكانها رابطة الإيمان والتقوى [1].

لكن أعداء الإسلام -وفي مقدمتهم القوى الاستعمارية- سعوا بعد ضعف الأمة الإسلامية إلى إحياء هذه النعرة الجاهلية من جديد، لإضعاف وحدة المسلمين وتمزيق صفوفهم، فعملوا على إذكاء القومية في صورتها العِرقية واللغوية، بين العرب والترك والفرس والكرد وغيرهم، ممن كان لهم عبر التاريخ دور مشهود في نصرة الإسلام ورفع رايته [2]. فانتشرت الدعوات القومية في القرن التاسع عشر والعشرين، وتغلغلت في مناهج التعليم وخطاب السياسة لما لها من ذوق للنفس، وقوة مشؤومة حتى غدت عند بعض المسلمين بديلًا عن الرابطة الإسلامية، ومصدرًا للولاء والانتماء، فتمكَّن المستعمرون بذلك من تقسيم الأمة إلى دويلات متناحرة يسهل التحكم فيها وابتلاعها [3].

ولقد كان المجتمع الإسلامي في عصور ازدهاره مثالًا للتعددية القومية والثقافية تحت مظلة الإسلام؛ فلم يُمنَع أحد من التحدث بلغته، ولا من الحفاظ على زيه أو عاداته، ما لم تخالف الشريعة. فكان المسلمون -عربًا وعجمًا، بيضًا وسودًا- متعاونين في نصرة الدين، يسابق بعضهم بعضًا في خدمة الإسلام والعلم والجهاد، فبارك الله في آثارهم، وأعلى شأنهم، وحفظ بهم دينه، وخلّد ذكرهم في التاريخ. أما لو كانت حركتهم قائمة على العصبية القومية، أو راية العرق والدم، لما كتب الله لأعمالهم القبول، ولا لأممهم الاجتماع والتمكين [4].

إن الإسلام يربّي أبناءه على مبدأ أصيل وهو المساواة والعدالة، وإن الله خلق الناس جميعاً من ذكر وأُنثى، وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، وجعل أكرمهم عنده أتقاهم.

---

(1) ينظر: أبو عبد الرحمن إبراهيم بن سعد أبا حسين, معجم *التوحيد* (د. م: دار القبس للنشر والتوزيع, ٢٠١٤ م), ١/ ٤٢٥.

(2) ينظر: محمد بن فريد زربوح, *المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين -دراسة نقدية-* (د. م: تكوين للدراسات والأبحاث, ٢٠٢٠), ١/ ٢٨٩.

(3) النورسي, *كليات رسائل النور*, المكتوبات: ٤٠١.

(4) ينظر: إدريس بن بيدكين بن عبد الله التركماني الحنفي ابن بيدكين التركماني, *اللمع في الحوادث والبدع*, تحقيق دار الكوثر للتراث (بيروت: دار ابن حزم, ٢٠١٣ م), ٣٠.

ومع الأسف، فإن الاستعمار الحديث قد نجح في إحياء هذه النزعات الجاهلية، فأنشأ دويلات قومية ذات أغلبية مسلمة لكنها تقوم على أسس لغوية أو عرقية، لا على أساس العقيدة، فأصبح المسلم يظلم أخاه لاختلاف اللغة أو الأصل، مع أن كليهما يشهد أن لا إله إلا الله. وهكذا انقلبت موازين الأخوة الإيمانية إلى عصبيات مصطنعة تمزق الأمة وتبدد قوتها. ولذلك فإن كل دعوة تُرفع تحت راية القومية أو العرق أو اللغة -سواء كانت عربية أو تركية أو فارسية أو كردية- هي في حقيقتها دعوة جاهلية، تُضعف رابطة الدين، وتُبدد وحدة الأمة، وتُعيدها إلى عصور الجاهلية الأولى. فالإسلام هو الذي يوحِّد، بينما هذه الشعارات تُفرّق وتُشتّت، وتُبعد المسلمين عن سيادتهم التي وهبها الله لهم يوم اجتمعوا على كلمة التوحيد [1].

4.1.5.4. تحديد المشكلة والحلول المقترحة

إن من أبرز مقومات وحدة الأمة الإسلامية وأوثق عُرى اجتماعها أن يكون مرجعها الأعلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، إذ هما الميزان العادل والحكم الفصل في كل شأن من شؤون الحياة، ولهذا قرر القرآن الكريم أن الحكم لله وحده لا شريك له، فقال سبحانه: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، فلا حكم حق إلا ما أنزله الله على رسوله.

وقد جاء القرآن بأشد العبارات في ذم من أعرض عن حكم الله وتحاكم إلى غيره، فقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]. فهذه الآيات الثلاثة نصوص محكمة تُبيّن أن الإعراض عن حكم الله لا يخرج عن هذه الأوصاف الخطيرة: الكفر أو الظلم أو الفسق، بحسب ما يقوم بالقلب من الاعتقاد وبالعمل من الإعراض أو التبديل [2].

وقال تعالى مؤكداً وجوب التسليم لحكمه ورفض أي اختيار دونه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فالمسلم الحق لا يملك أن

---

(1) ينظر: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بكر أبو زيد, معجم *المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ* (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع, ١٩٩٦ م), ٧٨.

(2) ينظر: ابن الجوزي, *زاد المسير في علم التفسير*, ١/ ٥٥٣.

يختار مرجعاً آخر غير حكم الله ورسوله وجاء حديث النبي ﷺ ليزيد الأمر وضوحًا، إذ قال: «فمن رغب عن سنتي فليس مني» [1]، فكيف يُتصوَّر إذن قيام نظام أو جماعة أو حزب على غير سنته وهديه؟

بل ذم القرآن من يتحاكم إلى غير الشريعة، ووصفهم بالمنافقين [2]، فقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]، فالإرادة في التحاكم إلى الطاغوت -وهو كل ما عُبد أو طُبّق من دون الله- علامة على النفاق في الإيمان، فكيف بالرضا بالتحاكم الفعلي به! [3].

ومن هذا يظهر أن التحاكم إلى المناهج والأفكار غير الإسلامية، كالعلمانية والليبرالية والقومية، هو في حقيقته تحاكم إلى الطاغوت، وعدول عن حكم الله، وإيثار لأهواء البشر على وحي السماء، ولا يخفى أن ذلك من أعظم أسباب تمزيق وحدة الأمة إذ لا تريد أي من هذه الأفكار والمدارس الخضوع للنصوص الإسلامية فلا يمكن تجمع المسلمين المؤمنين برسالة السماء تحت رسالة البشر الناقصة المخالفة لوحي السماء منذ نشأتها، فنتيجة لذلك تتفرق الولاءات بين المسلمين والمنتسبين إلى الإسلام بتفرق المرجعيات الباطلة، فيصير ولاء كل جماعة لفكرها ومذهبها، بدلاً من أن يكون الولاء لله ورسوله والمؤمنين.

وقد أمر الإسلام أتباعه الذين آمنوا بالله واليوم الآخر أن يقبلوا كافة شرائعه وتعليماته قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾[البقرة: ٢٠٨] فليس من الإيمان أن يؤمن المرء بالله ورسوله ثم يعرض عن أحكام الشريعة أو يستبدل بها أنظمة بشرية، لأن في ذلك تفضيلاً لحكم البشر على حكم الله، وقد قال الله: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٤٧٧٦، ٥/ ١٩٤٩.

(2) ينظر: الطبري, *تفسير الطبري*, ٧/ ١٨٩.

(3) ينظر: الهلال, *تفسير القرآن الثري الجامع*, ٢/ ٤٦٢.

فالمؤمنون الحقيقيون الناجون "هم المخلصون لله في دينهم الذين لا يأخذون أحكامه إلا عن وحيه، وأما متخذو الأنداد ومحبوهم بهذا المعنى فهم الذين ورد في بعضهم ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [النور: ٤٨] فهم لا يقبلون حكم الله في كتابه ولكن إذا دعوا ليحكم بينهم بآراء رؤسائهم أقبلوا مذعنين"[1]، فالإعراض عن حكم الله والاستكبار عن اتباعه صفة وعلامة على النفاق فـ"لا يخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب مرض لازم لها أو قد عرض لها شك في الدين، أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم، وأيًا ما كان فهو كفر محض، والله عليم بكل منهم وما هو منطو عليه من هذه الصفات"[2].

ومن هنا فإن الحل الجذري لوضع الأمة وتفرقها هو في الرجوع الجاد إلى تحكيم شرع الله في جميع شؤون الحياة، وإقامة نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على هديه، مع إحياء مفهوم "الولاء لله ورسوله والمؤمنين"، ونبذ العصبيات الحزبية والمذهبية والقومية. كما ينبغي ترسيخ التربية الإيمانية والفكرية التي تُعلّم المسلم أن الشريعة شاملة لكل جوانب الحياة، وأنها لا تقبل القسمة ولا التبعيض.

وكذلك من الحلول العملية أيضًا:

1. تعزيز المرجعية العلمية والشرعية في توجيه المجتمعات المسلمة نحو الفهم الصحيح للدين بعيدًا عن الغلو أو الانحراف.
2. إحياء المؤسسات التعليمية والإعلامية القائمة على القيم الإسلامية لتصحيح المفاهيم المغلوطة التي بثّتها المدارس الفكرية الوافدة.
3. تعميق فقه الوحدة والاجتماع في المناهج والمراكز الدعوية، بما يرسّخ أن الخلاف سنة كونية، لكن الفرقة في الدين منهي عنها.
4. تشجيع العمل الجماعي المؤسسي الذي يجمع الطاقات تحت راية واحدة، راية الإسلام، لا تحت مسميات حزبية أو قومية ضيقة.

---

(1) محمد رشيد رضا, *تفسير المنار*, ٢/ ٥٧.

(2) ينظر: ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, ٥/ ٥٥٨.

5. إحياء روح الشورى والعدل في إدارة شؤون الأمة، لأنها من جوهر الحكم الإسلامي، ولأنها السبيل إلى تحقيق الوحدة على أساس من العدل والمساواة.
6. إقامة المؤتمرات، والمنتديات، والمحاضرات، والأعمال الجماعية، وكتابة الكتب، والمقالات التي تُبرز حقيقة هذه الأفكار ومن يقف وراءها، وتبصّر المسلم بوجوب البعد عن كل من يدعوه إلى غير وحي الله في ولائه وبرائه وحكمه وسلوكه، ليبقى انتماؤه خالصًا لدينه ووحي ربه.

وبذلك تكون عودة الأمة إلى مصدر عزتها -القرآن والسنة- هي الخطوة الأولى نحو استعادة وحدتها، إذ لا وحدة حقيقية إلا تحت راية التوحيد، ولا اجتماع صالح إلا على منهج الله القويم.

4.1.6. الأسباب غير المباشرة

إن الشريعة الإسلامية كما أنها نهت عن الأسباب المباشرة التي تفرق شمل المسلمين كذلك تنهى عن الأسباب غير المباشرة أيضا فكل سبب يبعد المسلم عن طريف الوحدة والجماعة منهي عنه أصالة [1]، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: كنا عند النبي ﷺ فخط خطا، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط، فقال: «هذا سبيل الله» [2]، ثم تلا هذه الآية: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وإن من أبرز الأسباب غير المباشرة التي تسهم في تفكك الأمة الإسلامية وتشتت صفّها ما يكون في ظاهره من سنن الله الكونية الجارية بين عباده، إلا أن يد الإنسان قد تتدخل فيه فتجعله وسيلةً للتنازع والانقسام.

فمن ذلك الفقر، الذي وإن كان من سنن الله في خلقه حيث قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٥٥]، إلا أنّه قد يُتَّخذ وسيلةً لإضعاف الشعوب الإسلامية، من خلال التفقير المتعمَّد الذي تنفذه بعض القوى أو الأنظمة -الداخلية، أو الخارجية، أو معا-، فيتحول إلى أداةٍ لزرع الطبقية في المجتمع، وإحداث الفوارق الاقتصادية والاجتماعية بين

---

(1) ينظر: الحريش, *مشكلة الافتراق في الفكر الإسلام*, ٤٣-٤٤.

(2) ابن ماجه, *سنن ابن ماجه*, رقم الحديث: ١١، ٦/١.

أفراده. وقد نُشر في كثير من البلدان الإسلامية فقرٌ وجوعٌ وخوفٌ ممنهج، كان من نتائجه أن تفرَّق شباب الأمة، واضطر كثير منهم إلى الهجرة عن أوطانهم، وانشغلوا بطلب القوت عن قضايا أمتهم ومصيرها، وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: «ليس المؤمن الذي يبيت وجاره إلى جنبه جائع» [1]، قال المناوي في شرح الحديث: "وَذَلِكَ لأنه يدل على قسوة قلبه وَكَثْرَة شُحّه وَسُقُوط مروأته ودناء طبعه" [2]، وقد حذّر النبي ﷺ من الشح فقال: «اتقوا الشحّ فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم» [3]، فالشحّ حين يستولي على القلوب، يزرع فيها البغضاء ويُضعف روح الأخوة والتكافل، فيضعف بذلك كيان الأمة ويتشتت جمعها [4].

ومن الأسباب غير المباشرة أيضًا حب الدنيا وكراهية الموت، وقصدنا الركون إليها والفرار من الجهاد في سبيل الله ومرضاته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[يونس: ٧-٨]، وقد أشار النبي ﷺ إلى أثرهما العظيم في ضعف الأمة وتفرقها فقال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت» [5]، وكذلك قال: ««من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له» [6]، فالتعلق بالدنيا وزينتها يُولِّد الجبن عن الحق، ويُضعف العزيمة في مواجهة الباطل، ويجعل المسلمين أسرى لمصالحهم الخاصة، مما يفتح الباب واسعًا أمام الفرقة والنزاع بينهم.

---

(1) الحاكم, *المستدرك على الصحيحين*, رقم الحديث: ٧٣٠٧، ٤/ ١٨٤.

(2) زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي, *التيسير بشرح الجامع الصغير* (الرياض: مكتبة الإمام الشافعي, ١٩٨٨ م), ٣٣٧/٢.

(3) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٥٧٨، ١٩٩٦/٤.

(4) مصالحه, *وجوب وحدة الأمة الإسلامية*, ٢٠٨-٢٠٩.

(5) أبو داود, *سنن أبي داود*, رقم الحديث: ٤٢٩٧، ٣٥٥/٦.

(6) الترمذي, *سنن الترمذي*, رقم الحديث: ٢٤٦٥، ٦٤٢/٤.

ومن الأسباب كذلك ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو من أخطر ما يصيب الأمة في دينها ووحدتها، لأن به قوام الجماعة واستقامة المجتمع، فإذا تُرك، ساد المنكر، واستحكم الفساد، وتقطعت روابط الأخوة الإيمانية، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فصلاح الأمة ونجاتها مرتبط بقيام طائفةٍ منها بهذا الواجب العظيم، وتركه يفتح أبواب الانحراف والفساد، ويُمهّد السبيل لاختلاف القلوب وتنافرها، إذ كلٌّ يعمل بما يشاء دون رادع أو وازع، فينهار بذلك النظام الأخلاقي والاجتماعي الذي يجمعها.

ومنها كذلك الإعلام الموجَّه وخوارزميات مواقع التواصل؛ فالإعلام في الأصل أداة ذات حدَّين يمكن أن تنفع أو تضر، ولكنه في زماننا صار -للأسف- من أقوى الأدوات التي تُستعمل لتفريق المسلمين وإثارة الخلاف بينهم. فكثير من القنوات والمواقع تعرض الأخبار والآراء بطريقة تُشعل التوتر، وتُظهر الخلاف وكأنه الأصل، وتُضعف روح الأخوة، حتى صار الناس ينظرون إلى بعضهم نظرة شكّ بدل الثقة.

وأمّا خوارزميات مواقع التواصل، فمشكلتها أنها لا تُظهر للمستخدم إلا ما يوافق رأيه ورغبته، فيعيش الإنسان داخل دائرة ضيقة لا يرى فيها إلا ما يشبهه، ولا يسمع إلا من يقول مثل قوله، فيزداد البعد بين المسلمين، ويقلّ التفاهم، ويصعب الاتفاق على كلمة واحدة. وهذا من أخطر ما يهدد وحدة الأمة في هذا العصر.

وبسبب هذا التأثير الكبير للإعلام، رأى الباحث ضرورة تخصيص الباب السابع للحديث عن دوره في وحدة الأمة، وبيان كيف يمكن إصلاح هذا الواقع، وتحويل الإعلام من عامل تفريق إلى وسيلة تقوّي أواصر المسلمين وتُذكِّرهم بما يجمعهم، لا بما يفرقهم.

وفي ختام هذا المطلب، يتبيَّن أن هذه الأسباب غير المباشرة وإن لم تكن في ظاهرها دعوة صريحة إلى التفرّق، إلا أن آثارها العميقة تنخر في جسد الأمة حتى تُضعف وحدتها من داخلها. فالفقر إذا استُغلّ صار أداةَ إذلال، وحبّ الدنيا إذا تغلغل في القلوب أورث التنازع والتخاذل، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا انتشر أطفأ نور الإيمان الحيّ، وأتاح للباطل أن يسود.

ومن المهم أن يُعلم أن الأسباب غير المباشرة في تفرّق الأمة كثيرة، وفي الحقيقة كل طاعةٍ لله تُقرّب طريق الوحدة، وكل معصيةٍ له تُسبّب التشتت وتفتح باب الاختلاف المذموم والتشرذم، كترك إقامة الصلاة في المساجد، وإهمال تسوية الصفوف، وعدم أداء حقوق الجيران والأهل وذوي القربى، والتقليد الأعمى، والإفراط أو التفريط في تطبيق الدين وكيفياته، وغيرها من السلوكيات التي تُضعف روح الجماعة وتُفرّق الصفّ.

وإنما ذُكر ما ذُكر هنا لأهميته ولعموم البلوى به، إذ صارت هذه الظواهر واقعاً معاشاً في كثير من المجتمعات الإسلامية، مما يستوجب تداركها بالرجوع الصادق إلى منهج الله، وإحياء روح الإيمان والعمل الصالح، لتبقى الأمة متماسكةَ البنيان، متآلفةَ القلوب، تسير على نهج ربها وهدي نبيها ﷺ.

4.1.6.1. الحلول المقترحة

لما كانت هذه الأسباب غير المباشرة عاملاً خفياً لكنه مؤثر في تمزيق وحدة الأمة، فإن علاجها لا يكون إلا بمعالجة جذورها، وذلك عبر تحقيق العبودية لله تعالى في واقع الحياة، والرجوع إلى هدي الوحي في الفكر والسلوك والنظام. ومن أهم الحلول لذلك ما يأتي:

1. إقامة العدل الاجتماعي ومعالجة الفقر المتعمد، من خلال توزيع الثروات توزيعاً عادلاً، وتفعيل التكافل الاجتماعي، والزكاة والوقف والصدقات، حتى تزول أسباب الطبقية والاحتقان بين فئات الأمة، ويشيع التعاون بدل التنازع.
2. تعميق الإيمان بالآخرة والزهد في الدنيا، وتربية المسلمين على مبدأ أن ما عند الله خيرٌ وأبقى، حتى يزول من قلوبهم حب الدنيا وكراهية الموت التي أضعفتهم، فيعودوا كما أرادهم الله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].
3. إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن تركها يفتح أبواب التشتت والاختلاف، ويؤدي إلى انتشار المعاصي والمنكرات التي تُضعف الروابط الإيمانية والاجتماعية بين المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

4. تربية المسلمين على حب الدين والمجاهدة في سبيله بالبدن والمال واللسان والقلب، مع تذكيرهم بمجدهم الذي كانوا فيه، وغرس الثقة في وعد الله بأن العاقبة للمتقين، فالوحدة لا

تنشأ إلا في قلوب مخلصة ممتلئة بعزة الإيمان، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: ١١١].

5. الحرص على إقامة شعائر الإسلام الجماعية كالصلاة في المساجد وتسوية الصفوف وإظهار روح الجماعة؛ لأن ترك هذه المظاهر العملية للوحدة يؤدي إلى ضعف الشعور الجماعي وتمزق الروابط بين أفراد الأمة.

6. تعميق العلاقات الاجتماعية والأسرية من خلال أداء حقوق الجيران والأرحام وذوي القربى، فالتهاون في هذه الحقوق يضعف جسد الأمة من الداخل ويهيئ بيئة للتنازع والانقسام.

7. التحذير من التقليد الأعمى للأفكار والمناهج المنحرفة أو الوافدة، إذ إن الانقياد بلا بصيرة يطمس هوية الأمة الفكرية ويجعلها تابعة لغيرها في الفكر والسلوك.

8. الوسطية في تطبيق الدين والبعد عن الإفراط والتفريط في العقيدة أو العبادة أو السلوك؛ لأن الغلو والتساهل كلاهما يؤدي إلى الانقسام وظهور الفرق المتنازعة.

9. إقامة محاضرات وندوات وأعمال جماعية وكتابة كتب ومقالات تبيّن حقيقة هذه الأفكار المنحرفة ومن يدعون إليها، مع تبصير المسلمين بوجوب الحذر من كل دعوة تُبعدهم عن وحي الله تعالى في عقيدتهم، وولائهم وحكمهم وسلوكهم.

10. تجديد الوعي التربوي والإيماني بأن كل طاعة لله تقرّب طريق الوحدة، وكل معصية تُبعد عنها وتفتح باب التفرق، مما يجعل إصلاح الفرد بداية الطريق لإصلاح الأمة ووحدتها.

4.2. الموانع التي توجد أمام وحدة الأمة

قبل الحديث عن موانع الوحدة، لا بد من التفريق بين الأسباب المؤدية إلى الفرقة والخلاف وبين الموانع التي تعترض طريق الوحدة؛ فالأولى هي العوامل التي تُحدث الانقسام وتُولِّد التشرذم داخل الأمة، سواء كانت فكرية أو مادية أو سلوكية، وهي بمثابة الجذور التي تُنتج ظاهرة التفرّق.

أما الموانع فهي الحواجز والعوائق التي تمنع تحقق الوحدة حتى مع وجود الدعوات الصادقة والمقومات الشرعية المؤهِّلة لها، فهي تمثل العوامل المعاكسة التي تُبقي الأمة في حال من التشتت والضعف رغم إدراكها لوجوب الوحدة وأهميتها.

ومن هنا فإن الحديث عن الموانع يختلف عن الحديث عن الأسباب من حيث طبيعتها ووظيفتها؛ إذ تُعنى الأسباب بتفسير وقوع التفرّق، بينما تُعنى الموانع ببيان ما يحول دون تجاوز ذلك التفرّق وبلوغ الوحدة المنشودة.

وقد تقدّم في المبحث السابق بيان أهم الأسباب وأكثرها تأثيرًا في واقع الأمة، ونذكر في هذا المبحث أبرز الموانع التي تقف سدًّا منيعًا أمام وحدتها، وتمنع أفرادها وجماعاتها، ودولها، -أو دويلاتها باعتبار عدم استقلاليتها بالقرار والقدرة عليه- من الاجتماع على كلمة سواء، ليكون هذا المبحث مكمّلًا لما قبله في تصوير واقع الأمة وسبل نهوضها من جديد.

4.2.1. غياب مشروع وحدوي دولي نافذ

من أبرز الموانع التي تقف في وجه وحدة الأمة الإسلامية غياب مشروع وحدوي دولي -جماعي- نافذ [1]، على حدّ ما توصّل إليه الباحث، وهو غياب يعكس في حقيقته تباين المصالح السياسية والاقتصادية بين الدول الإسلامية، مما أدى إلى ضعف قدرتها على مواجهة التحديات المشتركة وتراجع مكانتها في العالم.

فعلى الرغم من وجود هيئات ومنظمات ومجامع تسعى إلى تحقيق التعاون بين الدول الإسلامية في بعض المجالات، -كمنظمة التعاون الإسلامي أو رابطة العالم الإسلامي وغيرها التي ذكرها في الأبواب السابقة-، إلا أن هذه الجهود -على أهميتها- لا ترقى إلى مستوى المشروع، بل تفتقر إلى السلطة الإلزامية والتنفيذية.

فالهيئات القائمة اليوم غالبًا ما تقتصر صلاحياتها على إصدار البيانات أو التوصيات، دون أن تكون لها القدرة على فرض قراراتها أو إلزام الدول بها، إذ لا تزال كل دولة تتمسك بسيادتها الكاملة في

---

(1) ليث سعود جاسم - ايمان محمد عباس, "مجلة الباحث الجامعي", *الإمام النورسي ووحدة الأمة الإسلامية -قراءة تاريخية-*, (٢٠٠٨ م), ١٣٥-١٣٦.

كل ما يتصل بسياساتها الداخلية والخارجية، وترى أن التنازل عن جزء من هذه الصلاحيات لأي جهة فوق قومية مساسٌ باستقلالها الوطني.

ولذلك تظل القرارات الصادرة عن هذه الهيئات في الغالب رمزية أو استشارية، لا تتجاوز حدود التوجيه الأدبي أو السياسي، مما يُفقدها أثرها الفعلي في تقريب الدول الإسلامية من وحدة القرار والموقف.

ولتحقيق وحدة حقيقية، لا بدّ من وجود هيئات عليا ذات سلطة تنفيذية على مستوى الأمة، قادرة على سنّ مشروعات استراتيجية ملزمة، تُعنى بتوحيد المواقف السياسية والاقتصادية والثقافية، وأن يُنظَّم ذلك عبر ميثاق موحّد تلتزم به الدول الأعضاء، مع وجود آليات متابعة ومساءلة تضمن التطبيق، وفرض عقوبات واضحة على من يتخلّف عن الالتزام بمقتضيات هذا المشروع.

فبدون هذا الإطار المؤسسي الواضح، ستظل الوحدة الإسلامية حلمًا نظريًا تتغنى به الشعوب، دون أن يجد طريقه إلى الواقع العملي.

ويرجع غياب المشروع الوحدوي الفاعل إلى عدة أسباب، من أبرزها:

1. التباين السياسي بين الدول الإسلامية، إذ تتنوع أنظمتها بين الديمقراطية والاستبدادية مما يصعّب توحيد المواقف في القضايا الدولية والإقليمية [1].
2. الهيمنة الخارجية التي عملت منذ حقبة الاستعمار على تقسيم الأمة إلى دول قومية ذات حدود مصطنعة، مما فكك الرابط التاريخي لوحدتها السياسية والدينية.
3. تعارض المصالح الاقتصادية، حيث أدى اختلاف موارد الدول الإسلامية وأولوياتها إلى ضعف التعاون الاقتصادي وغياب التكامل الفعلي فيما بينها [2].

---

(1) ينظر: إسماعيل شلبي, *وحدة الأمة الإسلامية واجب شرعي يجب تحقيقها في ظل العولمة* (د. م: د. ن, د. ت), ٢١٣، ٢١٥.

(2) ينظر: شلبي, *وحدة الأمة الإسلامية واجب شرعي يجب تحقيقها في ظل العولمة*, ٢١٦.

4. الانقسامات المذهبية والطائفية التي تدعوا إلى العصبية غذّتها بعض الأنظمة، فجعلت الولاء للمذهب أو الطائفة مقدّمًا على الولاء للأمة.

وقد ترتب على هذا الغياب آثار خطيرة، من أبرزها: ضعف القدرة على مواجهة التحديات الخارجية، وتفشي الأزمات الاقتصادية في بعض البلدان، وتزايد الصراعات الداخلية والطائفية، فضلًا عن فقدان الهيبة الدولية للأمة الإسلامية، لغياب الموقف الموحد في القضايا الكبرى.

ولذلك فإن من الضروري أن تعمل الدول الإسلامية على صياغة مشروع وحدوي مؤسسي نافذ، يتجاوز الطابع الرمزي إلى الفعل التنفيذي، ويُبنى على أسس سياسية واقتصادية وثقافية متكاملة، من خلال ما يأتي:

1. إنشاء هيئة عليا ذات سلطة قرار حقيقية تمثل الأمة الإسلامية وتكون قراراتها ملزمة في القضايا المشتركة.
2. تعزيز التعاون السياسي وتوحيد المواقف في القضايا المصيرية.
3. تفعيل التكامل الاقتصادي عبر إقامة سوق إسلامية مشتركة واتفاقيات تنموية عادلة.
4. بناء منظومة تعليمية وبحثية مشتركة توحد الفكر والرؤية المستقبلية للأمة.
5. ترسيخ مفهوم الأخوة الإسلامية على المستوى الشعبي والنخبوي، بما يعيد الثقة بين الشعوب.

وبذلك فإنّ غياب مشروع من هذا القبيل يُعَدّ من الموانع البارزة التي تواجه وحدة الأمة الإسلامية، إذ يحول دون انتقال الدعوات الوحدوية من حيّز التنظير والشعارات إلى ميدان العمل والتنفيذ. فمع افتقاد المرجعية العليا الجامعة، تبقى الجهود المتفرقة في إطارها المحدود، وتتعمّق الفجوة بين الخطاب الإسلامي الداعي للوحدة والواقع السياسي الممزّق. ومن ثمّ، فإنّ إقامة مشروع وحدويٍّ مؤسسيٍّ قويٍّ وملزم -على الأقل في المجال السياسي، أو أي مجال آخر- تمثّل الخطوة الأولى في إزالة هذا المانع الجوهري من طريق وحدة الأمة.

4.2.2. غلبة الانتماء القطري على الانتماء للأمة

من الموانع الكبرى التي تقف في وجه وحدة الأمة الإسلامية في العصر الحديث: ظهور النزعة الوطنية والدولتيّة، وهيمنة روح الانتماء إلى الحدود المصطنعة التي رسمتها القوى الاستعمارية عقب سقوط الخلافة الإسلامية وضعف المسلمين دينيًّا ودنيويًّا. فقد قامت دول متعددة نتيجة اتفاقات استعمارية، أشهرها اتفاقية سايكس–بيكو، التي قسّمت بلاد المسلمين إلى دويلات متفرّقة، لكل منها علمها وحدودها وحكومتها وجيشها ونظامها الخاص، حتى صار الولاء للوطن والدولة مقدَّمًا على الولاء للدين والأمة [1].

فترى المسلم العربيّ -على سبيل المثال- يوالي العربيّ غير المسلم أو المقصّر في دينه؛ لمجرد اشتراكهما في الوطن أو اللغة أو التاريخ، في حين ينأى بنفسه عن أخيه المسلم من الترك، أو الكرد، أو الفرس، أو غيرهم، وإن كان أتقى لله منه وأقرب إلى هدي الإسلام. وهذا اللون من الولاء الضيّق، وإن بدا في ظاهره انتماءً طبيعيًّا للأرض والتاريخ، إلا أنه في حقيقته مانعٌ عظيم من موانع الوحدة الإسلامية، إذ يجعل رابطة الدين، التي هي الأصل الجامع بين المسلمين، تابعةً لاعتبارات أرضية وسياسية ضيّقة.

ولئن كان الإسلام لا يمنع حبّ الوطن والانتماء إلى الأرض، فإنه لا يقرّ أن تكون هذه الروابط بديلاً عن رابطة الإيمان، أو أن يُقدَّم الولاء فيها على الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

لذا قد كان من أخطر نتائج تقسيم الدولة الإسلامية أو الخلافة إلى أقسام ودول، وفق أهداف مدروسة من قِبل أعداء الإسلام، أن "تغيّرت الولاءات التي كانت قائمة للخلافة الإسلامية الجامعة للعرب والعجم -من الترك، والفرس، والكرد، وغيرهم-، وحلّت محلها أفكار ممزّقة مبعثرة، استُمدّت من الثقافة الأوروبية، تمزج بين الوطنية والقومية ونظريات خيالية -إن صحّ التعبير، فهي لا تُطبَّق حتى من قِبَل مدّعيها- عن الوطن والقوم، حجبت الحقائق القديمة الراسخة في مفهوم الدولة والعقيدة.

---

(1) ينظر: نور الدين زين زين, *نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية* (بيروت: دار النهار للنشر, د.ت), ١١٠-١١٢، ١٤٠.

فأصبحت بعد ذلك الأمة الواحدة أمماً متفرقة ومجتمعات متعددة، لكل منها شعاره ومذهبه ورايته، فتمزقت وحدة الأمة وتعددت ولاءاتها بحسب تلك الشعارات والمذاهب. وكان هذا كله نتيجة الغزو العسكري الذي احتل بلاد المسلمين فترات متفاوتة، ركز خلالها على إفساد عقيدة الأمة وأخلاقها، ثم قسمها بعد ذلك إلى دول ومناطق، أقام لكل واحدة منها حاكمًا مستقلاً، لتبقى الأمة في دوامة التجزئة والانقسام" [1].

وقد ورد عن النبي صل الله عليه وسلم أنه قال: «ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم»، فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: «وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين، عباد الله» [2]، وإن تجاوز هذا المانع الخطير لا يكون إلا من خلال إعادة تصحيح مفهوم الولاء والانتماء في نفوس المسلمين، وردّه إلى أصله الشرعي المتمثل في الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين. ولا يتحقق ذلك إلا عبر جملة من الخطوات والإصلاحات المتكاملة، من أبرزها:

1. تعزيز التربية الإيمانية والفكرية في مؤسسات التعليم والإعلام، لتأكيد أن رابطة الدين هي الرابطة العليا التي ينبغي أن تجمع المسلمين، وأن الولاء للوطن لا يكون على حساب الولاء للعقيدة، بل في خدمتها وتحت مظلتها.
2. إحياء مفهوم الأمة الواحدة في الوعي الجمعي، عبر التأكيد على أن المسلمين وإن اختلفت ألسنتهم وأوطانهم، فهم إخوة في الدين، يجمعهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].
3. إصلاح الخطاب الديني والإعلامي ليتحرر من العصبيات القومية والمناطقية، ويُعلي من شأن الأخوة الإسلامية الجامعة، فيُذكّر بتاريخ الأمة ومجدها المشترك، ويكشف أثر الانقسام في ضعفها وتسلط أعدائها.

---

(1) ينظر: أحمد بن سعد حمدان الغامدي, "الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة", *الوحدة الإسلامية أسسها ووسائل تحقيقها* ٦٥-٦٦ (١٤٠٥ هـ), ٥٢. (بتصرف قليل)

(2) الترمذي, *سنن الترمذي*, رقم الحديث: ٢٨٦٣، ١٤٨/٥.

4. تعزيز الروابط الثقافية والاجتماعية بين الشعوب الإسلامية من خلال تبادل البعثات التعليمية والبرامج الشبابية المشتركة، وإقامة المؤتمرات والفعاليات التي تجمع مختلف القوميات الإسلامية تحت راية الأخوة الإيمانية.
5. دعم مؤسسات العمل الإسلامي المشترك على المستوى العالمي، مثل منظمة التعاون الإسلامي وغيرها، مع تطويرها لتكون أكثر فاعلية في تقريب وجهات النظر السياسية والثقافية بين الدول الإسلامية -خصوصا في المستويات العليا-، وتغليب الانتماء للأمة على الانتماء القطري الضيق.
6. تربية المسلمين على حب الدين والمجاهدة في سبيله بالبدن والمال واللسان والقلب، وتذكيرهم بمجدهم الذي كانوا فيه، وبأن العاقبة للمتقين، وأن ما نالوه من ضعف وفرقة إنما هو نتيجة تركهم لأسباب العزّة التي أرشدهم الله إليها.

إنَّ تجاوز هذه النزعة الوطنية الضيّقة، وإعادة بناء الولاء على أسسٍ عقديّةٍ إيمانيّة، يمثّل خطوةً محوريّة في طريق الوحدة الإسلاميّة، إذ لا يمكن للأمّة أن تجتمع على اختلاف ألسنتها وألوانها ما لم يكن انتماؤها لله ولدينه وحده. ومع أنّ هذا المانع يُعدّ من أبرز الموانع الواقعيّة في زماننا، إلّا أنّ تجاوزه ممكنٌ متى ما وُجد الوعي الراشد، والإرادة الصادقة في إصلاح المفاهيم، وتحرير العقول من رواسب التغريب والتقسيم.

وبهذا يمكن للأمّة أن تتجاوز هذا المانع الخطير، وتستعيد ولاءها الجامع الذي يوحّدها في العقيدة والرسالة والمصير، فيعود الانتماء الحقيقي إلى الأمّة الإسلاميّة الكبرى التي لا تعرف حدودًا ولا ألوانًا، بل يجمعها الإيمان بالله، ووحدة المقصد والغاية.

4.2.3. الاستعانة بالأعداء -من غير المسلمين- في الصراعات الداخلية

أصل الاستعانة في اللغة من العون، وهو الظهير على الأمر، وكل شيء أعانك فهو عون لك، كالصوم عون على العبادة. ويقال: استعنت بفلان فأعانني، أي طلبت العون منه فأعانني [1]. وفي الاصطلاح لا تخرج عن معناها اللغوي، فهي طلب المساعدة في أمرٍ ما. وتنقسم الاستعانة إلى قسمين: الاستعانة بالله تعالى، وهي أصل كل توكل واعتماد، كما قال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

(1) ينظر: ابن منظور, *لسان العرب*, ١٣/ ٢٩٨-٢٩٩. الفيروزآبادي, *القاموس المحيط*, ١٢١٧.

نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، والاستعانة بغيره، وهي جائزة في الأمور العادية التي يقدر عليها الإنسان عادةً إذا كانت من مسلمٍ، أما من غير المسلم ففيها تفصيل معروف في الفقه، والأصل فيها المنع إلا لضرورة معتبرة وبضوابط شرعية، قال النبي ﷺ: «إنا لا نستعين بمشرك» [1].

ومرادنا بالاستعانة هنا:

لجوءُ أفرادٍ أو جماعاتٍ أو دولٍ مسلمةٍ إلى قوى غير مسلمة -سياسيًا، أو عسكريًا، أو اقتصاديًا، أو أمنيًا- لحسم نزاعٍ، -أو حل خلاف- داخلي، أو صراعٍ على السلطة، أو حماية مصلحة خاصة، بحيث يؤدي هذا إلى تمكين النفوذ الأجنبي داخل الأمة المسلمة أو إخضاع القرار السيادي لتأثيرٍ خارجي مباشر.

وقد حذّرت النصوص الشرعية من هذا النوع من الاستعانة، ووصفها بالموالاة لهم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]،أي: لا يعتمد أحد منكم عليهم، ولا يستنصر بهم، ولا يتودد إليهم[2]، فالاستعانة هنا يقصد بها مجرد تعاملٍ دنيوي حضاري عادي، بل هي اعتمادٌ يؤدي -علما، أو جهلا- إلى تمكين العدو من رقاب الأمة ومصيرها، حتى يصبح كالشريك في القرار والتوجيه، وبهذا يكون المستعين مثلَهم، ولا يُحسب من المؤمنين في الآخرة، وإن ظهر إيمانه وأوَّلَ موالاتَه، فلا عِبرةَ بتأويله لموالاته لهم، وقد قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢]: أي "يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين، فتكون لهم أيا د عند اليهود والنصارى، فينفعهم ذلك" [3]، وهذا هو عين الضعف في الإيمان وضعف الثقة بوعد الله، والخطر الجوهري على الوحدة.

ومرادُنا بعدمِ الاستعانةِ بهم في هذا المطلب هو الابتعادُ عنهم في جميع الأحوال؛ إذْ وإنْ وُجِدتْ لبعض الفقهاء آراءٌ تجيزُ الاستعانةَ بهم في الحالاتِ الضرورية، أو في الأزمنةِ التي تكونُ فيها

---

(1) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٨١٧، ١٤٤٩/٣. أبو داود, *سنن أبي داود*, رقم الحديث: ٢٧٣٢، ٤/ ٣٦٤-٣٦٥. واللفظ لأبي داود.

(2) نخبة من العلماء, *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*, ١٠٩١/٢.

(3) ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, ١٢١/٣.

الهيمنةُ للمسلمين، أو في الاستعانةِ غيرِ المباشرةِ في الأعمالِ الحسّاسة، أو كما قلنا في غيرِ القُرُبات، وتُوافِقُ هذا الرأيَ بعضُ الآثارِ عن النبيِّ ﷺ، إلا أنّ المسلمين اليوم في ضعفٍ غيرِ مسبوقٍ منذ أزمنةٍ بعيدة، فلذلك يجبُ التحذيرُ في هذا العصر أشدَّ التحذير، من كلِّ ما يزيدُ التفرّقَ فوق ما نحنُ عليه من الفرقةِ الداخلية [1].

فالاستعانة بالأعداء في النزاعات الداخلية والمسلمون في ضعف قد تكون أخطر لأسباب منها:

- تحويل النزاع من داخلي إلى نزاع متعدد الأطراف حيث يتحول النزاع إلى ساحة تصفية مصالح أجنبية، وتزداد تعقيدات الحل لأن المطلوب لم يعد فقط إنصافًا داخليًا، بل حماية مصالح الخارج أيضا.
- تفتيت المرجعية الشرعية، والوطنية، وتفكيك السيادة، والأمن.
- زرع الانقسام الطويل الأمد: لأن من يلجأ للعدو يُصنَّف خائنًا عند الآخرين، ويصبح مصيره التهميش أو الانتقام لاحقًا، وتتعطل المصالحة، أو تصعب، فكيف إذا استعان كل الأطراف بقوى خارجية ولا حول ولا قوة إلا بالله.

4.2.3.1. الحلول المقترحة لتجنب الاستعانة بالأعداء

لتجنّب هذه الممارسة الخطيرة التي تهدّد وحدة الأمة الإسلامية، يمكن اتخاذ عددٍ من الخطوات والإجراءات، منها ما هو قصير الأمد، ومنها ما هو طويل الأمد، ومن أبرزها ما يأتي:

1. الرجوع الصادق إلى الدين الإسلامي كما أنزله الله تعالى وكما دعا إليه النبي ﷺ، وهو الحلّ الجذري والنصي والنبوي الأول والأهم، قال ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» [2]، فهذا وعدٌ إلهيٌّ صريح، ويجب أن نوقن أن التفرّق ابتلاء وامتحان وعقوبة، فإذا أخذنا

---

(1) ينظر: علي بن نايف الشحود, *الخلاصة في حكم الاستعانة بالكفار في القتال* (د. م: د. ن, ٢٠١١ م), ٣٥-٤٣. أحمد بن عمر بن إبراهيم أبو العباس القرطبي, *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*, تحقيق محيي الدين ديب ميستو وآخرون (دمشق- بيروت: دار ابن كثير- دار الكلم الطيب, ١٩٩٦ م), ٦٩٥/٣.

(2) أبو داود, *سنن أبي داود*, رقم الحديث: ٣٤٦٢، ٣٣٢/٥.

بالأسباب الشرعية، وتركنا ما نهى الله عنه من أسباب التفرقة، أعاد الله تعالى للأمة وحدتها كما وعد.

2. وضع اتفاقية شاملة بين الدول الإسلامية، وسَنّ قوانين داخلية في كل دولة تمنع الاستعانة بالقوى الأجنبية أو استدعاءها لحسم الخلافات الداخلية، مع فرض عقوباتٍ رادعةٍ على من يخرق تلك القوانين، كحظر النشاطات، والمقاطعة الاجتماعية والسياسية، وتجميد الأرصدة، والمساءلة الدولية، وذلك على المستويات السياسية والقضائية والإدارية.

3. تأسيس آلياتٍ فعّالةٍ للتسوية الداخلية، حتى لا تضطر أي جهةٍ إلى الاستعانة بالعدو الكافر - أو ترى نفسها مضطرة إلى ذلك-، وذلك بإنشاء لجانٍ من العلماء، وأهل الحلّ والعقد، والمسؤولين الكبار، وذوي السلطة، لتتولّى معالجة النزاعات بالوسائل الشرعية والطرق المشروعة.

في الحقيقة إنّ الاستعانة بالأعداء، وبخاصة في هذا الزمن الذي ضعف فيه المسلمون بأفرادهم ودولهم -وهم كما ورد في الحديث غثاء كغثاء السيل- تشكل خرقًا وانتهاكًا لسيادة الأمة ووحدتها، وتُقوّض الأسس التي تقوم عليها الأخوة الإسلامية، ولابد أن يعي المسلمون، دولًا وجماعاتٍ وأفرادًا، أن الرجوع الصادق إلى الله وامتثال أمره هو الضمان الحقيقي للعزة والثبات؛ فالقدرة الحقيقية بيد الله وحده، والأرض ميراث لعبادِه الصّالحين حين يحققون طاعته ويخلصون العبادة له، بعيدًا عن الشرك ومغازلة القوى الخارجية من أعداء الله. ولذلك فالخطوة الأولى نحو استعادة وحدة الأمة واستقلال قرارها أن تُطهّر ولاءاتها من شوائب الاستقواء بالخارج، وتستأنف البناء من قواعد الإيمان والاعتصام بحبل الله تعالى، فبه وحده تنتظم الصفوف وتستقيم الأمور.

4.2.4. الهيمنة الإعلامية والثقافية الأجنبية

من الموانع البارزة التي تحول دون وحدة الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر: الهيمنة الإعلامية والثقافية الأجنبية، والهيمنة في اللغة من همن أي شهد فالمهيمن وهو من أسماء الله تعالى هو الشاهد

والرقيب [1]، وفي الاصطلاح: السيطرة، والقدرة المطلقة على الشيء من كافة جوانبه، وبشتى الوسائل، بما يكفل تحقيق غاية [2]. وقد أصبح الإعلام اليوم من أخطر أدوات التأثير في العقول وتوجيه الاتجاهات، وصياغة الفكر العام لدى الأفراد والجماعات والدول، فبوسائل الإعلام تُبنى القناعات، وتُرسم المواقف، وتُوجَّه السياسات، حتى صار الإعلام الغربي -بجميع أنواعه المسموع، والمرئي، والمقروء؛ من الصحافة، والكتب، والقنوات، والسوشيال ميديا- هو المتحكم الأكبر في صناعة الرأي العالمي، بل حتى في العالم الإسلامي نفسه [3].

ومع أن للإعلام الإسلامي وجودًا في ساحات مختلفة، إلا أنه يعاني من التشتت والفرقة تبعًا لانقسام الأمة وتباين توجهات دولها، مما أضعف رسالته، وأفقده القدرة على أداء دوره الإصلاحي في جمع الكلمة وتوحيد الصف. ففي الوقت الذي ينبغي أن يكون فيه الإعلام الإسلامي وسيلة إصلاح وتوعية وتوحيد، أصبح في كثير من الأحيان وسيلةً للتنازع والتجاذب السياسي والمذهبي، فانعكس ضعفه وتشتته على وعي الأمة ووحدتها.

أما الإعلام الغربي فقد تسلّط بوسائله ووسائطه الحديثة على الأمة، وأحكم قبضته على الفضاء الإعلامي العالمي، حتى صار هو المرجع الأول في صياغة الأخبار ونقلها، ونشر ثقافاتٍ ومفاهيمَ تخالف الإسلام وتعاليمه، وتضعف الانتماء إلى الأمة الواحدة. بل إنّ الغالبية العظمى من القنوات والمنصات الإعلامية في العالم الإسلامي -إن لم نقل كلها- تأخذ مادتها الإخبارية أو مناهجها البرمجية من وكالاتٍ أجنبية كبرى، هي في أصلها أداة لخدمة الفكر الغربي ومصالحه، ولا تُقيم لوحدة المسلمين وزنًا، بل ثبت في مواضع كثيرة أنّها تسعى عمدًا لتفريقهم وتشتيت صفوفهم عبر الخطاب الموجَّه، والمصطلحات المنتقاة، والرموز الإعلامية المدروسة [4].

---

(1) ابن منظور, *لسان العرب*, ١٣/ ٤٣٧. الأزهري, *تهذيب اللغة*, ١٧٧/٦. الزبيدي, *تاج العروس من جواهر القاموس*, ٣٦/ ٢٨٥.

(2) ينظر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية, *موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة* (مصر: د. ن, د. ت), ١٤٢٩. أحمد مختار عمر, *معجم اللغة العربية المعاصرة*, ٢٣٨٧/٣.

(3) ينظر: جاسم - عباس, "الإمام النورسي ووحدة الأمة الإسلامية", ١٢٩-١٣٠.

(4) ينظر: عبد الله قاسم الوشلي, *الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة* (طنطا- مصر: دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية, ١٤١٤ هـ), ٤٩-٥٠.

4.2.4.1. حلول مقترحة لتجاوز الهيمنة الإعلامية والثقافية الأجنبية

يمكن أن نذكر من الحلول ما قد يفيد في هذا الباب ما يلي:

1. بناء مشروع إعلامي إسلامي تعاوني موحَّد: من الضروري أن تتعاون الدول الإسلامية على إنشاء مؤسسات إعلامية تتحدث باسم الأمة، وتكون مرجعًا في نقل الخبر وتحليل الأحداث من منظور إسلامي، بعيدًا عن التبعية للوكالات الأجنبية، وهذا المشروع ينبغي أن يُبنى على المهنية العالية، والتقنية الحديثة، والالتزام بالأخلاق الإسلامية في الطرح والمعالجة.
2. تأهيل الكوادر الإعلامية المؤمنة بالهوية الإسلامية: فلا يمكن بناء إعلام نزيه يخدم قضايا الأمة إلا بتربية جيل من الإعلاميين الواعين برسالتهم، يجمعون بين الإيمان بالانتماء الإسلامي والكفاءة المهنية العالية، ويعملون على نشر ثقافة الوسطية والوحدة، بدل إثارة الخلافات والنزاعات.
3. دعم الإعلام الوطني الملتزم بثوابت الأمة: وذلك بسنّ القوانين التي تحمي الإعلام المحلي من التبعية الثقافية، وتوجيه الدعم المادي والمعنوي للقنوات والمشروعات الإعلامية التي تُسهم في ترسيخ الهوية الإسلامية ونشر قيمها الجامعة.
4. إحياء الدور الثقافي للمؤسسات العلمية والدعوية: فالمؤسسات الدينية والتعليمية مدعوة إلى الانخراط في المشروع الإعلامي بتقديم محتوى معرفي راشد، يُعيد بناء الوعي الإسلامي، ويُقاوم التغريب الفكري والثقافي الذي يبثه الإعلام الأجنبي في مجتمعات المسلمين.
5. تشجيع الإعلام الرقمي الإسلامي: إذ أصبحت المنصات الرقمية اليوم ساحةً واسعة للتأثير والتغيير، ويمكن من خلالها إنشاء محتوى إسلامي راقٍ ومؤثر، يخاطب العقول الشابة بلغتها، ويُعيد تقديم الإسلام والعالم الإسلامي في صورته المشرقة القائمة على الوسطية والعدل والرحمة.

فالهيمنة الإعلامية والثقافية الأجنبية تعدّ من أخطر الموانع التي تقف في وجه وحدة الأمة الإسلامية، لما له من الآثار، وإن إصلاح هذا الواقع لا يكون إلا بإقامة إعلام إسلامي واعٍ برسالته، مستقلٍّ في مصادره، صادقٍ في مضمونه، ملتزمٍ بقيم الدين ومصالح الأمة، يعيد إلى المسلمين ثقتهم بأنفسهم وهويتهم، ويجعل من الكلمة أداة بناء لا وسيلة هدم.

ولأهمية هذا الجانب وخطورته في واقع الأمة، ولتعلّقه المباشر بدورها في التوجيه والإصلاح، سيُفرد له الحديث في مواضع لاحقة من هذه الرسالة، لبيان بعض جوانبه وآثاره وسبل توجيهه في ظل النصوص الشرعية لخدمة وحدة الأمة الإسلامية.

5. آثار الوحدة والفرقة على الأفراد والأمة

5.1.آثار الوحدة على الأفراد والأمة

إن تحقيق الوحدة الإسلامية له آثار إيجابية كبيرة على جميع مستويات الحياة سواء على مستوى الفرد، أو على مستوى الأمة ككل حيث تقوي من تماسكها وتزيد من قدرتها على مواجهة التحديات الخارجية والداخلية. وفي هذا المبحث سنتناول الآثار المترتبة على الوحدة في الإسلام على مستوى الأفراد والأمة.

5.1.1. من آثارها على الأفراد:

1. **تعميق الإيمان وحب الدين:** من أبرز آثار الوحدة على الفرد شعوره بأن ما يقدمه من تسامحٍ تجاه إخوانه المسلمين إنما هو طاعة لله ورسوله، فيغدو عمله هذا عبادةً دائمة لا يقطعها انشغال ولا نوم، وبذلك يعيش المسلم سكينةً، وراحةً قلبيةً تنعكس على سلوكه اليومي، فيستشعر معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].
2. **الاستقرار النفسي والاجتماعي:** تمنح الوحدة الفرد شعورًا بالأمان النفسي والاجتماعي، إذ تقوّي روابطه بمجتمعه الإسلامي وتزيد من ثقته بنفسه وبإخوانه، فيطمئن إلى أنه لا يُظلم في ظل أخوة الإيمان، وقد قال النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» [1]

3. **الثبات أمام مكائد الأعداء:** المؤمن الذي يعيش في ظل الوحدة لا تنطلي عليه مخططات الأعداء، بل يكون لبنةً صلبة في بنيان الأمة، يدرك أن قوته في ارتباطه بجماعته، وضعفه في تفرّقه عنها.

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٦٥٥١، ٦/ ٢٥٥٠.

4. **الفلاح في الآخرة:** للوحدة أثر عظيم في تأليف القلوب وربطها بالمحبة في الله، وقد قال النبي ﷺ: «المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» [1]، فحب المؤمنين بعضهم بعضًا من أجل الله ثمرةٌ من ثمار الوحدة الإيمانية، وجزاءها النعيم الأبدي.

5.1.2. آثار الوحدة على مستوى الأمة

وهي كثيرة من أبرزها:

1. **ظهور القوة والهيبة بين الأمم:** من أعظم آثار الوحدة على الأمة بروز قوتها وهيبتها بين الأمم، فالوحدة تجعلها تعمل كجسدٍ واحدٍ قادرٍ على مواجهة التحديات الكبرى، وتمنحها إمكانية تشكيل قوة عسكرية واقتصادية موحدة، التي أمر الله تعالى بإعدادها فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقد شهد التاريخ الإسلامي أن الأمة كانت تنتصر كلما توحدت كصفٍّ واحدٍ كما في زمن صلاح الدين الأيوبي وغيره من قادة الإسلام [2].

2. **التقدم العلمي والاقتصادي:** تسهم الوحدة في تفعيل التعاون بين العقول والطاقات في الأمة، مما يؤدي إلى نهضةٍ علميةٍ واقتصاديةٍ شاملة. فهي تفتح المجال لإقامة مشاريع علمية واقتصادية مشتركة كالسوق الإسلامية الموحّدة، وتسهم في تبادل الخبرات بين الدول الإسلامية بما يعزز من قوتها العلمية والثقافية والاقتصادية.

3. **تحقيق الاستقرار الأمني والاجتماعي:** باتحاد الدول الإسلامية يمكنها مواجهة التهديدات الأمنية المشتركة داخليًّا وخارجيًّا، كالإرهاب أو الغزو أو محاولات زعزعة الاستقرار، مما يرسّخ الأمن العام ويقوّي الروابط بين الشعوب المسلمة.

4. **مواجهة التحديات الفكرية والسياسية:** الوحدة الإسلامية هي الأساس الذي يمكّن الأمة من الوقوف أمام التيارات الفكرية الهدامة، والعواصف السياسية والاجتماعية التي تهدد كيانها. فالاجتماع هو أصل الخير في هذه الأمة، والتفرق هو منبع كل ضعف وفتنة.

---

(1) الترمذي, *سنن الترمذي*, رقم الحديث: ٢٣٩٠، ٥٩٧/٤.

(2) ينظر: محمد متولي الشعراوي, *الخواطر* (د. م: مطابع أخبار اليوم, ١٩٧٧ م), ١٦/ ٩٦٥١.

5. **الاستقلال السياسي والتحرر من التبعية:** إن الأمة المتوحدة تملك قرارها السياسي، وتستغني عن هيمنة القوى الأجنبية، فتسير في شؤونها وفق مصالحها ومبادئها، وتتحرر من التبعية التي كانت سببًا في ضعفها وهوانها.

5.2.آثار التفرق على الأفراد والأمة

آثار التفرّق بين المسلمين ليست محدودة الأثر، بل تترتّب عليه آثار سلبية عميقة تمتدّ إلى الأفراد والأمة بأسرها، وتُعرقل تحقيق الأهداف الكبرى التي أرادها الإسلام لأمّته، من نشر رسالته الخالدة، وإعلاء كلمة الله، وتحقيق العزة والتمكين، ومن هنا، فإنّ الوقوف على الآثار المترتبة على هذا التفرّق يُعين على إدراك خطورته، ويدفع إلى استشعار الحاجة الملحّة للوحدة، لذا سيُتناول في هذا المطلب أبرز تلك الآثار على مستوى الأفراد والأمة.

5.2.1. معصية الله وتبعاتها الشرعية في الدنيا والآخرة

إنّ التفرّق بين المسلمين على الباطل من غير امر شرعي هو في حقيقته معصية لله ورسوله، لما فيه من مخالفةٍ صريحةٍ للأوامر الداعية إلى الاعتصام والاجتماع، والناهية عن التنازع والفرقة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا﴾ [الأنفال: ٤٦]، فالمفرِّق بين المسلمين والمسبِّب في زرع الخلاف بينهم واقع في معصيةٍ لله ورسوله، وكلما اتسعت دائرة المفرِّقين اتسعت دائرة العصيان، ومع ازدياد المعاصي تتضاعف النقم، ويحلّ البلاء بالأمة؛ إذ سنّة الله في المجتمعات أن الذنوب سببٌ لذهاب النعم ووقوع النقم، كما أنّ من تبعات هذه المعصية أن يشترك بعضهم في إثم بعض، وإنّ من سنّ سنةً سيئةً في الأمة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، كما قال النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء» [1].

---

(1) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٠١٧، ٢٠٥٩/٤.

5.2.2. زيادة الاختلاف وإساءة الظن بين المسلمين

إنّ الافتراق بين المسلمين وإن كان في أصله نتيجةً للاختلاف في الرأي أو الفهم، أو غيره، إلا أنّه سرعان ما يتحول إلى عاملٍ مضاعِفٍ للاختلاف ومُغذٍّ له [1]، إذ إنّ التفرّق يوسّع الفجوة بين القلوب والعقول، ويؤدي إلى تفشي سوء الظن بين المسلمين، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. ففي هذه الحال كل فريقٍ ينظر إلى الآخر بعين الريبة، ويظن به السوء، لا سيما حين تغيب روح الأخوة الإيمانية الجامعة، وكذلك إذا دخل سوء الظن بين المخالفين يصعب الوصول إلى الألفة والرحمة والوحدة، والمصالحة بين المسلمين، لأن المخالفين وإن كانوا قادرين على التفاهم في حدود عقولهم ومداركهم، فإنّ دخول سوء الظن بينهم يحول دون التفاهم على الحق ويجعل كلّ طرفٍ يتأول أقوال الآخر تأويلًا فاسدًا، لذا كلما تفككت روابط الأخوة بسبب التفرّق، ازداد الاختلاف سوءًا، وساءت الظنون، وتعذّر الاتفاق على الحق، مما يعمّق الشرخ بين صفوف الأمة.

5.2.3. انتشار البغضاء والحسد

لا شك أنّ التفرّق والتنازع من أعظم أسباب انتشار البغضاء والحسد بين المسلمين، إذ يؤدي اختلاف القلوب وتنافرها إلى غلٍ في الصدور، وتكدير صفاء النفوس، حتى يصبح كل فريقٍ ينظر إلى الآخر بعين المنافسة والعداوة لا بعين الأخوة والمودة. وهذه البغضاء من أخطر الأدواء القلبية التي تُضعف الإيمان وتُفسد العمل، وقد وصفها النبي ﷺ وصفًا بالغًا في خطورتها فقال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين...» [2]، فالتفرّق يُنتج بغضاءً، والبغضاء تُنتج عداءً، والعداء يُفضي إلى ضياع الدين والمروءة، إذ تزول الرحمة التي أمر الله بها بين المؤمنين، ويحل محلها الحسد والغلّ، فينهار بذلك الأساس الروحي لوحدة الأمة.

---

(1) ينظر: عثمان علي عمر, *آثار الافتراق على الأمة الإسلامية* (د. م: جامع الكتب الاسلامية, د. ت), ١.

(2) الترمذي, *سنن الترمذي*, رقم الحديث: ٢٥١٠، ٤/ ٦٦٤.

5.2.4. ذهاب البركة المادّيّة والمعنويّة

من الآثار الخطيرة للتفرّق بين المسلمين ذهاب البركة من حياتهم، ماديًّا كانت أم معنويًّا؛ إذ إنَّ التنازع والخصومة سببٌ مباشرٌ لرفع الخير، وحرمان الأمة من توفيق الله ونصره، كما أنه يضعف فهم الدين الصحيح ويُميت روح العلم، ويُطفئ نور البصيرة بين المسلمين، وتنكمش البركة من الأقوال والأعمال والأرزاق. وقد دلَّت النصوص على هذا المعنى، منها قول النبي ﷺ: «خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرفعت» [1]، وفي رواية: «فأنسيتُها» [2]، فكان هذا التنازع سببًا في رفع علمٍ عظيمٍ عن الأمة، رغم وجود النبي ﷺ بينهم، فكيف بالتنازع الذي نراه اليوم وقد غاب فينا الرسول الكريم؟ لا شك أن آثاره أعظم وأشد، إذ تُرفع البركة من العلم والعمل والرزق، وتُحرم الأمة من التوفيق الإلهي، جزاءً وفاقًا على تفرّقها وتنازعها.

5.2.5. إخفاق الجهاد وضعف القدرة على النصر

الجهاد في سبيل الله شُرِع لرفع راية الحق، والدفاع عن الدين، وحماية المسلمين في دينهم، وأنفسهم، وأعراضهم، وأموالهم، وهو عبادة جماعية لا تُؤدَّى على وجهها الصحيح إلا إذا كان المسلمون مجتمعين متعاونين على البر والتقوى. فإذا دبَّ التفرق في صفوفهم، وتنازعوا فيما بينهم، ضعفت شوكتهم، وذهبت ريحهم، ولم يتمكنوا من أداء هذه الفريضة العظيمة على وجهها المطلوب.

ولهذا نجد أن أكثر أسباب إخفاق المسلمين في جهادهم وضعفهم أمام أعدائهم هو تشتتهم واختلاف كلمتهم، فالدول الإسلامية اليوم لا تكاد تتعاون في مواجهة عدوٍّ واحد، بل ربما استنجد بعضها بأعداء الله ضد بعضهم الآخر، فتتحول طاقاتهم من مواجهة العدو إلى النزاع الداخلي فيما بينهم، فيتسلط الأعداء، وقد قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٤].

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ١٩١٩، ٢/٧١١.

(2) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي, *السنن الكبرى*, تحقيق محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٣ م), رقم الحديث: ٨٥٣٢، ٤/ ٥٠٧.

فالوحدة هي روح الجهاد، والتفرق هو موته، ولن تقوم للأمة قائمة في ميدان النصر والعزة ما لم تتوحد كلمتها، وتجتمع على هدفٍ واحد، وتوقن أن النصر بيد الله لا يُؤتَى مع المعصية والتنازع، وإنما يُمنَح لمن استقام أمره واجتمع على طاعة ربه.

5.2.6. بروز التكفير والتبديع بغير حق

من أخطر ما يُفرزه التفرّق أن يظهر على الجماعات والمذاهب ميلٌ إلى تكفير الخصوم واعتبارهم خارجين عن الإسلام دون دليلٍ شرعيٍ محكم، أو إلى نبذهم باعتبارهم مبتدِعين في الدين بغير بينةٍ معتبرة، وهذا السلوكُ لا يورث سوى التقاتل والاقتتال المذموم بين المسلمين، فينزل بهم الذلُّ والهوانُ تحت أيدي أعدائهم، فتُراقُ الدماءُ وتَتكسَّرُ السواعد التي كان من الممكن أن تُبنى بها حضارةٌ وعزّةٌ للأمة، قال النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض» [1]، لذا لابد من مراعات أحوال الخلاف ومراتبه والبعد عن أسبابه، فقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سمعت رجلا قرأ آية، وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فجئت به النبي ﷺ فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: «كلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا» [2].

ولابد أن يُؤكَّد هنا أن الإفراط أو التفريط في التكفير والتبديع له نتاجان مدمران: إمّا ضياع الدين وحقيقة الاتباع للنبي صلى الله عليه، أو الانزلاق إلى القتل وإراقة الدماء عندما يصبح التكفير سلاحًا تُبرّر به الجرائم بين المسلمين. ولهذا السبب فلا ينبغي أن تُترك هذه القضايا للفَهْم الفردي أو للانفعال الطائفي، بل لا بدّ أن يتدخل أهل العلم والاختصاص -من علماء الأمة الراسخين، ولجان التحقيق العلمية- للوضوح والتحكيم، وينبغي أن تكون لهم الكلمة الفصل في مسائل التكفير والتبديع، وفق ضوابط علمية شرعية واضحة، وبآليات قضائية ومؤسسية.

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٦٦٦٦، ٦/ ٢٥٩٣.

(2) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٣٢٨٩، ١٢٨٢/٣.

5.2.7. زعزعة الثقة في ولاة الأمر والعلماء

إنَّ العلماء الحقيقيين هم ورثة الأنبياء، بهم يُعرف الحلال والحرام، وبهديهم يُحفظ الدين وتستقيم الأمة، ولذا أمر الله بسؤالهم في الإشكالات فقال: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فإذا ضعفت الثقة بهم زال أثر علمهم من القلوب، وتفرّق الناس في آرائهم، وظهرت الفوضى الفكرية التي تجرّ إلى الانحراف والضلال. وكذلك الحاكم المسلم هو القائم على تنفيذ أوامر الله في الرعية، فإن فقد الناس الثقة به زال الأمن والاستقرار، وضاعت هيبة الدولة، وتفككت وحدة الصف.

وهذا الأثر من أخطر آثار التفرق، إذ يؤثر في الدين والدنيا معاً؛ فبضعف الثقة بالعلماء يضيع الدين، وبضعف الثقة بالحكام يضيع الأمن والنظام، ويقع الناس في جهل مركب، فلا يسمعون لعالم، ولا يطيعون لحاكم، فتسود الفوضى، ويستغل الأعداء ذلك لزيادة الانقسام وإشعال الفتن.

ولذلك ينبغي للمسلمين أن يحافظوا على مكانة العلماء وولاة الأمر الحقيقيين، وأن تكون العلاقة مبنية على النصح الصادق، والعدل، والشفافية، والمساءلة الشرعية.

إنّ ما ذُكر من الآثار ليس على سبيل الحصر، وإنما هو أبرز ما يترتّب على تفرّق المسلمين من نتائجٍ دينيةٍ ودنيويةٍ خطيرة - وقد ذكر كثيرٌ من هذه الآثار وأكثر ضمن أبواب الرسالة السابقة واللاحقة -، ولا سبيل إلى علاجها إلا بمعالجة أسباب الخلاف، والتفرق قبل أن تتفاقم وتتحول إلى قطيعة وعداوة.

6. الجهود المؤسسية والإعلامية في تحقيق وحدة الأمة

لما تبين في الأبواب السابقة من أطروحتنا أن وحدة الأمة الإسلامية أصل شرعي، ومقصد علوي أكدت عليه النصوص القرآنية والسنة النبوية، وأن الشريعة الإسلامية قد أسست هذه الوحدة في العقيدة والعبادة والعلاقات والمعاملات؛ فإن هذا يقتضي العمل الواقعي والفعلي على ترسيخها وتجديد معالمها بين المسلمين في هذا العصر، الذي كثرت فيه أسباب التفرق وتضاعفت فيه آثار الفرقة.

وإذا كانت النصوص قد قررت هذا الأصل العظيم، فإن العمل على تحقيقه يحتاج إلى جهود مؤسسية وإعلامية واعية ومنظمة، تجمع بين التأصيل والتطبيق، وبين التنظير والتنفيذ، في ضوء مقاصد الشريعة ومصالح الأمة.

وفي هذا الباب نسلّط الضوء على أبرز الجهود المعاصرة التي تبذلها المؤسسات الإسلامية الدولية والمجامع الفقهية والهيئات العلمية لتعزيز وحدة الأمة، ومن ذلك:

- منظمة التعاون الإسلامي، ومن المؤسسات التابعة لها: مجمع الفقه الإسلامي الدولي
- رابطة العالم الإسلامي، ومن المؤسسات والمؤتمرات المهمة التابعة لها: المجمع الفقهي الإسلامي، الهيئة العالمية للعلماء المسلمين، مؤتمر وثيقة مكة المكرمة.
- الأزهر الشريف، ومن المؤسسات التابعة له: مجمع البحوث الإسلامية.
- الهيئة العالمية للفقه الإسلامي.
- الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- والمؤتمرات والمجالس المشتركة بين العلماء والدعاة.

وهذا الباب يهدف إلى تتبع هذه الجهود وتقويمها، وبيان مدى نجاحها أو إخفاقها، واقتراح ما يمكن البناء عليه من المبادرات والتجارب الناجحة، بما يسهم في تعزيز وحدة الأمة الإسلامية في عصر التحديات الكبرى.

6.1.منظمة التعاون الإسلامي

تُعد منظمة التعاون الإسلامي أكبر منظمة تمثّل الدول الإسلامية في العالم، وهي ثاني أكبر منظمة دولية بعد الأمم المتحدة من حيث عدد الدول الأعضاء، إذ تضم في عضويتها سبعًا وخمسين دولة موزعة على أربع قارات. وقد أُسست المنظمة بعد العدوان الذي تعرّض له المسجد الأقصى عام 1969م، حيث اجتمع قادة الدول الإسلامية في قمة تاريخية في الرباط وأسّسوا إطارًا جامعًا يُمثّل الصوت الجماعي للأمة الإسلامية، ويهدف إلى حماية مصالحها وتعزيز وحدتها في مواجهة التحديات السياسية والاقتصادية والثقافية.

ومنذ نشأتها، سعت المنظمة إلى توحيد جهود الدول الأعضاء، والتعبير عن قضايا المسلمين والدفاع عنها، وترتبط المنظمة بعلاقات تشاور وتعاون مع الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الحكومية الدولية بهدف حماية المصالح الحيوية للمسلمين، والعمل على تسوية النزاعات والصراعات التي تكون الدول الأعضاء طرفًا فيها، وتصحيح المفاهيم والتصورات الخاطئة، ومواجهة التمييز ضد المسلمين. ويُبرز ميثاق المنظمة المعدل في قمة دكار عام 2008 هذا التوجه، حيث أُعيدت صياغته ليتلاءم مع مستجدات القرن الحادي والعشرين، مؤكّدًا على مقاصد الشريعة في التضامن والتكافل، والتعاون لتحقيق العدالة، والكرامة، والسلم.

ومن أبرز جهود المنظمة:

- اعتماد برامج استراتيجية طويلة الأمد، كبرنامج العمل العشري (2005–2015)، ثم برنامج (2016–2025)، الذي يشتمل على 18 مجالًا و107 هدفًا، تُعنى بقضايا شاملة تشمل قضايا السلم والأمن، وفلسطين والقدس الشريف، والتخفيف من حدة الفقر، ومكافحة الإرهاب، والاستثمار وتمويل المشاريع، والأمن الغذائي، والعلوم والتكنولوجيا، وتغيّر المناخ، والتنمية المستدامة، والوسطية، والثقافة والتناغم بين الأديان، وتمكين المرأة، والعمل الإسلامي المشترك في المجال الإنساني، وحقوق الإنسان، والحكم الرشيد، وغيرها..
- إقامة مؤتمرات القمة الإسلامية، ومجالس وزراء الخارجية.

- التعاون مع منظمات دولية، مثل الأمم المتحدة، لتصحيح صورة الإسلام وتعزيز الخطاب الوسطي العالمي.
- دعم القضايا الإنسانية في دول الأزمات، وتعزيز روابط العمل المشترك في ملفات الاقتصاد، والتعليم، والعلوم والتكنولوجيا، مما يرفع مستوى التكامل بين دول الأمة [1].

ومن أجهزتها الفاعلة في هذا المجال مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الذي يُعد من أهم المنصات العلمية والشرعية تحت لواء المنظمة، حيث ساهم أو حاول أن يساهم من خلال مؤتمراته وقراراته في ترسيخ منهج وسطي موحّد لفهم النصوص الشرعية، وردم الفجوة الفقهية والفكرية بين العلماء والفقهاء من مختلف دول العالم الإسلامي.

6.1.1. التعريف بمجمع الفقه الإسلامي الدولي، ودوره في تحقيق وحدة الأمة

يُعد مجمع الفقه الإسلامي الدولي من أبرز المؤسسات الفقهية العالمية التي تُمثّل مرجعية شرعية معاصرة للأمة الإسلامية، وقد أنشئ هذا المجمع تنفيذًا لقرار مؤتمر القمة الإسلامي الثالث المنعقد في مكة المكرمة عام 1401هـ/1981م، ويتبع رسميًا منظمة التعاون الإسلامي، ويقع مقره في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، ويضم في عضويته نخبة من كبار العلماء والفقهاء والخبراء المتخصصين في مجالات متعددة من 57 دولة إسلامية، ينهضون بواجب الاجتهاد الجماعي في قضايا الحياة المعاصرة، وفق منهج شرعي أصيل ومنفتح على تطور المعرفة والواقع، بما يحقق مصالح الأمة ويعزز وحدتها الفكرية والشرعية قياما بأمره تعالى:﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].

ويهدف المجمع إلى أن يكون المرجعية الفقهية العليا للعالم الإسلامي، من خلال إصدار الفتاوى والقرارات الشرعية في القضايا المستجدة، وبيان الحكم الشرعي للمستجدات الاجتماعية والطبية والاقتصادية والمالية المعاصرة، بما يسهم في تطوير القوانين والتشريعات بما يوافق مقاصد

(1) ينظر: منظمة التعاون الاسلامي, "تاريخ المنظمة ,*oic-oci.org* ,"د.ت.

الشريعة الإسلامية. ويستند المجمع في منهجه إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والفقه المقارن، ويعتمد على الاجتهاد الجماعي المنضبط في الوصول إلى الأحكام[1].

وقد عقد المجمع منذ تأسيسه عام 1983م أكثر من أربع وعشرين دورة علمية، أصدر فيها 238 قرارًا فقهيًا، تناولت قضايا هامة تمس حياة المسلمين وتوحد صفهم، منها قضايا الأقليات الإسلامية، وأحكام الطب الحديث، والمعاملات المالية، ومشكلات الأسرة، وغيرها. ويترأس المجمع حاليًا الدكتور قطب مصطفى سانو منذ أكتوبر 2020م، وقد حرص خلال رئاسته على تعزيز التلاقي الفقهي بين المذاهب الإسلامية المعتبرة، والربط بين الفقهاء والمتخصصين في مختلف العلوم.

ويبرز دور المجمع في تعزيز وحدة الأمة الإسلامية من خلال تحقيق عدد من الأهداف المركزية، أهمها:

- تحقيق التكامل المعرفي بين فقهاء الشريعة والمتخصصين في مختلف المجالات العلمية، في سبيل بيان الموقف الشرعي الموحّد من قضايا العصر.
- تشجيع الاجتهاد الجماعي المنضبط بما يضمن صدور قرارات شرعية معتدلة، مراعية لمصالح الأمة، محققة لمقاصد الشريعة، ومُسهِمة في التوجيه الصحيح.
- التنسيق بين جهات الفتوى والهيئات الشرعية في العالم الإسلامي لتقليل التناقض في الفتاوى، وتوحيد المرجعية، خاصة في المسائل العامة التي تتعلق بجميع المسلمين.
- نبذ التعصب المذهبي والغلو، والدعوة إلى الاعتدال والتسامح بين أتباع المذاهب والفرق الإسلامية، وتنمية فقه الاختلاف واحترام التعدد الفقهي المشروع.
- الرد على الفتاوى الشاذة أو المخالفة لثوابت الدين، والعمل على تجديد الفقه وضبط منهجية الاستنباط وفق أصول الشريعة.
- خدمة المسلمين في الخارج من خلال إصدار فتاوى تراعي أوضاعهم وتحافظ على هويتهم الإسلامية مع التزامهم بمقتضيات المواطنة في الدول غير الإسلامية.

---

(1) ينظر: مجموعة من المؤلفين, *مجلة مجمع الفقه الإسلامي* (د. م: مجمع الفقه الاسلامي, ١٩٨٦ م), ٢٦/١.

- تعزيز العمل الفقهي المشترك في مجالات الاقتصاد والطب والبيئة والتعليم والتقنية وغيرها، بما يثبت صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان.
- الدعوة إلى الحوار البنّاء مع أتباع الأديان والثقافات الأخرى، بما يخدم القيم الإسلامية، ويرسخ التعاون الإنساني العالمي.

ومن خلال هذه الجهود المباركة، يتضح أن مجمع الفقه الإسلامي الدولي يمثل نموذجًا حيًا لوحدة الكلمة والمرجعية الفقهية الإسلامية، ويُسهم بفاعلية في ردم الفجوات بين المدارس الفقهية، وتوجيه الأمة نحو خطاب شرعي واحد متوازن. كما يُعَد المجمع قوة ناعمة مؤثرة في تشكيل الوعي الإسلامي المعاصر، وإحدى الأدوات الكبرى لتحقيق الوحدة الفكرية والشرعية بين المسلمين. [1].

6.1.2. مظاهر اهتمام مجمع الفقه الإسلامي بوحدة الأمة الإسلامية

يُولي مجمع الفقه الإسلامي الدولي اهتماماً كبيراً بوحدة الأمة، من خلال تقريب المذاهب على الحق وتوحيد الفتاوى على النصوص، ويهدف هذا المبحث إلى استعراض مظاهر هذا الاهتمام، كتضمين أهدافه توحيد الصف، والتنسيق مع المؤسسات الفقهية والدعوة إلى التآلف، ومن خلال تحليل هذه المظاهر يتضح دور المجمع في تعزيز التضامن ومواجهة الفرقة، لتحقيق مقاصد الشريعة في جمع الكلمة.

6.1.2.1. هدف مجمع الفقه الإسلامي الدولي توحيد الصف الإسلامي

يمثل توحيد الصف الإسلامي من الأهداف الرئيسية التي يسعى إليها مجمع الفقه الإسلامي الدولي، حيث يعمل على تقريب وجهات النظر المختلفة بين العلماء والمفكرين، ويتجلى هذا المسعى من خلال جمع الفقهاء والعلماء من مختلف المذاهب الإسلامية والدول، مما يبرز الأهمية القصوى للتعاون الفقهي في نبذ الفرقة وترسيخ التآلف بين المسلمين.

تتمحور رسالة المجمع حول تحقيق التقارب الفكري والعلمي، ولتحقيق هذا المقصد، يضم في عضويته نخبة متنوعة من الفقهاء والعلماء والمفكرين المتخصصين في شتى فروع المعرفة الفقهية

---

(1) ينظر: منظمة التعاون الاسلامي، "مجمع الفقه الإسلامي الدولي *oic-oci.org* ,"(٢٠٢٥/٠٧/٢٢). منظمة التعاون الاسلامي, "موقع مجمع الفقه الاسلامي الدولي" (٢٠٢٥/٠٧/٢٢), ١.

والثقافية والعلمية والاقتصادية والقانونية، ممن ينتمون إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامي، ويتولى هؤلاء الأعضاء مهمة دراسة قضايا الحياة المعاصرة والاجتهاد فيها اجتهاداً أصيلاً وفعالاً، بغية تقديم الحلول المناسبة للمؤسسات والمجامع واللجان الأخرى العاملة في العالم الإسلامي، وتعزيز التنسيق والتعاون معها على أرض الواقع.

لقد انضم إلى المجمع ممثلون من مؤسسات إسلامية مرموقة، منها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، ومؤسسة آل البيت في المملكة الأردنية الهاشمية، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالمغرب، والمركز الإسلامي بواشنطن، كما توسعت شبكة علاقات المجمع لتشمل مؤسسات متنوعة الاختصاصات والمواقع، فشمل التعاون الجامعات العريقة كالأزهر الشريف وكليات الشريعة في الجامعات الأزهرية، والجامعة الزيتونية بتونس، وجامعة القرويين بفاس وتطوان ومراكش، فضلاً عن المؤسسات الطبية والاقتصادية المتخصصة، فيتشكل المجمع من مجلس يضم جميع الأعضاء العاملين.

إن قضية وحدة الأمة الإسلامية وتماسك بنيانها تُعد قضية محورية ذات أهمية جوهرية، تستوجب منا أقصى درجات الاهتمام والعناية، ولن نكف عن التأكيد على عناصر هذه الوحدة وضرورة تحقيق التوافق، وتفعيل عوامل القوة، وتأكيد وجوب جمع الشمل وتوحيد الصفوف وتقوية اللحمة الإسلامية، وبالتالي مواجهة عوامل التفرق والنزاع ومسببات الاختلاف والصراع، سواء كانت ذات طابع إقليمي، أو عرقي، أو لغوي، أو طائفي، أو مذهبي.

وحيث إن خصوم الأمة يواجهوننا كأمة واحدة وباعتبارنا أتباع دين واحد، فإنهم لا يتورعون عن إيجاد، أو تعميق، أو تضخيم، أو استغلال جميع أشكال الخلاف وألوان التفرق القائمة بين أبناء الأمة الواحدة ومكوناتها، بهدف خلق عصبيات جاهلية تتغذى من الجهل والعصبية والأنانية وسوء الفهم أو سوء المقصد أو سوء التقدير، بل والحقد والكراهية الممزوجين بالمصالح والمطامع والطموحات المشروعة وغير المشروعة[1].

---

(1) ينظر: منير بنجمور, *القضايا الطبية المعاصرة ومقاصد الشريعة (قراءة في أعمال مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة)* (تونس: دار التونسية للكتاب, ٢٠١٤ م), ٣٤-٣٩. عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي الصباغ, "دعوة إلى

يؤكد هذا التحليل أن توحيد الصف الإسلامي يشكل هدفا من أهداف مجمع الفقه الإسلامي، وذلك من خلال تجميع جهود العلماء وتقريب وجهات النظر المختلفة، وقد حثت النصوص الشرعية على هذا التآلف، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ويتوجب على المجمع مواصلة تعزيز هذا الهدف من خلال الحوار البناء والتعاون الفعال لتجاوز الخلافات وتحقيق الوحدة المنشودة، مما يسهم في ترسيخ تماسك الأمة وتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية السمحة.

6.1.2.2. علاقة المجمع بوحدة صف المسلمين

يبرز دور مجمع الفقه الإسلامي الدولي في توحيد صف المسلمين من خلال التنسيق مع المؤسسات الفقهية وإصدار فتاوى موحدة. ويهدف هذا المطلب إلى بيان هذه العلاقة مع الاستناد إلى النصوص الشرعية، كقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]. ومن خلال هذا العرض يتضح أهمية المجمع كمرجعية فقهية في تقريب وجهات النظر وتعزيز التآلف بين المسلمين.

يُولي مجمع الفقه الإسلامي الدولي اهتماماً كبيراً بوحدة الأمة من خلال تقريب المذاهب وتوحيد الفتاوى. ويهدف هذا المبحث إلى استعراض مظاهر هذا الاهتمام، كتضمين أهدافه توحيد الصف، والتنسيق مع المؤسسات الفقهية، والدعوة إلى التآلف، ومن خلال تحليل هذه المظاهر يتضح دور المجمع في تعزيز التضامن ومواجهة الفرقة، لتحقيق مقاصد الشريعة في جمع الكلمة.

يبرز دور مجمع الفقه الإسلامي الدولي في توحيد الصف الإسلامي من خلال تبنيه جميع القضايا والفتاوى في المسائل الفقهية المعاصرة التي تستجد على العالم الإسلامي بأثره. فيكون هو الراعي والمرجعية الدينية العليا في تفصيل الأحكام الفقهية، وعلى المجمع الدولي التنسيق مع المجامع الفقهية المنتشرة والعمل على تقريب وجهات النظر بينها وبينه في القضايا المعاصرة التي تحتاج إلى فتاوى لتواكب العصر. وإن دور المجمع الإسلامي في توحيد الأمة يقوم على تقريب وجهات النظر بين المرجعيات الإسلامية في تطبيق الحكم الشرعي على قضية ما، تسبقها دراسة شتى

كلمة سواء بين المذاهب الاسلامية محاولة في التقريب والتعاون بين مذاهب الأمة الاسلامية", محاضرة, *منتدى الفكر الإسلامي*, ٢٠٠٧, ٢.

أبعادها ومراعاة ظروف عصرها واعتبارات أخرى، تحقيقًا لهدف الشريعة، الأمر الذي يجعل ذلك في غاية الأهمية والخطورة. [1]

يوضح هذا المطلب دور المجمع في توحيد صف المسلمين عبر التنسيق مع المؤسسات وإصدار فتاوى موحدة. وقد أكدت النصوص الشرعية أهمية التعاون، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. ويتعين على المجمع تعزيز هذا الدور بالحوار الفقهي وتقريب المذاهب لتجاوز الفرقة وتحقيق التضامن مما يسهم في تماسك الأمة وتحقيق مقاصد الشريعة.

6.1.2.3. دعوة مجمع الفقه الإسلامي الدولي إلى توحيد الأمة والتقريب بين مذاهبها

يلعب مجمع الفقه الإسلامي الدولي دورًا مهمًا في تعزيز وحدة الأمة الإسلامية، ويُعد قراره [2] الصادر في دورة عمان ٢٠٠٦ م -قرار رقم ١٥٢ (١٧/١) - المستند إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٨] شاهدًا بارزًا على هذا التوجه، وهذه المحاولة -مع ما عليها من الملاحظات التي سنذكرها-، فقد ناقش المجمع في هذا القرار أهمية اعتبار المذاهب الفقهية والعقدية والتربوية اجتهادات معتبرة، تصب في إثراء الأمة وخدمتها، وليس سببًا في تمزيق صفها.

أكد القرار أن جميع أتباع المذاهب الإسلامية المعروفة – كالمذاهب الأربعة السنية -الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية-، والجعفري، والزيدي، والإباضي، والظاهري – مسلمون لا يجوز تكفيرهم، وأن ما يجمعهم من الأصول والعقائد والمبادئ أكثر مما يفرقهم، مع التنبيه على وجوب الالتزام بمنهجية علمية في الفتوى وعدم الخروج عن أصول الشريعة.

ودعا المجمع إلى نبذ الخلاف، وتعزيز روح الأخوة والتسامح، ونشر ثقافة أدب الخلاف وفق فقه الوحدة، مع اعتماد النقد البنّاء والحوار الهادئ لتقريب وجهات النظر، كما شدّد على ضرورة تعليم هذه المبادئ في المؤسسات التعليمية، وإحياء المذاهب التربوية الأصيلة لمواجهة النزعة المادية.

---

(1) ينظر: بنجمور, *القضايا الطبية المعاصرة ومقاصد الشريعة*, ٣٩.

(2) مجمع الفقه الاسلامي الدولي, "قرار بشأن الإسلام والأمة الواحدة، المذاهب العقدية والفقهية-*iifa*", *aifi.org/ar/*, د.ت, ١.

وتضمن القرار كذلك تشكيل لجان متخصصة لتعزيز الوحدة في مختلف المجالات، ومواجهة الفكر المنحرف باسم الإسلام، وتصحيح الصورة المغلوطة عن المذاهب، والتأكيد أن المذاهب غير مسؤولة عن التجاوزات التي تُرتكب باسمها.

ويمكن تلخيص القرار كالآتي:

الهدف الأساسي

دعوة مجمع الفقه الإسلامي لتوحيد الأمة الإسلامية وتقريب المذاهب، مع التأكيد على أن المذاهب المختلفة هي اجتهادات تهدف لتيسير العمل الديني وبناء وحدة الأمة.

أهم القرارات والمبادئ

- **الاعتراف بالمذاهب الإسلامية**

  - المذاهب المعترف بها :الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي (أهل السنة والجماعة)، الجعفري، الزيدي، الإباضي، والظاهري
  - لا يجوز تكفير أتباع هذه المذاهب، ويحرم دمهم وعرضهم وأموالهم
  - لا يجوز تكفير الأشعرية، أصحاب التصوف الحقيقي، أو الفكر السلفي الصحيح

- **القواعد الجامعة**

  - ما يجمع المذاهب أكثر مما يفرقها
  - الأسس المشتركة :الإيمان بالله، القرآن كلام الله المحفوظ، النبي محمد ﷺ، أركان الإسلام والإيمان
  - اختلاف العلماء في الفروع رحمة واسعة

- **ضوابط الفتوى والاعتدال**

  - الالتزام بمنهجية الفتوى العلمية المؤهلة
  - عدم الخروج عن إطار المذاهب المعترف بها
  - منع استحداث فتاوى تخالف الشريعة

- تعزيز الاعتدال والتسامح

التوجهات العملية

- في المجال التعليمي والحواري

- تدريس فقه الوحدة الإسلامية في الجامعات والمدارس الثانوية
- تعليم آداب الخلاف والمناظرة
- عدم الانتقاص من الآراء الفقهية الأخرى
- إحياء الحوار البناء بين المذاهب
- تنظيم لقاءات وندوات ومؤتمرات للتقارب

- في المجال العملي

- تشكيل لجنة متخصصة لوضع دراسات عملية لتحقيق الوحدة
- وضع قواعد للقضايا المتفق عليها
- حصر قضايا الاختلاف وردها للأصول الشرعية

التحديات والحلول

التحديات

- انقسام المجتمع الإسلامي إلى مذاهب متنافرة
- العصبية الطائفية والمنافرات
- الانشغال بالخلافات عن القضايا الكبرى
- الاتجاهات الفكرية المخالفة للكتاب والسنة

الحلول المقترحة

- التصدي للاتجاهات المنحرفة مع وضع ضوابط للحفاظ على اسم الإسلام
- إحياء المذاهب التربوية الملتزمة بالكتاب والسنة

- تصحيح النظرة إلى المذاهب كمناهج متنوعة لتطبيق الإسلام
- النقد الهادف لتوسيع نقاط الالتقاء وتضييق الاختلاف

القضايا المعاصرة

- التأكيد على ضرورة حماية المسجد الأقصى من الاعتداءات
- المحافظة على العتبات المقدسة في العراق وغيرها
- إنهاء الاحتلال والحفاظ على المقدسات الإسلامية

في الخلاصة أكد القرار على أن توحيد الأمة الإسلامية هدف استراتيجي يتطلب:

- الاعتراف بالتنوع المذهبي -المذكور- كثراء فقهي
- نبذ التكفير والعصبية الطائفية إلا في نطاق مشروع
- تعزيز الحوار البناء والتعاون
- التركيز على المشتركات الأساسية
- مواجهة التحديات المعاصرة بوحدة الصف

وفي الحقيقة لا يمكن إنكار وجود تمايز عقدي بين هذه المذاهب وغيرها، واختلاف في أصول الاستدلال وفروع النظر، فلابد أن نقول والحال هذه أن النقد المتبادل بين المذاهب في قضايا عقدية وفقهية أمر معروف، بل لابد منه، وهو من طبيعة الاختلاف العلمي في الأمة، غير أن هذا النقد والوصف ينبغي أن يبقى ضمن حدود البحث العلمي والحوار المسؤول، لا أن يتحول إلى صراع سياسي أو طائفي يؤدي إلى النزاع والاقتتال داخل الأمة، ويزيد من حالة التمزق والانقسام.

ومما ينبغي ذكره أيضا أن القرار هذا يشمل المذاهب والطوائف المنتسبة إلى الإسلام لا غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى، وقد انتقد من قبل بعض الدعاة والعلماء فجاء بعض الدارسين بحلول مقترحة لما ذكروه من النقد، ومن أبرز ما طُرح من حلول عملية لتقريب المذاهب وتحقيق وحدة الأمة الإسلامية: "النظر إلى الخلاف في مسألة الإمامة باعتباره اجتهادًا سياسيًّا لا موجب فيه

للتكفير أو الطعن في الصحابة الكرام، مع ضرورة حماية الناشئة من زرع الكراهية في نفوسهم تجاه المذاهب الأخرى. كما يجتمع المسلمون على أركان العقيدة الكبرى، من الإيمان بالله تعالى ربًّا وخالقًا، وبأسمائه وصفاته من غير تحريف ولا تعطيل، وبجميع الأنبياء، وأن محمدًا ﷺ خاتمهم، وبالقرآن الكريم مصدرًا للتشريع، والسنة بيانًا له، وباليوم الآخر والبعث والحساب، وسائر أركان الإيمان والإسلام. ويشمل هذا الاجتماع التمسك بالعبادات الكبرى كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وتحريم الكذب على الأنبياء، وإنكار ما يخالف النصوص القطعية أو أصول الشريعة المتواترة، ورفض أي تأليهٍ لأحدٍ مع الله، أو القول بإسقاط التكاليف، أو التناسخ، أو السجود للأصنام.

ويُعالج الخلاف في الفروع والجزئيات -كهيئة الصلاة أو تفاصيل المذهب الفقهي- بوصفه اختلافًا معتبرًا لا يُفضي إلى الفرقة، مع التأكيد على تصحيح الانحرافات العقدية مثل القول بوحدة الوجود، ومواجهة البدع بالحكمة والموعظة الحسنة. كما يُشدد على حرمة الدماء والأموال والأعراض، وضرورة الجدال بالحسنى، دون تكفير أو إيذاء، وعلى تأكيد القواسم المشتركة، وحل النزاعات بالحوار البنّاء، واحترام رموز المذاهب، والبعد عن التجريح والسبّ، عملًا بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. ويُضاف إلى ذلك الامتناع عن الأعمال الاستفزازية، كالتبشير بمذهب معين في بيئة مذهبية مغايرة، صونًا للوحدة، ودرءًا للفتنة"[1].

ويرى الباحث أنه مع ما في القرار من الجوانب الإيجابية مثل:

1. اعتماد القرارات على الأبحاث الشرعية، وهو ما يضفي عليها مشروعية ومرجعية قوية.
2. شمولية القرارات: تغطي الأبعاد العقدية، الفقهية، التربوية، والتعليمية والإعلامية، مما يدل على رؤية متكاملة للوحدة.
3. تنويع التمثيل: يضم المجمع هيئات ومؤسسات بارزة من مختلف الدول والمذاهب، ما يعزز من مصداقيته.

---

(1) ينظر: بندر بن محمد بن حسين العمودي - عثمان أحمد عثمان محمد, *أثر مجمع الفقه الإسلامي الدولي في وحدة الأمة الإسلامية* (أم درمان: أم درمان الإسلامية, ماجستير, ٢٠١٨), ١٨١-١٨٤.

ولكن قد يؤخذ عليها أيضا:

1. طابع قرارات رمزية أكثر من كونها تطبيقية: القرار يعتمد على صياغة توصيات، لكن آلياته التنفيذية غائبة أو ضعيفة، ما يقلل من تأثيره العملي في واقع الأمة
2. عدم تمثيل كامل للمسلمين أو بعبارة أدق " غياب التمييز بين الفرق الإسلامية المعتبرة والفرق المنحرفة التي خرجت عن أصل الإسلام" فمع دعوة القرار إلى وحدة الأمة وتسمية كبرى فرقها، إلا أنه لم يتناول بشكل واضح مسألة الفرق المنتسبة إلى الإسلام ممن خالفت أصول الدين وثوابته، وفتح هذا الباب دون ضوابط قد يؤدي إلى:

- إدخال تيارات باطنية أو متطرفة في دائرة التعاون باسم "الانتماء الظاهري للإسلام".
- خداع عامة المسلمين بقبول جماعات منحرفة أو معادية للإسلام من داخله.

وعليه، كان من اللازم أو الأحسن حسب يراه الباحث:

- التنصيص على التمييز بين المذاهب الإسلامية المعتبرة، وبين الفرق التي خرجت عن الإسلام بأصولها العقدية أو ممارساتها.
- التوصية بتشكيل لجان علمية مشتركة من كبار العلماء من المذاهب الإسلامية للنظر في الفرق المشبوهة، وبيان الحكم فيها بوضوح:

  - إما إدخالها ضمن دائرة الإسلام بضوابط،
  - أو إخراجها منه إذا خالفت أصول الدين، حماية للدين الإسلامي ولعقيدة الأمة ووحدتها.

3. الخلط بين الوحدة العقدية والوحدة السياسية إلى حد: فرغم تأكيد القرار على أن المذاهب الكبرى تنتمي إلى الإسلام ولا يجوز تكفيرها، وإقراره بالتميز العقدي، إلا أنه لم يفصل بوضوح بين المستويات المختلفة للوحدة، خاصة:

- أن الاجتماع الفكري العقدي التام متعذر بحكم التاريخ والواقع، لأن الاعتقاد لا يصح بالتقليد المحض، بل بالإقرار والتصديق عن علم، وهو ما يجعل التباين العقدي واقعًا لا يمكن محوه بقرارات رسمية.
- لذلك، ينبغي وضع آلية للتعامل البيني تحترم الاختلاف العقدي، دون أن تمنع التعاون في دوائر أخرى كالوحدة السياسية، والمواقف تجاه العدو المشترك، والمصالح العامة للأمة.
- التوصية باعتماد مبدأ "التعاون في المتفق عليه والتسامح في المختلف فيه" في المسائل السياسية والمصالح الكبرى لا في المسائل العقدية أو المنصوصة عليها وسن ميثاق عملي للالتقاء السياسي والاجتماعي، دون الاشتراط على وحدة فكرية كاملة، يُعد ضرورة واقعية كان يجب أن يتضمنها القرار.

4. قلة الرقابة على التنفيذ الدولي، بل والمحلي.
5. تحديات ثقافية وإعلامية.

يتضح من خلال ما سبق أن منظمة التعاون الإسلامي، ممثلة بمؤسساتها الكبرى كمجمع الفقه الإسلامي الدولي التي ركزنا عليها، قد أدّت دورًا ملحوظًا في محاولة ترسيخ وحدة الأمة الإسلامية على أسس منهجية، فقد سعت هذه المؤسسات إلى تجاوز الانقسام المذهبي والطائفي عبر التأكيد على المشتركات العقدية والفقهية بين الفرق المنتسبة إلى الإسلام، والدعوة إلى نبذ التكفير والصراع، وتفعيل قيم الاحترام والحوار العلمي الرشيد، وقد شكّلت القرارات الصادرة عنها، ولا سيما القرار رقم (152) لعام 2006م، نموذجًا في تأصيل قواعد التفاهم، ووضع آليات للعمل المشترك، خصوصًا في مواجهة التحديات التي تهدد كيان الأمة ومقدساتها.

إلا أن هذه الجهود، رغم قيمتها ومضامينها المتزنة، تبقى بحاجة إلى مزيد من التحليل والتفصيل والتأصيل والتفعيل العملي على مستوى الواقع السياسي والتعليمي والإعلامي، كما تحتاج إلى تطوير آليات متابعة وتنفيذ على مستوى الدول الأعضاء وغيرها، بما يعزّز أثرها في المجتمعات المسلمة. كما أن الاعتراف بواقع التعدد العقدي والفكري يجب أن يقترن بوعي بأن وحدة الأمة لا

تعني الذوبان الفكري، بل تستلزم إدارة الخلاف بإطار منضبط يراعي ثوابت العقيدة ومصالح الجماعة الإسلامية، ويوجّه الطاقات نحو العدو المشترك والتحديات الوجودية التي تواجهها الأمة.

6.2.رابطة العالم الإسلامي

من المؤسسات والمؤتمرات المهمة التابعة لها: المجمع الفقهي الإسلامي، الهيئة العالمية للعلماء المسلمين، مؤتمر وثيقة مكة المكرمة.

تُعد رابطة العالم الإسلامي من أقدم وأبرز المنظمات الإسلامية المعاصرة التي أُنشئت لخدمة قضايا الأمة الإسلامية، وقد انطلقت فكرتها في العقد السابع من القرن العشرين، وتحديدا 14من ذي الحجة1381هـ، الموافق 18 من مايو 1962م، بموجب قرار صدر عن المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد بمكة المكرمة، واستجابةً لحاجة الأمة إلى كيانٍ جامع يُوحّد صفوفها ويُنسق جهودها الدعوية والفكرية والعلمية، انطلاقًا من مبدأ عالمية الإسلام، ومن واجب البيان والدعوة إلى الحق، ونصرة قضايا المسلمين في شتى بقاع الأرض.

وقد اتخذت الرابطة من مكة المكرمة مقرًا لها، وجعلت من أهدافها الأساسية تعزيز وحدة المسلمين، والدفاع عن عقيدتهم، ومواجهة الشبهات، والتصدي للفرقة والطائفية، عبر أدوات علمية وحوارية وميدانية متنوعة. كما أن الرابطة تمثل نموذجًا متميزًا في العمل المؤسسي الإسلامي، حيث جمعت بين البعد الدعوي، والفقهي، والفكري، والسياسي [1].

ونركّز في هذا الفصل على أهداف الرابطة، وثلاثة من أبرز أعمال الرابطة التي تؤثر في موضوع وحدة الأمة، وهي: المجمع الفقهي الإسلامي، وهيئة العلماء المسلمين، ومؤتمر الوحدة الاسلامية؛ لما تمثّله هذه الجهات من جهود رصينة في تحقيق التقارب، وردم الفجوات، وتوجيه الأمة نحو وحدتها المرجوّة.

---

(1) ينظر: رابطة العالم الاسلامي, "موقع رابطة العالم الاسلامي *themwl.org*, "د.ت, تعريف رابطة العالم الاسلامي.

6.2.1. أهداف الرابطة

يظهر بجلاء من ميثاق رابطة العالم الإسلامي أن الوحدة الإسلامية تمثل أحد أهدافها الجوهرية ومقاصدها العليا؛ حيث تعهّد الأعضاء الممثلون للرابطة بـ بذل قصارى الجهد في توحيد كلمة المسلمين وإزالة عوامل التفكك المحيطة بالمجتمعات الإسلامية، إضافةً إلى التصريح في الميثاق بأن الإسلام لا يعرف الشعوبية ولا العنصرية، وأن جميع الجهود يجب أن تتضافر لتحقيق هذه الغاية النبيلة. ومن أبرز ما ورد في الميثاق قولهم: "أن نبذل قصارى جهدنا في توحيد كلمة المسلمين وإزالة عوامل التفكك المحيقة بالمجتمعات الإسلامية المنتشرة في بقاع الأرض"، و"أن نوحد جهودنا لتحقيق هذه الأغراض بطريق إيجابي سليم"[1].

كما نصّت أهداف الرابطة ووسائلها على وسائل عملية لتحقيق هذا المقصد، من أبرزها:

- "ترسيخ مفاهيم الوسطية والاعتدال في وعي الأمة، لمواجهة التطرف والغلو الذي يهدد وحدتها.
- دفع عوامل النزاع والشقاق، وبذل الجهود الممكنة في علاج قضايا الأمة، وحل خلافاتها.
- الحفاظ على الهوية الإسلامية وتعزيز مكانتها في العالم وتحقيق وحدتها.
- استثمار موسم الحج لاجتماع العلماء والمفكرين لتقديم الحلول العملية التي توحد صفوف المسلمين" [2].

إن هذه البنود والوسائل تؤكد أن رابطة العالم الإسلامي تأسست لتكون أداة جامعة، تعمل على تقوية الروابط الإيمانية، وتعزيز الوحدة بين شعوب الأمة، ومواجهة التحديات التي تهدد وحدتها.

---

(1) ينظر: المصدر السابق

(2) ينظر: محمد بن عبد الله بن منصور البكري, *دور رابطة العالم الاسلامي في نشر لثقافة الاسلامية* (المدينة المنورة: أم القرى, ماجستير, ١٤٣١-١٤٣٢ هـ), ٣٨-٤٠.

6.2.2. المجمع الفقهي الإسلامي

يُعد المجمع الفقهي الإسلامي من أبرز الهيئات العلمية التي أنشأتها رابطة العالم الإسلامي لخدمة قضايا الأمة، وتحقيق وحدتها الفكرية والفقهية، وقد تأسس هذا المجمع عام 1398هـ (1977م) ليكون مرجعية علمية راسخة تجمع كبار العلماء والمفكرين من مختلف المذاهب الإسلامية، بهدف الاجتهاد الجماعي في القضايا المعاصرة، وتقديم الحلول الشرعية التي تتسم بالاعتدال والوسطية، وتراعي مقاصد الشريعة الإسلامية[1].

ويظهر دور المجمع في تعزيز وحدة الأمة من خلال:

- "التقريب بين المذاهب الإسلامية، بنشر روح التسامح ونبذ التعصب المذهبي.
- إصدار القرارات والفتاوى الجماعية التي تعكس وحدة الموقف الإسلامي في القضايا المستجدة، مما يمنع تضارب الفتاوى الذي قد يؤدي إلى الفرقة.
- التنسيق والتعاون مع المجامع الفقهية الأخرى، ومراكز البحوث والهيئات الشرعية في العالم الإسلامي لتوحيد الجهود وتحقيق الانسجام في العمل الفقهي.
- معالجة القضايا الكبرى للأمة كأحكام الأقليات المسلمة، والتحديات الفكرية، والمستجدات الاقتصادية والطبية، من منظور يحقق مصلحة الأمة ويصون هويتها" [2].

فإن هذا المجمع يجسد أو يحاول أن يجسد أحد مظاهر الوحدة العلمية والفقهية التي تحتاجها الأمة في عصر التحديات الفكرية والفقهية، حيث يُعدّ مرجعًا معتبرًا يسهم في جمع الكلمة، وتوجيه المسلمين إلى المنهج الوسطي الذي يضمن لهم الثبات على الدين، والقدرة على مواجهة المتغيرات.

---

(1) ينظر: مجموعة من المؤلفين, *مجلة المجمع الفقهي الإسلامي* (السعودية: رابطة العالم الإسلامي, ٢٠٠٣ م), ٢٧/١.

(2) ينظر: مجموعة من المؤلفين, *مجلة المجمع الفقهي الإسلامي*, ٢٠٣/٣-٢٠٥. المجمع الفقه الاسلامي, "موقع المجمع الفقه الاسلامي *ar.themwl.org*, "د.ت, ١.

6.2.3. هيئة العلماء المسلمين

(إن هيئة العلماء المسلمين هي إحدى الهيئات البارزة التابعة لرابطة العالم الإسلامي، وقد تأسست تنفيذًا لقرار المؤتمر الإسلامي العام الرابع المنعقد في مكة المكرمة عام 1423هـ، لتكون مرجعية عليا لعلماء الأمة الإسلامية. مقرها الرئيس في مكة المكرمة، وتضم نخبة من كبار العلماء من مختلف أنحاء العالم، بهدف توحيد كلمتهم، وتعزيز مكانتهم، وتحقيق وحدة الأمة الإسلامية.

تقوم الهيئة على رؤية واضحة، وهي أن يكون العلماء مرجعية موحدة للأمة، ورسالتها تتمثل في توحيد جهودهم، وتعزيز مكانتهم، وجمع كلمة الأمة، والحفاظ على هويتها، وبيان سماحة الإسلام ووسطيته، إلى جانب التصدي للتحديات الفكرية والتيارات المنحرفة، وبناء الشراكات الاستراتيجية التي تخدم قضايا المسلمين.

وتتلخص أبرز أهدافها في:

- توحيد مواقف العلماء في القضايا الإسلامية والدولية الكبرى.
- الحفاظ على هوية الأمة الإسلامية وتحقيق وحدتها من خلال الخطاب المعتدل والتعاون.
- تعزيز مكانة العلماء والدفاع عن حقوقهم وتوثيق الصلة بينهم.
- حل النزاعات والخلافات بين المسلمين بالوسائل الشرعية.
- مواجهة الأفكار المنحرفة والتيارات المتطرفة التي تمزق وحدة الأمة.
- الدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين عالميًا.

وتعمل الهيئة لتحقيق أهدافها من خلال وسائل متعددة، أبرزها:

- إقامة المؤتمرات والملتقيات والندوات العلمية التي تجمع العلماء من مختلف البلدان والمذاهب لتدارس قضايا الأمة.
- المشاركة الفاعلة في المؤتمرات الدولية والإسلامية التي تخدم قضايا المسلمين.
- إقامة ورش العمل والدورات العلمية لتأهيل القيادات الدينية والفكرية على المنهج الوسطي.

- تنظيم زيارات تفقدية وتواصل مباشر مع العلماء والمؤسسات في أنحاء العالم الإسلامي لتعزيز الروابط والتنسيق.
- إعداد المواثيق والبيانات والفتاوى التي تُعالج القضايا المعاصرة وتوحّد الموقف الشرعي تجاهها.
- إصدار المطبوعات والدراسات العلمية التي ترسّخ الوسطية وتواجه الانحرافات الفكرية)[1].

تلك الجهود تسهم في تعزيز وحدة الأمة عبر توحيد مواقف العلماء، ونشر خطاب الاعتدال، وبناء جسور التعاون والتفاهم بين المسلمين وخصوصا بين علماء المسلمين في شتى بقاع الأرض، ولا شك أن وحدة العلماء تعدّ الأساس لوحدة الأمة؛ لأن العلماء هم قادة الفكر وموجهو الرأي العام، وإصلاح الأمة يبدأ بإصلاح علمائها وحكامها. فإذا توحد العلماء في كلمتهم واجتمعوا على المنهج الحق، تحقق للأمة التكامل والوئام، والعلماء هم ورثة الأنبياء، ومتى صلحوا صلحت الأمة وتماسكت.

6.2.4. مؤتمر الوحدة الإسلامية، مخاطر التصنيف والاقصاء

من أبرز الجهود المؤسسية المعاصرة التي جسّدت السعي العملي نحو وحدة الأمة الإسلامية، انعقاد مؤتمر "الوحدة الإسلامية، مخاطر التصنيف والإقصاء"، والذي عُقد في مكة المكرمة، مهبط الوحي وقبلة المسلمين، بتنظيم من رابطة العالم الإسلامي، وجمع فيه أكثر من 1200 مفتٍ وعالم من 127 دولة، يمثلون 28 مذهباً وطائفة إسلامية، في لقاءٍ تاريخي غير مسبوق من حيث التنوّع والتوافق[2].

---

(1) ينظر: رابطة العالم الاسلامي, "موقع هيئة علماء المسلمين) *iomsmwl.org* ,"٢٠٢٥/٠٧/١٨ ,(١. -موقع الهيئة في التاريخ المذكور كان تحت الصيانة-. رابطة العالم الاسلامي, "موقع رابطة العالم الاسلامي ," https://themwl.org/ar/node/34229.

(2) ينظر: رابطة العالم الاسلامي, "موقع رابطة العالم الاسلامي.https://themwl.org/ps/node/35975 ,"

وقد كان هذا المؤتمر خطوة شجاعة باتجاه معالجة الانقسامات داخل الأمة، وتعزيز الحوار والتفاهم بين مكوناتها، ورسم خريطة طريق واقعية وعملية نحو الوحدة الإسلامية، من خلال مناقشة التحديات الفكرية، وتفنيد ممارسات الإقصاء والتصنيف، ومواجهة الطائفية والتعصب.

وقد أثنى المشاركون من مختلف المذاهب والبلدان على روح المؤتمر الجامعة، ومكان انعقاده المبارك، وصرّح عدد منهم بأنّ مكة المكرمة – بحكم رمزيتها الدينية – تمثل نقطة التقاء جامعة لكل الأمة، وأن هذا اللقاء يؤسس لمنهجية جديدة في تقريب وجهات النظر وتجاوز الخلافات التاريخية والمذهبية للوصول إلى وحدة ممكنة للإمة الاسلامية.

ونورد فيما يلي بعضًا من مقتطفات كلمات المشاركين التي عكست روح الوحدة والاعتدال:

قال عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية: ["على المسلمين الالتزام بدينهم الذي أزال جميع الفوارق بين البشر، وألغى جميع أنواع التمييز على أساس اللون، أو العرق، أو اللسان، أو القبيلة"، و"يحذر المسلمين من الاختلاف والتناحر والانقسامات والتحزبات التي فرقت بين المسلمين وباعدت بينهم وقضت على معاني الأخوة والمودة والرحمة بينهم".

وقال علي الأمين المرجع الشيعي اللبناني: " أبرز معوقات الوحدة الإسلامية هو ما يقع من تنافس سياسي على أساس طائفي، ومذهبي"

وقال مفتي عام موريتانيا أحمد المرابط: " من أهم مظاهر الوسطية التعامل الإيجابي مع ولاة الأمر، كعدم الخروج عليهم وإن جاروا، وعدم الدعاء عليهم"

وقال فيه شوقي إبراهيم علّام مفتي جمهورية مصر العربية: " الخطر ليس في الاختلاف وحده، مادام ناتجا عن اجتهاد ونظر، إنما الخطر الحقيقي في ظاهرة الاقصاء والحكم على الآخر بالكفر والمنابذة".

وقال صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب في المسجد الحرام والمستشار في الديوان الملكي السعودي: " الوحدة الإسلامية لا تعني الاندماج، بل تعني التعايش والانسجام"

وقال رئيس مجلس علماء العراق محمود بن عبد العزيز العاني: " علماء الأمة يحيون مبدأ من أهم مبادئ الإسلام الذي عو مقدم حتى على تعلم القرآن وقراءته حيث قال النبي ﷺ: «اقرؤوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه»[1] "

وإن هذا المؤتمر من النماذج العملية الملموسة لكيفية تفعيل النصوص الشرعية الداعية للوحدة عبر جهود مؤسساتية لتُحقق مقاصد الدين في جمع كلمة المسلمين، ونبذ النزاعات][2] .

ومن أهم مخرجات هذا المؤتمر وثيقة مكة المكرمة والتي تُعد بمثابة ميثاق إسلامي معاصر، ومرجعية أخلاقية وفكرية عالمية، تُجدد مضامين الأخوة الإسلامية، وتُرسخ مبادئ التعايش والوسطية ونبذ التطرف والخلاف، وقد جاءت الوثيقة في ٢٩ بندًا، أكّدت فيها المبادئ الكبرى التي يمكن أن تجتمع عليها الأمة الإسلامية، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الدول.

ومن أهم مضامين الوثيقة [3]:

- التأكيد على أصالة الانتماء للإسلام بوصفه هوية جامعة لا تُلغِي الانتماءات القُطرية أو الثقافية، وإنما تضبطها وتوجهها نحو التكامل والتعاون.
- الدعوة إلى ترسيخ الأخوة الإسلامية والإنسانية، ونبذ التصنيف والإقصاء، والتحذير من خطاب الكراهية والطائفية والعنصرية.
- التشديد على حماية دور العبادة واحترام الخصوصيات الدينية لجميع المكونات.
- التذكير بأهمية احترام النظم والقوانين في الدول التي يقيم فيها المسلمون، والالتزام بفقه المواطنة.

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٤٧٧٣، ١٩٢٩/٤.

(2) ينظر: المؤتمر منشور على قناة رابطة العالم الإسلامي على صفحة يوتيوب ,"youtube.com/@mwlorg" إشراف Muslim World League رابطة العالم الإسلامي.

(3) ينظر: وثيقة مكة المكرمة، رابطة العالم الاسلامي, "موقع رابطة العالم الاسلامي ," /themwl.org/ar/chartermakkah.

- العمل على تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، والانفتاح على الثقافات الأخرى في إطار القيم الإسلامية.
- الالتزام بـ احترام العلماء وتوحيد الكلمة الشرعية، وتحقيق المقاصد الكبرى للدين في العدل والرحمة والتسامح.

وبهذا يتبيّن أن رابطة العالم الإسلامي، من خلال مؤسساتها وهيئاتها المتنوعة، تُعد من أبرز الجهود المؤسسية المعاصرة التي تسعى لتحقيق وحدة الأمة الإسلامية وردم الفجوات بين مكوناتها العقدية والمذهبية والفكرية. فقد عملت الرابطة، عبر المجمع الفقهي الإسلامي، وهيئة علماء المسلمين، ومؤتمر وثيقة مكة المكرمة، على جمع الكلمة، وتعزيز التفاهم، وترسيخ قيم الوسطية والاعتدال، والوقوف أمام دعوات الفرقة والتكفير والإقصاء. وتؤكد هذه الجهود المؤسسية، بدعم من النصوص الشرعية وروح الإسلام الجامعة، أن العمل الجماعي والتعاون المؤسسي في خدمة قضايا الأمة ووحدتها من الوسائل الفاعلة في مواجهة تحديات العصر، وتحقيق مقاصد الشريعة في التآلف وجمع الشمل.

6.3.الأزهر الشريف

يُعد الأزهر الشريف من أعرق المؤسسات، والهيئات العلمية والدينية في العالم الإسلامي، وقد مثّل منذ أكثر من ألف عام منارةً للعلم الشرعي، ومركزًا لتخريج العلماء والدعاة، ومؤسسةً رائدة في الدفاع عن وسطية الإسلام ووحدة الأمة. وقد حمل الأزهر عبر العصور رسالةً سامية تجمع بين التعليم الديني الرصين، والاجتهاد العلمي المنضبط، والدعوة إلى وحدة الصف، فكان له أثر بالغ في مقاومة عوامل الفرقة والانقسام، سواء على الصعيد العقدي أو المذهبي أو السياسي.

وقد تبنّى الأزهر منهج الاعتدال والتقريب بين المذاهب الإسلامية، وحث على نبذ التعصب والانغلاق، داعيًا إلى احترام الاجتهادات المعتبرة في الفقه الإسلامي، والاعتراف بالتنوع الفقهي المنضبط الذي لا يقدح في وحدة الدين ولا يُخرج عن جماعة المسلمين. كما سعى الأزهر عبر مجمع البحوث الإسلامية، ودار الإفتاء المصرية، ومركز الحوار بالأزهر، إلى ترسيخ مبادئ التفاهم والتسامح بين المسلمين، ومعالجة أسباب الخلاف، ومقاومة التطرف والتكفير، والدعوة إلى وحدة الكلمة بين علماء الأمة.

وكان للأزهر أيضًا دور بارز في الدعوة إلى وحدة الصف الإسلامي في المؤتمرات والمحافل الدولية، وعبر مبادرات التقريب بين الشعوب الإسلامية، والتعاون مع المجامع الفقهية والمؤسسات الإسلامية الكبرى كمنظمة التعاون الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي، فكان صوتًا عقلانيًّا موثوقًا ينادي بجمع الكلمة ولمّ الشمل، والتصدي لمشاريع التشرذم الطائفي والسياسي والثقافي.

وفي الحقيقة دور الأزهر في توحيد الأمة لا يقتصر على الجانب الدعوي أو الفقهي فقط، بل يشمل أيضًا التأثير الشعبي والثقافي، حيث يحظى الأزهر بثقة واسعة في العالم الإسلامي، ما يجعله ركيزة أساسية من ركائز الاستقرار الروحي والفكري للأمة، ويمنحه أهلية القيادة في زمن الاستقطاب والتنازع، لكثير من المسلمين ومن هنا، فإن دعم مؤسسات الأزهر وتعزيز مكانته لابد أن يكون من أولويات العمل الوحدوي في العالم الإسلامي.

من المؤسسات، والأعمال التابعة لأزهر الشريف المؤثرة في توحيد المسلمين، مجمع البحوث الإسلامية، وهيئة كبار العلماء، وجامع الأزهر، ومجلة الأزهر، وغيرها

أما مجمع البحوث الإسلامية فيُعد أحد أبرز المؤسسات العلمية التابعة للأزهر الشريف، وقد أُنشئ بقرار من الدولة المصرية عام 1961م بموجب القانون رقم (103) بشأن إعادة تنظيم الأزهر، ليكون الهيئة العليا في الأزهر المختصة ببيان الرأي الإسلامي في القضايا العامة، ونشر الفكر الوسطي، ومواجهة الانحرافات الفكرية، وتعزيز التواصل بين العلماء وعموم المسلمين[1] .

وركّز في تأسيسه على محاور رئيسة من أبرزها:

1. تقريب المذاهب الإسلامية: حيث لا يقتصر المجمع على مذهب فقهي واحد، بل يتناول القضايا من منظور فقه مقارن، ويراعي الخلاف المعتبر بين المذاهب، ويعرض الفتوى ببيان الراجح دون تعصب، ما يعزّز من روح التآلف بين المسلمين.

(1) ينظر: الجريدة الرسمية-العدد: ١٥٣، في ١٠ يوليه ١٩٦١.

2. مواجهة دعاوى التكفير والتفريق: وقد أصدر المجمع عشرات البيانات والردود التي تؤكد على حرمة تكفير المسلم بغير برهان شرعي، وضرورة التثبت في إطلاق الأحكام، وبيان أن التمايز الفقهي لا يُعد سببًا للتباغض أو الانقسام.

3. نشر ثقافة الحوار والاعتدال: من خلال الندوات، والدورات التدريبية للأئمة والدعاة، والمشاركة في المؤتمرات الإسلامية الدولية، حيث يسهم المجمع بدور فعّال في محاربة الغلو، وتثبيت منهج الوسطية الذي هو صمام أمان لوحدة الأمة.

4. الفتاوى العامة والموسعة: حيث يعالج المجمع القضايا الكبرى التي تهم العالم الإسلامي بمجموعه، مثل قضايا التكفير، والعنف، والانتماءات الفكرية، والتعامل مع غير المسلمين، والسياسة الشرعية، وكلها تنطلق من رؤية واحدة تجمع بين النص والفهم المقاصدي المنضبط.

وأما وهيئة كبار العلماء، وجامع الأزهر، ومجلة الأزهر، وغيرها، ولا تقتصر جهود المؤسسات العلمية في العالم الإسلامي على الجانب الرسمي والتنظيمي فقط، بل تمتد أيضًا إلى الملتقيات الفكرية والندوات العلمية التي تسعى إلى ترسيخ مبدأ الوحدة بين المسلمين، وتفنيد أسباب التفرق والانقسام، ومن أبرز هذه الملتقيات ملتقى الأزهر الشريف لقضايا إسلامية معاصرة، الذي عُقد بعنوان: "وحدة الأمة الإسلامية ضرورة حتمية لمواجهة التحديات الراهنة".

وقد أكّد الدكتور عباس شومان -وكيل الأزهر السابق- في كلمته خلال هذا الملتقى (أن وحدة الأمة الإسلامية ضرورة حتمية لا غنى عنها، مشيرًا إلى أن الأمة تمتلك من المقومات ما يجعلها كيانًا عالميًّا متماسكًا، غير أن تحقيق ذلك يتطلب التكامل بين الدول الإسلامية لا الاندماج القسري غير الواقعي. ودعا إلى استثمار الموارد المالية للدول الغنية في دعم طاقات الدول الإسلامية الأخرى، بما يحقق النهضة الشاملة المشتركة.

كما شدّد على أن الأزهر الشريف كان ولا يزال رائدًا في تعزيز الحوار الإسلامي - الإسلامي، مشيرًا إلى مؤتمرات جمع فيها علماء من مختلف المذاهب الإسلامية تحت راية واحدة.

وفي ذات السياق، بيّن الدكتور محمود الهواري -الأمين المساعد لمجمع البحوث الإسلامية- أن وحدة الأمة ليست مجرد فكرة نظرية، بل التزام عملي ينبغي تحقيقه في الواقع، لافتًا إلى أن

التحديات التي تواجهها الأمة اليوم ليست سياسية واقتصادية فقط، بل تحديات فكرية تحتاج إلى إعادة فهم أصول الوحدة على ضوء تعاليم الإسلام الصحيحة.

وأشار إلى أن القرآن الكريم قرر وحدة الأمة بوضوح، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، مؤكداً أن النبي ﷺ لم يجعل الوحدة خطابًا نظريًّا بل جسّدها واقعًا، حين أزال الفوارق بين القبائل والأعراق، ووحّد صف الأمة على أساس العقيدة لا العصبية.

وخلص الملتقى إلى أن تعزيز وعي الأمة بوحدة المصير الإسلامي وتجاوز الخلافات المفتعلة، هو السبيل الأنجح لمواجهة التحديات والمخاطر التي تترصد بها من الداخل والخارج، مما يجعل من هذه الملتقيات محطات فكرية وعلمية مهمة في جهود لمّ شمل الأمة الإسلامية وتحقيق وحدتها الشرعية)[1].

يتبيَّن من خلال ما سبق أن الأزهر الشريف بما أن عليه مسؤولية كبرى تجاه الأمة لمكانته بين المسلمين، قد اضطلع بدورٍ محوري في دعم وحدة الأمة الإسلامية، انطلاقًا من رسالته العالمية التي رسّخها عبر قرون، مستندًا في ذلك إلى مرجعيته العلمية والروحية ومكانته المرموقة بين مؤسسات العالم الإسلامي. فقد سعى الأزهر، عبر مؤتمراته وملتقياته الفكرية وبيانات علمائه، إلى تعزيز ثقافة التآلف والاعتدال، وإحياء روح الأخوة الإسلامية، ومواجهة التيارات التي تغذي التفرقة والنزاع بين المسلمين.

مع هذا وإن كان للأزهر جهود مشكورة في هذا الباب، فإن الحاجة ماسة إلى أن يتضاعف اهتمامه بهذا الموضوع المفصلي، وأن يُدرج ضمن أولوياته الكبرى، لما له من أثر في بناء وعي الأمة وتوجيهها نحو مقاصد الإسلام العليا، وفي مقدمتها جمع الكلمة وتوحيد الصف وتحقيق العزة والنهضة الحضارية للمسلمين.

---

(1) ينظر: ملخص الملتقى على الصفحة الرسمية لموقع الأزهر، الأزهر الشويف , "https://www.azhar.eg/scholars/details/ArtMID/9658/ArticleID/91265",د.ت. والملتقى منشور على صفحتهم على اليوتيوب

6.4.المؤتمرات والمجالس المشتركة بين العلماء والدعاة

بعد أن تمّ في المباحث السابقة التعريف بأشهر المؤسسات والهيئات العاملة في العالم الإسلامي، وبيان بعض جهودها المؤسسية في خدمة وحدة الأمة وتوجيهها نحو الاجتماع على كلمة سواء، لا سيما ما يتعلّق بالجهات الكبرى الرسمية ذات الصفة الدولية، كمنظمة التعاون الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي الدولي، ورابطة العالم الإسلامي، والأزهر الشريف، وما يتبعها من مؤسسات ومجامع علمية ومبادرات موثقة، فقد تبيّن لنا أن لهذه الجهات أثراً بالغاً في التأثير على واقع الأمة من حيث رسم السياسات العامة، والدعوة إلى التضامن، وتحقيق الحد الأدنى من التفاهم والائتلاف.

وفي هذا المبحث، فإنّ التركيز سينصب على صورة أخرى من صور الجهود المخلصة لتوحيد الأمة، ألا وهي: المؤتمرات والمجالس المشتركة بين العلماء والدعاة، التي تُعقد خارج الإطار الرسمي للمؤسسات سالفة الذكر، لكنها تمثّل منابر حوارية وفكرية مؤثرة، ذات طابع جماهيري وفكري، وقد يكون لها أثر مباشر في التقريب بين طوائف المسلمين ومذاهبهم المتعددة. وهذه المؤتمرات غالبًا ما تُبادر إليها هيئات مستقلة أو تكتلات فكرية أو علمية، أو حتى أفراد من أهل الخير والصلاح.

ولا شك أن هذا الجهد داخل في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، فالتعاون في هذا السياق إنما هو من أوسع أبواب البر، وأعظم ما يُرجى منه صلاح الأمة، ورفع الجهل عنها، وردها إلى مظلة الأخوة الجامعة. وفي هذا السياق، نستعرض أبرز هذه المؤتمرات ذات الأثر، ونجتهد في تقويم أثرها ومدى تأثيرها العملي في تقريب الصف الإسلامي وجمع الكلمة.

6.4.1. مؤتمر الحوار الإسلامي

هذا المؤتمر انعقد في مدينة المنامة بمملكة البحرين في ١٩ و٢٠ فبراير لعام -٢٠٢٥- يُعد من أبرز المؤتمرات الفكرية المعاصرة التي سعت إلى دعم وحدة الأمة الإسلامية، وتعزيز أواصر الأخوة بين مكوناتها العقدية والمذهبية والفكرية، وقد انعقد المؤتمر برعاية ملكية، وحضور نخبة من علماء الأمة ومفكريها من مختلف الدول والمذاهب، تحت إشراف الأزهر الشريف ومجلس حكماء المسلمين.

وقد أكد المشاركون في بيانهم الختامي على أن "وحدة الأمة عهد وميثاق"، وأن التفاهم والتعاون على تحقيق مقتضيات الأخوة الإسلامية واجب شرعي عام. وأوضح البيان أن الحوار الإسلامي المنشود لا يهدف إلى نقاش العقائد أو حمل أحد على ترك مذهبه، بل هو حوار تفاهم وتكامل، يستند إلى عناصر الوحدة الجامعة، ويهدف إلى مواجهة التحديات المعاصرة تحت مظلة الإسلام.

وقد دعا المؤتمر إلى تعزيز التعاون بين المرجعيات العلمية والدينية والإعلامية لمجابهة خطاب الحقد والكراهية، مشددًا على وجوب نبذ لعن الرموز الدينية، ومؤكدًا أن كل الطوائف والمذاهب يقع في تراثها اجتهادات قابلة للنقد والمراجعة، وأن الواجب هو بيان الخطأ دون إساءة أو إقصاء، تأسّيًا بما درج عليه أئمة الإسلام المتقدمون من إنصاف وعدل.

كما أكد المشاركون أهمية التوحد حول القضايا الكبرى للأمة الإسلامية، وعلى رأسها قضية فلسطين، ومواجهة الاحتلال، والفقر، والتطرف، واعتبروا أن العمل المشترك في هذه الميادين سبيل فاعل لذوبان الخلافات، وتفعيل قيم التعاون والتكافل. وأوصى المؤتمر بضرورة الانتقال بالوحدة من كونها شعارًا إلى كونها منظومة مؤسسية تتغلغل في المناهج التعليمية، والمنابر الدعوية، والبرامج الإعلامية.

وأطلق المؤتمر في ختامه نداءً بعنوان (نداء أهل القبلة)، يدعو إلى صياغة خطاب دعوي جامع تنهل منه المدارس الإسلامية، وتلتف حوله المؤسسات الدينية تحت شعار: "أمة واحدة ومصير مشترك". كما أوصى بتأسيس رابطة الحوار الإسلامي تحت إشراف مجلس حكماء المسلمين، تعنى بفتح قنوات التواصل بين مكونات الأمة، وتعمل على إزالة الصور النمطية، وتصحيح المفاهيم، وتفعيل الحوار الهادف، لا سيما بين الشباب، وفي دول الاغتراب.

وقد أعلنت الأمانة العامة لمجلس حكماء المسلمين عن مباشرتها خطوات تشكيل لجنة مشتركة للحوار الإسلامي، والعمل على التحضير لانعقاد الدورة القادمة من هذا المؤتمر بالقاهرة، استجابةً لما أعلنه شيخ الأزهر الشريف في كلمته الختامية، تأكيدًا على مركزية هذا المشروع في تحقيق وحدة الأمة وتماسكها.

6.4.2. مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية -بحرين ٢٠٢٣-

ضمن الجهود المعاصرة الساعية إلى رأب الصدع بين المسلمين، وتعزيز ثقافة التفاهم والوحدة، انعقد في مملكة البحرين عام 2023م مؤتمر مهمٌّ للتقريب بين المذاهب الإسلامية، بمشاركة أكثر من ثلاثمائة (300) من العلماء والمفكرين من أربعين (40) دولة، مثَّلوا مختلف المذاهب والمدارس الإسلامية، إلى جانب ممثلين عن مؤسسات إسلامية كبرى. وقد تميز هذا المؤتمر بطبيعته الجامعة، وشموله لمختلف الاتجاهات، وتقديمه نموذجًا راقيًا للحوار العلمي والاحترام المتبادل.

لقد عكست استضافة مملكة البحرين لهذا المؤتمر دلالة رمزية مهمة، لما تمثله المملكة من تركيبة سكانية متنوّعة، حيث يتعايش أتباع المذاهب والخلفيات المختلفة في بيئة من التفاهم والتسامح، ما جعل منها نموذجًا حيًّا للتعدد المنضبط في إطار الوحدة الإسلامية الجامعة، وقد تمحورت أهداف المؤتمر حول تأكيد حقيقة أن التباين المذهبي لا ينبغي أن يكون مدخلًا للنزاع أو سببًا للفرقة، بل وسيلة لإثراء الفكر الإسلامي وتوسيع مداركه، من خلال الاجتهاد والتنوع العلمي الراشد.

وقد أكد المشاركون على أن الإسلام، وإن اختلفت مذاهبه ومدارسه، إلا أنه متفق في أصوله وثوابته الكبرى، وأن هذا التعدد التاريخي ما هو إلا نتاج طبيعي لاجتهاد العلماء في استنباط الأحكام، وهو مما يُثري الشريعة ويزيدها مرونةً وصلاحيةً لمواجهة تحديات الواقع. وقد دعت كلمات العلماء والمداخلات العلمية في المؤتمر إلى تجاوز آثار الخلافات التاريخية، ومخلفات التعصب الموروث، والنظر بعين المقاصد إلى وحدة الأمة ومصيرها المشترك.

ومن أبرز ما صدر عن هذا المؤتمر من توصيات:

- الدعوة إلى تعزيز مفاهيم الاحترام المتبادل بين العلماء وأتباع المذاهب الإسلامية المختلفة، والامتناع عن الإساءة إلى الرموز والشخصيات الدينية.
- التأكيد على ضرورة تجديد الخطاب الإسلامي، بما يتسم بالوسطية والتوازن، ويواكب تطورات العصر ويواجه التحديات الفكرية والحضارية التي تتعرض لها الأمة.
- التأكيد على أهمية دور المؤسسات الدعوية، والعلماء، ووسائل الإعلام في تعزيز هذا النهج، وبناء خطاب تربوي هادف يحصّن الأجيال من الغلو والتعصب.

- إبراز التباين الفقهي كرافد للتنوع والنماء لا للفرقة والانقسام، وترسيخ الانتماء إلى الأمة الواحدة بدلًا من التعصب للمذهب أو الطائفة.

6.4.3. المؤتمر الدولي للوحدة الإسلامية – طهران

يُعد مؤتمر "الحوار بين المذاهب الإسلامية"، الذي يعقده المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية [1] في العاصمة الإيرانية طهران، من أبرز الملتقيات العلمية والفكرية المعاصرة المهتمة بتعزيز وحدة الأمة الإسلامية وتقريب وجهات النظر بين علمائها ومذاهبها. وقد دأب المجمع على تنظيم هذا المؤتمر سنويًّا في مناسبة أسبوع الوحدة، الذي يبدأ من الثاني عشر إلى السابع عشر من ربيع الأول من كل عام هجري، تخليدًا لمولد النبي ﷺ، وتأكيدًا على أن ما يجمع المسلمين أعظم وأبقى مما يفرقهم.

ويشارك في المؤتمر جمعٌ من العلماء والمفكرين والدعاة من مختلف دول العالم الإسلامي، يمثلون مذاهب متعددة، منها السني والجعفري والزيدي والإباضي وغيرها، ليجتمعوا على طاولة واحدة للحوار والنقاش وتبادل الرأي. ويأتي انعقاد هذا المؤتمر إدراكًا لحجم التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وضرورة التصدي لموجات الفرقة والاحتراب المذهبي التي تستهدف النسيج الإسلامي الواحد.

وتدور أهداف المؤتمر التي هي أهداف المجمع المؤسس حول ما يلي[2] :

1. إحياء الثقافة الإسلامية الأصيلة، وتعزيز نشر المعرفة المستمدة من الكتاب والسنة، والدفاع عن حرمة النصوص الشرعية من عبث التأويل أو الهجوم المتعمد.
2. تعزيز أواصر الألفة والتفاهم بين العلماء والمفكرين والقادة الدينيين من مختلف أقطار العالم الإسلامي، في مجالات العقيدة والفقه والاجتماع والسياسة، بما يعزز البناء المشترك ويقلل من مواطن التصادم.

---

(1) هو هيئة علمية إيرانية يهدف إلى محاولة التوفيق بين المذاهب الإسلامية وتقريب الآراء المختلفة، وقد أسس في عام ١٩٩٠. [المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية, "taqrib.ir/ar" ,د.ت.]

(2) ينظر: المؤتمر الدولى للوحدة الاسلامية, "iuc.taqrib.ir/" ,د.ت.

3. غرس ثقافة التقريب والاعتدال بين مفكري الأمة الإسلامية، وتمكينها من الوصول إلى الجماهير المسلمة، مع رفع مستوى الوعي بالمؤامرات التي تحاك ضد وحدة المسلمين من أعداء الدين، إعلاميًا وثقافيًا وسياسيًا.
4. إزالة أسباب التوجس والشك المتبادل بين أتباع المذاهب الإسلامية، وبناء جسور من الثقة والتفاهم تُسهم في رأب الصدع التاريخي وتقريب النفوس قبل الأقوال.
5. ترسيخ منهجية الاجتهاد والانفتاح العلمي في أوساط المدارس الفقهية والمذاهب الإسلامية، لتكون ساحة الخلاف مجالًا رحبًا للاجتهاد، لا سببًا للفرقة أو الإقصاء.
6. السعي نحو تشكيل موقف إسلامي موحد في مواجهة الحملات الفكرية والثقافية التي تستهدف الإسلام وأهله، من خلال التنسيق بين العلماء، والوقوف صفًا واحدًا على أساس المبادئ الجامعة التي أقرها الشرع.

ويُعد هذا المؤتمر، بما يشمله من حوارات ونقاشات علمية هادئة، جهدًا مؤسسيًّا معتبرًا في طريق وحدة الأمة الإسلامية، إذ يسعى إلى وضع الخلافات في موضعها الصحيح، ويؤسس لأرضية مشتركة من الاحترام والتعاون بين العلماء والمذاهب، خصوصا بين السنة والشيعة.

وختاما مع ما ذُكر من جهودٍ مؤسسية ومؤتمراتٍ مشتركة تُعنى بشأن الوحدة الإسلامية، إلا أن التأثير العملي الملموس لتلك المبادرات لا يزال دون المستوى المأمول. ولعلّ من أبرز أسباب هذا القصور غياب جهةٍ دوليةٍ ملزمةٍ تُشرف على تنفيذ القرارات والتوصيات، بما يمنحها القوة والفاعلية. كما أن غموض الهدف النهائي، وعدم تحديد غايةٍ قابلة للتحقيق كـ"الوحدة السياسية الممكنة"، يجعل كثيرًا من هذه الجهود تدور في إطارٍ نظريٍ فضفاض، دون إطارٍ تنفيذيٍ واقعيٍ تُحاسَب عليه الجهات ذات الصلة. ومن هنا، فإن من الأهمية بمكان أن يُعاد النظر في صياغة الأهداف المرحلية والمقاصد العملية التي يمكن بلوغها، تحت إشراف جهات معتبرة ذات سلطة واحترام بين أطياف الأمة.

ومع ذلك، فلا ينبغي التقليل من قيمة هذه اللقاءات والندوات والحوارات، إذ تبقى -وإن كانت محدودة الأثر- أداةً مهمة في إبقاء الوعي بوحدة الأمة حيًا، ووسيلةً لفتح جسور التواصل بين العلماء

والمفكرين، مما يُهيئ بيئة فكرية واجتماعية مهيأة ليومٍ تُثمر فيه هذه الجهود بوحدةٍ أقرب وأعمق، تحقق مقاصد الشرع وتجمع شتات المسلمين.

7. الجهود الإعلامية في تحقيق وحدة الأمة

نتناول في هذا الباب أثر الإعلام الإسلامي، والقنوات والوسائل الإعلامية، ودوره في صناعة الوعي الجماعي وتوجيه الخطاب العام نحو الوحدة، خصوصًا في زمن تُستخدم فيه الوسائل الإعلامية بقوة في بث التفرقة وتشويه ثوابت الإسلام.

ففي هذا الباب نتأكد على أهمية دور الإعلام في جمع الكلمة وتوحيد الصف، من خلال استعراض وظائفه المتعددة، وأساليبه المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وتأثيره المباشر في مواجهة التحديات الفكرية والثقافية المعاصرة. ويسعى هذا الفصل إلى إبراز أهمية الإعلام في نشر الحكمة والموعظة الحسنة، ومواجهة دعوات الفرقة والتنازع، ليكون الإعلام جسراً فاعلًا نحو الوحدة، وأداة لتحقيق مقاصد الشريعة في التآخي والتعاون، والتكامل والتضامن بين أبناء الأمة الواحدة.

7.1.أهمية وسائل الإعلام

لقد أصبح الإعلام في هذا العصر أحد أقوى الوسائل في التأثير على الرأي العام، وتشكيل توجهات المجتمعات، بل وتغيير قناعات الأمم وصياغة ثقافاتها، ولم يعد يخفى على ذي بصيرة أن ما لم تستطع كثير من القوى تحقيقه بالمدافع والدبابات، حققته بأدوات الإعلام الموجه والمحمَّل بأجندات فكرية وثقافية، تغزو العقول وتعبث بالقيم وتعيد تشكيل الوعي الجمعي على غير هدى، وقد ذكر في مدى أهمية الإعلام أنه "لو بعث المسيح -عليه الصلاة والسلام- من جديد لاختار لنفسه أن يكون صحفيا" [1].

وإذا كان الإعلام قد صار سلاحًا حاضرًا في كل ميدان، فإن من واجب المسلمين أن يُدركوا حجم هذا التحدي، لا سيما وهم أمة ذات رسالة، تواجه تيارات التشويه والتفرقة والطعن في ثوابتها، وتتعرض محاولاتُ وحدتها المستندة إلى عقيدة واحدة وشريعة ربانية للتقويض المستمر، من خلال خطاب إعلامي عالمي يسعى إلى تشويه صورة الإسلام، وإبراز خلافات المسلمين، وتأجيج الصراعات المذهبية والسياسية فيما بينهم.

---

(1) عبد اللطيف حمزة, *الإعلام في صدر الإسلام* (القاهرة: دار الفكر العربي, د. ت), ١٤.

ومن المؤسف حقًّا أن يُلاحظ تأخر الأمة الإسلامية في هذا الميدان، رغم كثرة عدد أفرادها، وتنوع قدراتها، وعمق حاجتها إلى إعلامٍ رشيد يكون ذراعًا فاعلًا في بناء وعي جماعي وحدوي، ويُسهم في ترسيخ القيم الإسلامية الجامعة، بل إن أكثر مؤسساتها الإعلامية لم تُحسن حتى توظيف الوسائل الموجودة، فضلًا عن أن تكون رائدة في التطوير والابتكار كما هو حال الطرف المقابل، الذي يسعى جاهدًا لإتقان كل وسيلة إعلامية ممكنة، وتسخيرها لخدمة مصالحه ونشر أفكاره، والتأثير في وعي المسلمين وبلبلة صفوفهم.

7.1.1. تعريف وسائل الإعلام ووظائفها

يُعدّ الإعلام أداةً اتصاليةً مؤثّرةً في المجتمع، تعمل على توجيه المعلومة، أو السلوك وتشكيل المواقف، ويهدف هذا المبحث إلى تعريف وسائل الإعلام لغةً واصطلاحًا، وبيان وظائفها في نشر المعلومات الصحيحة، وتعزيز وحدة الصف، مستندين في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ [القصص: ٥١]، الذي قال فيه الطبري: " ولقد وصلنا يا محمد لقومك من قريش ولليهود من بنى إسرائيل القول بأخبار الماضين، والنبأ عما أحللنا بهم من بأسنا، إذ كذبوا رسلنا، وعما نحن فاعلون بمن اقتفى آثارهم، واحتذى في الكفر بالله وتكذيب رسله مثالهم"[1]، ويسعى هذا المبحث إلى إبراز أهمية الإعلام كقناة تواصل جماهيري: مقروءٍ، ومسموعٍ، ومرئيٍّ، يمكن تسخيرها لجمع الكلمة، وتحقيق التآلف بين المسلمين، والوصول إلى مقاصد الشريعة في الإصلاح والتضامن.

7.1.1.1. تعريف الإعلام

أولا: لغةً:

ورد في لسان العرب: ("عَلِمَ وتفقَّه"، أي تعلّم وتفقَّه، و"تَعَالَمَهُ القوم" أي عَلَّمُوهُ. ويُقال: "استعلم لي خبر فلان"، و"أعلمتنيه"، وجاء في القرآن الكريم: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]) [2].

---

(1) الطبري, *تفسير الطبري*, ٢٧٣/١٨-٢٧٤.

(2) ابن منظور, *لسان العرب*, ٤١٧/١٢.

وجاء في القاموس المحيط: "علِمه كسمعه علمًا وعرفه... وأعلمه إياه فتعلمه "[1]، و"أَعْلَمْتُهُ وعَلَّمْتُهُ في الأصل واحد، إلا أن التعليم يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل أثره في النفس، بخلاف الإعلام فهو تبليغ سريع"[2].

وقد استُخدم الإعلام بمعنى التوصيل، والإيصال، والتبليغ والإبلاغ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ [القصص: ٥١]، أي أبلغناهم إياه وبلّغناه [3].

ثانيا: اصطلاحًا:

تعددت التعريفات الاصطلاحية، من أبرزها:

- عرف بأنه "كافة أوجه النشاط الاتصالي التي تستهدف تزويد الجماهير بالحقائق والمعلومات السليمة حول القضايا والموضوعات، بطريقة موضوعية"[4].
- وقيل إنه "تزويد الجمهور بالمعلومات الصحيحة أو الحقائق الواضحة"[5].
- وذُكر أيضا بأنه: "علم الاتصال والتحكم، ووسيلة التعبير والتوجيه، والصعود بالناس إلى الأعلى أو الهبوط بهم إلى القاع" [6].
- وذهب زيدان عبد الباقي إلى تعريفه بـ: "جملة من الأساليب التي يلجأ إليها الإنسان للتعامل مع غيره والتأثير فيهم"[7].

---

(1) الفيروزآبادي, *القاموس المحيط*, ١١٤٠.

(2) الراغب الاصفهاني, *المفردات في غريب القرآن*, ٥٨٠.

(3) ينظر: رينهارت بيتر آن دُوزِي, *تكملة المعاجم العربية* (الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والإعلام, من ١٩٧٩ م إلى ٢٠٠٠ م), ٤٣٤/١. ابن منظور, *لسان العرب*, ٧٢٦/١١.

(4) سمير محمد حسين, *الإعلام والاتصال بالجماهير* (القاهرة: عالم الكتب, ١٩٨٤), ٢٢.

(5) ينظر: عبد اللطيف حمزة, *الإعلام وتاريخه ومذاهبه* (القاهرة: دار الفكر العربي, ١٩٦٥), ٢٣-٢٤.

(6) تعريف زين العابدين الركابي في: الندوة العالمية للشباب الإسلامي, *الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية – النظرية والتطبيق* (الرياض: منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي, ١٩٧٩ م), ٢٩٥.

(7) زيدان عبد الباقي, *وسائل وأساليب الاتصال* (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية, 1979), ٢٩٧.

- وعرّفه سيد الشنقيطي تعريفًا شاملًا، فقال: "هو كل قول أو فعل يُقصَد به حمل حقائق، أو مشاعر، أو أفكار، أو تجارب إلى فرد أو جماعة، بغرض التأثير، سواء أكان ذلك مباشرًا أو عبر وسيلة إعلامية"[1].

ومن مجموع هذه التعريفات، يتبيّن أن الإعلام هو: كافة أوجه الأنشطة الاتصالية التي تستهدف تزويد الجماهير بالمعلومات الصحيحة لهدف معين، بأسلوب يخدم ذلك الهدف، ويتوقع منه أن يؤثر في المتلقي ويغير من ردود فعله.

7.1.1.2. تعريف الوسائل الإعلامية

أولا: تعريف الوسيلة لغةً:

الوسائل جمع وسيلة، وهي: "ما يُتقرّب به إلى غيره". تقول: "توسّل إليه بوسيلة"، أي تقرّب إليه بعمل، ومنها الوسيلة إلى الله تعالى بالعمل الصالح [2].

ثانيا: التعريف الاصطلاحي للوسائل الإعلامية مركبا:

عند إطلاق مصطلح "وسائل الإعلام"، ينصرف الذهن إلى الوسائل الجماهيرية كالإذاعة، والتلفزيون، والصحافة، إلا أن المفهوم الإعلامي أوسع من هذا التخصيص، إذ تُعدّ كل وسيلة تنقل المعنى إلى الناس وسيلة إعلام [3].

ويُعرّفها عبد اللطيف حمزة بأنها: ("ما تؤدّى به الرسالة الإعلامية، سواء كانت صحيفة، إذاعة، تلفزيون، مؤتمر، وكالة أنباء، سوقًا، منبرًا، أو غير ذلك"، وعرفت أيضا بأنها: "جملة وسائل الاتصال المقروءة والمرئية والمسموعة") [4].

---

(1) سيد محمد ساداتي الشنقيطي, *مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم* (الرياض: دار عالم الكتب, ١٩٨٦ م), ١٧-١٨.

(2) ينظر: زين الدين الرازي, *مختار الصحاح*, ١٠٣٢/٢.

(3) ينظر: سيد محمد ساداتي الشنقيطي, *الأسس الفكرية للإعلام* (المملكة العربية السعودية: دار الحضارة للنشر والتوزيع, 1986), ٣٩-٤٠.

(4) عبد اللطيف حمزة, *الإعلام والدعاية* (بغداد: مطبعة المعارف, ١٩٦٨), ٧٦.

ويرى الباحث أن التعريف الأنسب لوسائل الإعلام لما أقصدها في أطروحتي هو: الوسائل التي تُنقَل بها الرسالة الإعلامية إلى الجمهور، سواء كانت تقليدية أو حديثة، مباشرة أو إلكترونية، بقصد التأثير وتغيير السلوك أو نشر المعرفة.

7.1.2. قنوات الاتصال الإعلامي

تتنوّع قنوات الاتصال في المجال الإعلامي، لتؤدي أدوارًا متكاملة في إيصال الرسائل والتأثير في المتلقين. ويمكن تحديد أبرز هذه القنوات في ثلاث صور رئيسة، لكل واحدة منها خصائصها ووظائفها، ومدى فاعليتها في توجيه الرأي العام وتحقيق وحدة الأمة.

أولًا: الاتصال المباشر (المواجهي)

يُعد الاتصال المباشر من أعمق أشكال الاتصال الإعلامي، لما يتميز به من تفاعل حي ومباشر بين المتحدّث والمتلقّي. ويُعتمد عليه في الخطابة، والندوات، والمؤتمرات، والدروس، والأحاديث العامة في المناسبات الخاصة، مما يجعله وسيلة مؤثرة تتجاوز في أثرها الصحف أو الإذاعة أحيانًا؛ لأن الجمهور يكون في موقف تفاعل مباشر مع المتحدث.

ويمتاز هذا النوع من الاتصال بإمكانية التعرّف الفوري على ردود الأفعال، وتكييف الرسالة الإعلامية بناءً على تفاعل الحاضرين، فضلًا عن عمق التأثير الذي يحققه الأشخاص المعروفون لدى الجمهور، كالخطباء والعلماء والمصلحين، والكتاب، على خلاف التأثير المجرد الذي قد يحدث من وسائل الإعلام غير الشخصية[1].

ثانيًا: الإعلام المطبوع

مثّلت المطبعة ثورة حقيقية في تاريخ الإعلام، إذ غيّرت مجرى التواصل البشري وفتحت آفاقًا واسعة لنقل المعرفة، فكانت فاصلاً بين العصور القديمة والحديثة. ويُعد الإعلام المطبوع، المتمثل في الصحف والمجلات والنشرات والكتب، من أكثر الوسائل استخدامًا وانتشارًا، لما له من قيمة معرفية وثقافية وتوثيقية.

---

(1) ينظر: حمزة, *الإعلام والدعاية*, ١١٠.

وتبرز أهمية هذه الوسائل في نشر الأخبار، وترسيخ المفاهيم، وتوجيه الرأي العام، وتقديم المعلومة المدروسة، فضلًا عن دورها في خدمة شرائح المجتمع المختلفة، بما فيها الأقليات، التي تجد فيها منبرًا للتعبير عن آرائها وقضاياها [1].

ثالثًا: الإعلام المسموع والمرئي

ويشمل: الإذاعة، والتلفزيون، والسينما، والمسرح، وغيرها من الوسائط الحديثة، وتُعد هذه الوسائل من أكثر القنوات جذبًا للجماهير، لما تمتاز به من التشويق والتنوع وسهولة الوصول. وهي تجمع بين الصوت والصورة والحركة، فتؤثر في العقول والقلوب في آنٍ واحد، وتترك أثرًا مستمرًا في تشكيل الاتجاهات وتكوين المواقف [2].

وقد أثبتت هذه الوسائل فاعليتها في التعبئة والتأثير وتوجيه الرأي العام، خصوصًا في عالم اليوم، الذي أصبح فيه الإعلام المرئي والمسموع سلاحًا بيد من يُحسن استخدامه.

وبناءً على ما تقدم، فإن وسائل الإعلام، بقنواتها المتعددة: المباشرة، والمطبوعة، والمسموعة والمرئية، تشكل منظومة مؤثرة لا غنى عنها في نشر المعلومات الصحيحة، وتشكيل الوعي العام، وتعزيز وحدة الأمة الإسلامية، ولذا، فإن استثمار هذه الوسائل في نشر القيم الإسلامية، وبث مفاهيم الوحدة والتعاون، يُعد من مقتضيات الواجب الشرعي، ليكون الإعلام جسرًا نحو الأخوة والتضامن، وسلاحًا إيجابيًا في يد الأمة بدلًا من أن يُستخدم ضدها.

7.2.أثر ودور وسائل الإعلام في وحدة الأمة

ذكرنا أن الإعلام يمثل في عصرنا الحاضر أحد أخطر وأقوى الأدوات في تشكيل الوعي الجمعي، وصناعة الرأي العام، وتوجيه سلوك الأفراد والجماعات [3]، فإذا كان الإعلام قديمًا يقتصر على الكلمة المسموعة أو المكتوبة، فقد تطور اليوم ليشمل الوسائل المرئية والمسموعة والرقمية التي

---

(1) ينظر: منال طلعت محمود, *مدخل إلى علم الاتصال* (الاسكندرية: جامعة الإسكندرية, 2001), ١٨٩.

(2) ينظر: محمود, *مدخل إلى علم الاتصال*, ١٩٠.

(3) ينظر: محمد خليل الرفاعي, "مجلة جامعة دمشق", *دور الإعلام في العصر الرقمي في تشكيل قيم الأسرة العربية -دراسة تحليلية* ١/٢٧+٢ (٢٠١١ م), ٦٩٣.

تصل إلى ملايين الناس في لحظات معدودة، مما ضاعف من قدرته على التأثير، إيجابًا أو سلبًا، فلابد أن ننظر إلى الإعلام ووسائله بأبعاده المؤثرة منها:

7.2.1. الإعلام كأداة لجمع الكلمة

جعل الإسلام الكلمة الطيبة وسيلة للإصلاح، فقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وأمر سبحانه بالتثبت قبل نقل الأخبار حتى لا يكون الإعلام أداة فتنة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وقد حث النبي ﷺ على تبليغ الحق ونشر العلم النافع، فقال: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[1]، وهذا توجيه صريح للمسلمين بأن يكونوا وسطاء خير، ينقلون ما علموه من الحق ولو كان يسيرًا، بشرط الأمانة والدقة، وهو في جوهره مبدأ إعلامي أصيل قائم على نشر الهداية وتبليغ الرسالة، لا على الإثارة أو الفتنة. وفي الحديث الآخر: "نضر الله عبدا سمع مقالتي، فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها"[2]، دلالة على فضل الإعلام الصادق الذي يوصل الحق كما هو دون تحريف أو اجتزاء.

ومن وظائف الإعلام الجامعة للكلمة: نشر الوعي الصحيح، وبيان القضايا المصيرية للأمة، وترسيخ مفاهيم الأخوة والتعاون، والتصدي للشائعات والأفكار المتطرفة التي تمزق الصف. وقد جسد النبي ﷺ هذا الدور حين استخدم المنبر لنشر الدعوة، وبيان الأحكام، وحشد الأمة لمواجهة الأخطار، فكان إعلامه واضح الهدف، مضبوط المنهج، جامعًا للكلمة[3].

7.2.2. الإعلام كوسيلة لمواجهة التحديات

لقد أدرك أعداء الأمة أهمية الإعلام، فسخروا له الطاقات المادية والبشرية، وابتكروا الوسائل والأساليب، واستثمروا المنصات الحديثة لنشر أفكارهم، والتشكيك في ثوابت الأمة، وإثارة

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٣٢٧٤، ١٢٧٥/٣.

(2) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ١٦٧٥٤، ٣١٨/٢٧.

(3) ينظر: محمد منير حجاب, *الإعلام الإسلامي المبادئ- النظرية- التطبيق* (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع, ٢٠٠٢ م), ٦٢-٦٣.

النزاعات بين أبنائها، وفي المقابل، ما زالت كثير من الدول والمؤسسات الإسلامية -إن لم نقل كلها- متأخرة في استثمار الإعلام الاستثمار الأمثل، سواء من حيث القوة التقنية أو من حيث وضوح الرسالة [1].

والإعلام الإسلامي المنضبط يعدّ خطَّ الدفاع الأول في مواجهة الحملات الموجهة ضد الأمة، وذلك بكشف المؤامرات وفضح أساليبها، وتحليل الوقائع، والأحداث من منظور شرعي وواقعي، وتقديم البدائل الإعلامية الهادفة التي تتمثل في إنشاء منصات موثوقة، وإنتاج محتوى راقٍ يقدّم الحقائق بأسلوب حكيم، ويعزز الهوية الإسلامية، ويصحح المفاهيم المغلوطة، [2] كما يسهم هذا الإعلام في دعم قضايا الأمة الكبرى مثل تصحيح العقائد الباطلة بواسطة شرح النصوص والاهتمام بها، وحماية مقدساتها.

7.2.3. أثر الإعلام في صناعة الرأي العام

يُعد الرأي العام من العوامل المؤثرة في قرارات الدول والسياسات العامة، والإعلام هو الأداة الأبرز في تشكيل هذا الرأي [3]، وإذا استُخدم الإعلام لنشر ثقافة الوحدة ونبذ التعصب، فإنه يسهم في خلق بيئة فكرية واجتماعية متماسكة، أما إذا تُرك دون ضوابط، فإنه قد يكون سببًا مباشرًا في الانقسام وإشاعة البغضاء.

وقد بيَّن النبي ﷺ أثر الكلمة في البناء أو الهدم حين قال: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالًا يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم"[4]، وهذا الحديث يمثل قاعدة ذهبية في ضبط الإعلام وخطورته.

---

(1) ينظر: حجاب, *الإعلام الإسلامي*, ١٥، ١٠١.

(2) ينظر: حجاب, *الإعلام الإسلامي*, ١٠٢.

(3) ينظر: أحمد العجيل, "مجلة الإعلام والعلوم الاجتماعية للأبحاث التخصصية", *وسائل الإعلام ودورها في صناعة الرأي العام* ٠١/٠٦ (نيسان ٢٠٢٣), ٢٣. حجاب, *الإعلام الإسلامي*, ٥٣.

(4) ينظر: البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٦١١٣، ٢٣٧٧/٥.

7.2.4. الإعلام كجسر حضاري شامل

إلى جانب دوره في نقل الأخبار، يمكن للإعلام أن يكون جسرًا للتواصل بين الشعوب الإسلامية، لتبادل التجارب الناجحة، وإبراز النماذج المشرقة، والتعريف بالمشتركات الثقافية والحضارية، فالإعلام الموجه نحو الاحترام المذهبي والحوار البنَّاء، يسهم في تقليل المسافات النفسية والفكرية بين أبناء الأمة، ويعزز الثقة المتبادلة[1].

7.2.5. الخطاب الدعوي في الإعلام ودوره في ترسيخ الوحدة

لكي يؤدي الإعلام دوره الفاعل في توعية الأمة جماعات وأفراداً لا بد من أن يتعامل علماء الأمة ودعاتها وأفرادها في وعظهم وإرشادهم، وتوجيهاتهم بوعي متميز، وبآليات دعوية فريدة تتناسب مع واقع الأمة وظروفها بالحكمة والموعظة الحسنة.

وفي ظل هذه الرؤية، لم يعد مقبولاً اللجوء إلى الأساليب التي يستخدمها بعض الدعاة ممن غلب عليهم الانتماء الحزبي أو العصبي، أو الفكري والمذهبي فابتعدوا عن الرحمة والشفقة التي كان يتحلى بها النبي ﷺ، والتي عبّر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، وجعلوا التعصب، والتعسر، والغلظة أصلا في دعوتهم وكتاباتهم وتعاملاتهم.

ومن الضروري أن يعرف الجميع أن اللجوء إلى النقد بأساليب السب والشتيمة والهجوم الشخصي لا يتوافق مع تعاليم الإسلام، وقد قال النبي ﷺ: "إن المؤمن ليس باللعان، ولا الطعان، ولا الفاحش ولا البذيء"[2]، وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وينبغي أن يركز الإعلام الإسلامي ومن يظهر على منابره على الصفات والمضامين الآتية:

1. **تعزيز الأخوة الإسلامية، والتحذير من التنازع**، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا...﴾ [الأنفال: ٤٦].

---

(1) ينظر: حجاب, *الإعلام الإسلامي*, ٨٣-٨٥.

(2) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ٣٩٤٨، ٦٠/٧.

2. **التشجيع على الإصلاح والسعي بالخير بين الناس،** عملًا بقوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

3. **التماس الأعذار للمسلمين -المجتهدين والمقلدين- في اجتهاداتهم الشرعية،** انطلاقًا من قوله ﷺ: " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"[1].

وبهذا يكون الخطاب الدعوي الإعلامي جسرًا للتآلف ونبذ الفرقة، وميدانًا لنشر الرحمة والحكمة، بعيدًا عن التعصب أو الإساءة، محققًا مقاصد الشريعة في وحدة الصف وجمع الكلمة.

ولترسيخ هذه الفكرة في أذهان الجماهير وضمان استمرار أثرها، يمكن اعتماد عدد من الأساليب العملية، من أبرزها[2]:

- **التكرار والتأكيد** على المعاني الجوهرية للوحدة، مع تنويع أساليب الطرح حتى لا يملّ الجمهور، ويظل المعنى حاضرًا في ذهنه.
- **مشاركة خُطباء ودعاة من اتجاهات متعددة** لطرح الموضوع من زوايا مختلفة، بما يعكس شمولية الفكرة ويكسر حواجز التعصب.
- **نشر الرسائل والخطاب الوحدوي على نطاق واسع** عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتوظيف المنصات الرقمية لضمان وصولها إلى أكبر شريحة ممكنة.
- **مطالبة الجهات الرسمية والمؤسسات الكبرى بدعم هذا الخطاب** وإدراجه ضمن برامجها الإعلامية والدعوية.
- **ترتيب الطرح ترتيبًا منهجيًا** يبدأ بتوضيح مظاهر الفرقة وأسبابها وتأثيراتها السلبية، ثم الانتقال إلى عرض الحلول والبدائل الشرعية والعملية.

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٦٩١٩، ٢٦٧٦/٦.

(2) ينظر: الرفاعي, "دور الإعلام في العصر الرقمي", ٧٢١. سعيد - الحسن, *الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية وأثرها على وحدة المسلمين*, ٢١٩-٢٢٣.

فلابد من دراسة الخطاب الإعلامي حتى يكون هادفا مفيدا جامعا لا مفرّقا محبّبا لا مبغّضا، ولابد ونحن بصدد توحيد الأمة وإزالة الفرقة أن نعود إلى الخطاب الإعلامي الذي كان عليه النبي ﷺ والصحابة، "ونجعله أمامنا، ونحن نعد دعاتنا، سواء في مجال الدعوة، أو الصحافة، أو الإذاعة، أو التليفزيون، أو غير ذلك من مجالات الإعلام التي لا شك في أنها تحتاج إلى إخلاص العاملين فيها، والتزامهم بالقيم والأخلاقيات الإسلامية الرصينة"[1].

7.3.الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم

القرآن الكريم يُعد المصدر الأول للإعلام[2]، فهو يخاطب القلوب والعقول بأساليب بليغة، تتنوع بين القصص، والخبر، والاستفهام، والمثل، والوصف، والنداء، وغيرها من الصور البيانية المؤثرة[3]، ويهدف هذا المبحث إلى استعراض هذه الأساليب ودورها في تعزيز وحدة الأمة، وبيان كيفية توجيهها للوعي، وبث روح التآلف، وتثبيت القلوب على الحق، ليكون القرآن الكريم نموذجًا خالدًا للإعلام الهادف الذي يجمع الكلمة ويحقق مقاصد الشريعة في الإصلاح والتعاون.

فالقرآن الكريم مع كونه كتاب هداية وإعجاز، فهو أساس العمل الإعلامي الراشد، ولما كان غرضه التأثير والتوجيه، جاءت أساليبه متنوعة ومتناسقة مع مقاصده، فتأخذ بالقلوب وتستولي على الأفهام، بأسلوب يجمع بين وضوح المعنى وقوة التأثير. ويُقصد بالأسلوب القرآني الطريقة الخاصة التي انفرد بها القرآن في تأليف كلامه وإفادة المعاني بالألفاظ[4]، بحيث تبلغ الرسالة أو المعلومة أعمق أثرها في النفوس.

وعند التأمل في الأساليب الإعلامية في القرآن، نجد أنها تقوم على إيصال المعنى بأسلوب جامع بين قوة العبارة وعمق التصوير، مع تنويع طرق العرض لتلائم مختلف فئات المتلقين، ولا نقصد بالأساليب الأساليب اللغوية والبلاغية وغيرها مما ليس هذا البحث بصدده، بل قصدنا الأوصاف

---

(1) حجاب, *الإعلام الإسلامي*, ١٠٢.

(2) ينظر: حمزة, *الإعلام في صدر الإسلام*, ١٥.

(3) ينظر: حجاب, *الإعلام الإسلامي*, ١٠١.

(4) ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني, *مناهل العرفان في علوم القرآن* (د. م: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه, د. ت), ٣٠٣/٢.

والخصائص لأسلوبه الدعائي العام المؤثر في الجمهور، والذي يكون فعالا ومؤثرا في توحيد المسلمين، كي نستفيد منها في توجيه الإعلام الإسلامي، ومن أبرز هذه الأوصاف والأساليب:

7.3.1. الالتزام بالصدق

الصدق من أهم الصفات للإعلام الناجح على المدى الطويل بل حتى على المدى القصير، ولا يمكن أن يدعو النصوص الإسلامية إلى الصدق وإعلامها مخالف لها، ففي الدعوة إلى الله وتوحيد الناس على دين الله فإن تحري الحقائق والوقائع والالتزام بروايتها كما وقعت هي الضمانة الأساسية للفوز بثقة الناس الذين هم غرض المادة الإعلامية[1]، وهذا هو حال القرآن فليس فيه إلا الصدق والحقيقة قال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٨٧]، وقال: ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢]، فيجب الالتزام بالصدق قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]، فـ"الذي جاء بالصدق المؤمنون، والصدق القرآن "[2]، فلابد أن يتحلى الإعلام الإسلامي الموحد بالصدق التام بكل مجالاته، وقد حث الله المؤمنين على الصدق والابتعاد عن الكذب وتشويه الحقائق فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩]، "لأن الجهود المبذولة في نشر أي دعوة لا يكتب لها النجاح إلا إذا كانت تعتمد على الصدق وتزويد الناس بالحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي عام صائب ناضج... فإذا خلت هذه الدعوة أو العملية الإعلامية من الصدق تصبح تضليلا للجمهور"[3].

7.3.2. إظهار جمال صورة الحق وأهله، وإظهار قبح وجه الباطل وأهله

يُعَدُّ هذا الأسلوب من أقوى الأساليب الإعلامية تأثيرًا، إذ يعتمد على ترسيخ القيم في الوعي العام من خلال إبراز محاسن الحق وأهله، وإظهار قبح الباطل وأهله، وقد أدرك أعداء الإسلام قوته، بل وخطورته، فسخّروه في غير موضعه، فعملوا على تشويه صورة الإسلام وأهله، وتزيين صورة الغرب وأفكاره وأهله، حتى يُثبِّطوا وحدة المسلمين ويزرعوا الشك في ثوابتهم، وبفعل هذا التشويه

---

(1) الوشلي, *الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة*, ٤٤.

(2) الطبري, *تفسير الطبري*, ٢٠٥/٢٠.

(3) محمد محمود أحمد أبات الطلابي, *الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم* (المكة المكرمة: إدارة المطبوعات- مطبعة البلاغ, ١٤١٢ هـ), ٥٩. [بتصرف قليل]

الممنهج، وصل الأمر إلى أن نفر بعض أبناء الأمة من بعض شرائع دينهم، متأثرين بالدعاية المغرضة الوافدة.

أما القرآن الكريم، فقد استخدم هذا الأسلوب استخدامًا حقًّا منصفًا، فحسَّن صورة الإسلام وأهله بما يستحقونه من المدح والثناء، وبيَّن منزلتهم العالية، وفضح الكفر والنفاق وأهلهما بما يستحقونه من الذم والتحذير، دون تجاوز أو ظلم، لأن ما يبلغه هو عين الحق. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، وقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ... أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، وذكر جل وعلا أن العاقبة للمتقين، وأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة، وأنهم سيستخلفون في الأرض.

وفي المقابل، بيَّن صورة الكافرين وأهل النفاق والفسق كما هي، فقال: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]. فأظهر حقيقتهم وبيَّن أن عاقبتهم وخيمة، وأنهم يتصفون بالجهل والظلم، وحب الفتنة والقتل، وسائر الصفات المذمومة.

والآيات في هذا الباب كثيرة، تُرسِّخ في النفس حب الحق وأهله، وبغض الباطل وأهله، مما يعزز وحدة المسلمين على الحق، ويغرس فيهم محبة الإيمان والخير، وكراهية الكفر، والفسوق، والعصيان.

وقد أدرك الإعلام الصهيوني خطورة هذا الأسلوب، فاعتمده منذ زمن بعيد، فجعل تشويه صورة أعدائه وتحسين صورته من أولويات عمله الإعلامي، حتى لو كان أعداؤه من أخير الناس، وأهله من أفجرهم. ومع الأسف، نجح في تحقيق جزء كبير من أهدافه، بفضل حرصه على تكرار رسالته وغرسها في أذهان المتلقين، في مقابل إهمال كثير من الإعلام الإسلامي لهذا الأسلوب، أو الاكتفاء باستخدامه بصورة جزئية محدودة لا تُبرز الحق كما ينبغي [1].

---

(1) ينظر: الطلابي, *الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم*, ٥٠-٥٧.

7.3.3. التركيز على الأخلاقيات

من تدبر في القرآن الكريم عَلِم عِلم اليقين أن الخطاب القرآني أولى جانب الأخلاق في المجتمع الإسلامي عموماً، وفي شخصية الداعي إلى الله خصوصاً، عنايةً بالغة، إذ جعل المؤمن الحقيقي الموعود بالفلاح هو المتزين بزينة الأخلاق الحسنة، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، فذكر لعباد الرحمن صفات أخلاقية عامة، ثم بعد ذكر العبادات التي التزموها عاد إلى الصفات الأخلاقية فقال: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وكما أورد سبحانه في وصايا لقمان لابنه جملةً من الأخلاقيات الجامعة، فقال: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨]، وقال: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، فيظهر من هذا الاهتمام القرآني أن كل خلق محمود هو لبنة في بناء المجتمع الصالح، وعنصر مؤثر في تماسكه.

أما الداعي إلى الله، والإعلامي الذي يريد أن يكون مؤثرًا وهادفًا، فهما أولى الناس بالتحلي بالأخلاق الرفيعة، ولذا وصف الله إمام الدعاة والأنبياء، محمدًا ﷺ، بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وبيَّن أن هذه الأخلاق مؤثرة وبها ألَّفت القلوب حوله، فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ومن هنا يتضح أن نجاح الدعوة، وترسيخ الوحدة بين المسلمين، مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالجانب الأخلاقي للداعي، وكذلك بالإعلامي الذي يسعى إلى خدمة قضايا الأمة [1].

7.3.4. الاهتمام بكل ما يرتبط بالدين خصوصا، وما يفيد دنيا مسلمين عموما

القرآن الكريم هو دستور الحياة، ما ترك نافعًا ولا ضارًا في الدين والدنيا إلا بيَّنه، واهتم بكل تفصيل يحتاجه المسلم في مسيرته، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، أي: "ما تركنا في الكتاب شيئًا يحتاج إليه العباد إلا وقد بيَّناه، إما نصًّا، وإما دلالة، وإما مجملًا، وإما مفصَّلًا" [2]، كما قال المفسرون، ومن هنا، فإن الداعية إلى الله، وكذلك الإعلام الإسلامي، لا بد أن

---

(1) ينظر: الوشلي, *الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة*, ٤٥.

(2) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي, *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*, تحقيق صفوان عدنان داوودي (دمشق، بيروت: دار القلم, الدار الشامية, ١٤١٥ هـ), ٣٥٢.

يهتما بجميع شرائع الدين ومجالاته مع الاستطاعة، لأن كل الدين مهم، ولا يجوز إهمال جانب على حساب جانب آخر.

فلا ينبغي أن ينشغل الإعلام الإسلامي مثلًا بمسألة الحكم والحاكمية ويغفل عن تصحيح العقائد والعبادات، أو يقصر في ذلك، أو العكس، لأن الله تعالى أمر بالدخول في الإسلام كله، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]. ذكر الزمخشري في تفسير الآية: "المؤمنون أُمروا بأن يدخلوا في الطاعات كلها، وألا يدخلوا في طاعة دون طاعة، أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها، وألا يُخلوا بشيء منها" [1]، وقال السعدي: "وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه تركه" [2].

وهكذا الأمر في العلوم الدنيوية النافعة، فقد أمر الله تعالى بالسير في الأرض، والبحث عما ينفع الناس ويثبتهم على الإيمان، والنظر في ملكوت السماوات والأرض ليكونوا من الموقنين، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٦]. وقد ذكر الله تعالى كثيرًا من الظواهر العلمية النافعة، ليدل على أن العلم الدنيوي المفيد أيضًا يجب الاهتمام به، ولا يجوز إهماله. فكل هذه الجوانب معًا -العبادات، والعقائد، والعلوم النافعة، وغيرها- تمثل منهج القرآن المتكامل، وعلى هذا، ينبغي للإعلام الإسلامي أن يتناول جميع الأحداث والقضايا المؤثرة في المجتمع المسلم، وأن يربطها بمنظومة القيم والشرائع الإسلامية، بما يسهم في توحيد الأفراد والجماعات والدول على الحق، مع مخاطبة جميع فئات الناس على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم [3]، وهذا هو الطريق القويم لإعادة الأمة إلى ما كانت عليه من العز والوحدة والفلاح.

---

(1) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري, *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*, تحقيق مصطفى حسين أحمد (القاهرة، بيروت: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي, ١٩٨٧ م), ٢٥٢/١.

(2) السعدي, *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*, ٩٤.

(3) ينظر: الوشلي, *الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة*, ٤٦.

7.3.5. التنويع والتأثير في الخطاب

لا شك أن أساس الإعلام هو الكلمة والخطاب، فالكلمة هي أداة الإقناع وبوابة التأثير في العقول والقلوب. فإذا كان الخطاب مفهومًا، هادفًا، يراعي مستويات المخاطَبين واختلاف عقولهم، ويلامس حاجاتهم الفكرية والوجدانية، كان له أثر بالغ في النفوس بلا ريب. والقرآن الكريم في جوهره يُعد نموذجًا فريدًا في بناء الخطاب المؤثر، فهو تركيب عجيب في صياغة آياته، وتنظيم موضوعاته، وعرض قضاياه [1]، بحيث يجمع بين العمق والوضوح، من خلال الوعظ، والتعليم، والمحاورة، وسرد القصص، وضرب الأمثال، وكل ذلك بأسلوب يجذب القلوب والعقول في آن واحد.

وقد أرشد القرآن إلى استخدام أحسن الطرق الإعلامية المؤثرة في المخاطب الموصلة إلى الهدف الإعلامي ومن أبرز هذه الطرق الأساليب:

1. **القول الحسن**: وهو الأسلوب الذي يجمع بين اللطف والصدق والوضوح، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، أي لتكن معاملتكم للناس بالحسنى [2]. فيخاطب الداعي والإعلامي الناسَ بالطيب من القول [3]، وكلٌّ حسب طبقته بأسلوب حسن؛ فيكون مع عموم الناس بالأسلوب الحسن، ومع المؤمنين بالطريق الألطف، قال الرازي: "يَكُونَ الْمُرَادُ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا فِي الدعاء إلى الله تعالى وفي الأمر المعروف". ولهذا الأسلوب أثر بالغ في استمالة القلوب، وتلطيف النفوس، وبناء الجسور بين الناس، مما يهيئهم للانتفاع بالحق والاستجابة له [4].

2. **الحكمة**: قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، والحكمة هي وضع القول في موضعه المناسب، ومخاطبة كل أحد بما يلائمه من الحجة والبرهان [5]. وهي

---

(1) ينظر: الوشلي, *الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة*, ٤٣.

(2) ينظر: دروزة محمد عزت, *التفسير الحديث* (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية, ١٣٨٣ هـ), ٦/ ١٨٩.

(3) ينظر: ابن عادل, *اللباب في علوم الكتاب*, ٢٤٠/٢.

(4) ينظر: الرازي, *مفاتيح الغيب*, ٥٨٩/٢.

(5) ينظر: محمد أبو الفتح البيانوني, *المدخل إلى علم الدعوة* (بيروت: مؤسسة الرسالة, ١٤١٥هـ), ٢٤٥. محمد بن يوسف، أبو حيان الأندلسي, *البحر المحيط* (بيروت: دار الفكر, ٢٠٠٠ م), ٦٨٣/٢.

إصابة الحق باللسان، وإصابة الفكر بالجَنان، وإصابة الحركة بالأركان؛ فالمؤمن الحكيم إن تكلَّم كان كلامه عن بصيرة، وإن تفكَّر كان تفكُّره في الحق، وإن تحرَّك كانت حركته وفق منهج الله[1]. وقال بعضهم: "الحكمة هي اللين في الدعوة"[2]، فهي تجمع بين قوة الحجة ورقة الأسلوب، مما يجعلها من أعظم أسباب التأثير في المدعوين وكسب قلوبهم.

3. **الموعظة الحسنة**: ويقصد بها التوجيهات التي يقدّمها الداعي أو الإعلامي للناس بأسلوب يجمع بين النصح والإرشاد، مقرونة بالترغيب في الخير والترهيب من الشر، مع مراعاة الرفق واللين في الخطاب، بما يهيئ النفوس لتقبّل الحق والانقياد له[3]. فهي أسلوب يخاطب القلوب قبل العقول، ويستثير العاطفة الإيمانية لدى المخاطَب، فيبعثه على العمل الصالح وترك ما يضرّه في دينه ودنياه.

وقد أمر الله تعالى بها في قوله: ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، أي: بالموعظة التي تشتمل على الرفق والتأليف، دون زجر أو تعنيف[4]. "وتشمل: القول، والفعل، والنّصح بالطّاعة، والعمل الصّالح، والإرشاد إلى الخير، والتّذكير بالثّواب، والعقاب، والتّحذير، والنّهي"[5]، وتتنوع وسائلها لتشمل القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة والسلف الصالح، وكلمات العلماء، والشعر المؤثر، والقصص الواقعية، والوقائع التاريخية، والحقائق العلمية، وغير ذلك من الأساليب المؤثرة.

---

(1) ينظر: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهرري, *حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن* (بيروت: دار طوق النجاة, ٢٠٠١ م), ٢٢/ ٢٣٨. الشعراوي, *الخواطر*, ٩/ ٥٦٤٧.

(2) سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي, *التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني* (الأردن- عمان: دار الوضاح, د. ت), ٢٥١.

(3) ينظر: الطلابي, *الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم*, ٣٤.

(4) ينظر: الزين, *بيان النظم في القرآن الكريم*, ٢/ ٥١٤. البغوي, *تفسير البغوي*, ٥/ ٥٢.

(5) الهلال, *تفسير القرآن الثري الجامع*, ٢٦١/٦.

ويتميّز أسلوب الموعظة عن أسلوب التعليم؛ إذ يركّز التعليم على مخاطبة العقل وإقناعه بالحجة والبرهان، بينما يتوجه الوعظ إلى القلب، محركًا المشاعر، وموقدًا جذوة الإيمان، ومؤلِّفًا بين النفوس، بما يخدم وحدة الأمة ويعزّز تماسكها[1].

4. **الجدال بالتي هي أحسن**: قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، والمراد به الحوار الذي يقوم على إظهار الحق وإبطال الباطل بأسلوب يتسم بالأدب والرفق وحسن الخلق، بعيدًا عن الفظاظة والإساءة[2]. وهذا المنهج القرآني يرسخ قاعدة مهمة في التعامل مع المخالفين، إذ يقتضي أن يكون النقاش بالحكمة واللين، مقرونًا بالدلائل الواضحة، والبرهان الساطع.

فإذا كان هذا ما ينبغي أن يكون في محاورة أهل الكتاب وغير المسلمين، فهو في حق المسلمين أولى وأوجب، حيث يكون الجدال بينهم عند الحاجة مبنيًّا على اتباع الحق، والتحلّي بالرفق والمداراة، بحيث يظهر للقارئ والسامع أن المقصود هو الوصول إلى الحق وإزهاق الباطل، لا الانتصار للنفس أو قهر الرأي الآخر[3]. وبذلك يصبح الجدال أداة لتقريب وجهات النظر، وتوحيد الكلمة، وحماية الأمة من أسباب التنازع والشقاق.

إن هذا التنويع في الخطاب، الذي يجمع بين القول الحسن، والحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، يُمكّن الإعلام الهادف من الوصول إلى شرائح متعددة من الجمهور، ويجعل رسالته أكثر قبولًا وتأثيرًا، فيسهم بذلك في تعزيز وحدة الصف، وتثبيت القيم الإسلامية، ومواجهة الأفكار المنحرفة.

---

(1) ينظر: القدومي, *التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني*, ٢٥١.

(2) ينظر: أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني, *لباب التفاسير*, تحقيق أربع رسائل دكتوراة بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (د. م: د. ن, د. ت), ١٠٨٦.

(3) ينظر: محمد علي الصابوني, *صفوة التفاسير* (القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع, ١٩٩٧ م), ١٣٧/٢.

7.3.6. التوكيد والتكرار

من تدبَّر في القرآن الكريم أدرك أن التكرار والتوكيد من الأساليب البارزة التي أولى لها القرآن أهمية كبيرة في عرض أوامره ونواهيه، وفي ذكر قصصه وأخباره، بل وحتى في تكرار بعض الآيات في السورة الواحدة، وذلك لما في هذا الأسلوب من أثر بالغ في ترسيخ الحقائق وتثبيت المعاني في النفوس، وتوصيل إلى الأهداف [1]، وهو من مذاهب العرب البلاغية، إذ أرادوا به التوكيد والإفهام [2].

وقد جاء التكرار في القرآن الكريم على وجهٍ بديعٍ يعكس إعجازه، حيث وظِّف لإبراز القضايا التي تحتاج إلى تأكيد دائم وتذكير مستمر، بحيث لا يُستغنى عن موضع واحد من مواضعه [3]. قال بعض الباحثين: "إن القرآن قد ذهب في التكرار مذهبًا فريدًا، عالج فيه طبائع الأفراد والجماعات على اختلاف أحوالهم وأزمنتهم وأمكنتهم بأساليب متباينة وسياقات مختلفة" [4]، وبهذا التكرار يتجدد التأثير القرآني على السامع والقارئ، فيبقى المعنى حاضرًا في الذهن، والهدف قريبًا من القلب [5]، وذكر العلماء كثيرا من فوائد التكرار منها: التأكيد، ومنها زيادة التنبيه، ومنها التذكير، ومنها التعظيم والتهويل، ومنها الوعيد والتهديد، وغير ذلك.

وقد أدرك الإعلاميون -قديما وحديثا- أهمية التكرار في التأثير والإيحاء بفكرة معينة، لما له من أثر نفسي بالغ. لكن الإعلام المعاصر تجاوز ذلك إلى تطبيقات دقيقة، حتى أثبتت الدراسات الحديثة أن التكرار على فترات يزيد فاعلية الرسائل الإعلامية، وخاصة تلك التي تدعو إلى التسامح أو نشر قيم معينة. ولذا نرى توظيف الإعلام الغربي، ولا سيما الأمريكي والإسرائيلي، هذا الأسلوب في تشكيل

---

(1) ينظر: يارزمان جنت كل, *التكرار في القرآن الكريم وأسراره البلاغية* (إسلام آباد- باكستان: الجامعة الإسلامية العالمية- إسلام آباد, دكتوراه, ٢٠١١ م), ١١.

(2) ينظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ابن قتيبة, *تأويل مشكل القرآن*, تحقيق إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية, د. ت), ١٤٩.

(3) ينظر: الطلابي, *الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم*, ١٨٣.

(4) الطلابي, *الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم*, ١٨٦.

(5) ينظر: جنت كل, *التكرار في القرآن الكريم وأسراره البلاغية*, ١١.

الرأي العام وتوجيهه، من خلال تكرار الأفكار والشعارات حتى تترسخ في العقول، بغض النظر عن صدقها أو بطلانها [1].

ومن هنا، فإن الإعلام الإسلامي في عصرنا أحوج ما يكون إلى استلهام هذا الأسلوب القرآني في التكرار والتوكيد، فيوظفه في ترسيخ قيم الوحدة، وإشاعة روح الأخوة، والتحذير من الفُرقة والتنازع، مع التأكيد الدائم على المشتركات الجامعة بين المسلمين. فكما كرر القرآن الكريم ذكر التوحيد والصبر والتقوى ومصير المتقين ومصير الظالمين، ينبغي أن يُكرَّر في الخطاب الإعلامي الدعوي الحديث عن الأخوة الإسلامية، وعن خطورة التشرذم والتعصب المذهبي والحزبي، وعن عظمة الاجتماع على كلمة سواء. إن تكرار هذه القيم بأساليب متنوعة ومؤثرة يُسهم في بناء وعي جماعي راسخ، ويجعل من الإعلام جسراً لترسيخ الوحدة وتحقيق مقاصد الشريعة في الاعتصام بحبل الله جميعاً.

7.3.7. كيف يمكن الاستفادة من الأساليب الإعلامية القرآنية

إن المتأمل في الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم المذكورة وغيرها يجد أنها جاءت شاملةً وهادفةً، تخاطب العقول والقلوب معًا، وتجمع بين التوجيه العقلي والإقناع الوجداني، وبين بيان الحق وإبطال الباطل كما مر. فقد تنوعت بين القصة، والموعظة، والحوار، والجدال بالتي هي أحسن، والتكرار والتوكيد، وإبراز جمال الحق وقبح الباطل، مع العناية بالجانب الأخلاقي والإنساني، والاهتمام بجميع جوانب الدين والدنيا. وهذه الأساليب القرآنية تمثل ثروة عظيمة يمكن أن يستفيد منها الإعلام الإسلامي المعاصر في صياغة خطابه، وتوجيه رسالته، بحيث يركز على ما يجمع ولا يفرق، ويعالج قضايا الأمة بروح القرآن وحكمته. فإذا استثمر الإعلام هذه المناهج والأساليب القرآنية في عرض الحقائق، وتبليغ الرسالة، وترسيخ القيم، فإنه سيكون أكثر قدرة على التأثير الإيجابي، وتعزيز وحدة المسلمين، وبناء وعي جماعي راسخ يواجه التحديات الداخلية والخارجية بثبات وبصيرة.

---

(1) ينظر: الطلابي, *الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم*, ١٨٦.

7.4.الأساليب الإعلامية في السنة النبوية

إنّ السنة النبوية في حقيقتها تفسير عملي وشرح واقعي للقرآن الكريم، فقد كان النبي ﷺ قرآنًا يمشي على الأرض، يجسد تعاليمه قولًا وفعلًا وسلوكًا. ولذا فإن كل الأساليب الإعلامية التي سبقت الإشارة إليها في القرآن الكريم، قد طبقها الرسول ﷺ في دعوته: من الالتزام بالصدق، والتركيز على الأخلاق، وإظهار جمال صورة الحق وقبح الباطل، والتنوع في الخطاب، وتكرار ما يحتاج إلى ترسيخ وتذكير. وقد وردت في ذلك نصوص نبوية عديدة؛ منها قوله ﷺ: " عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا "[1]، وقوله: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[2] كما يظهر في أسلوبه الحكيم في مخاطبة الناس على اختلاف طبائعهم وشخصياتهم، مراعيًا لكل نفس ما يصلحها وما يقربها إلى الحق.

ومع ذلك، فإن هذا الفصل لا يعيد ما تقدم من الأساليب القرآنية التي تجلت في السنة، وإنما يركز على أساليب أخرى انفردت بها السنة أو بعبارة أدق برزت فيها بصورة أوضح، مما يكشف عن عمق المنهج النبوي في الإعلام والدعوة والتأثير. فلم يترك النبي ﷺ أسلوبًا من أساليب البيان إلا سلكه في أحاديثه، ومكاتباته، وتعليمه، وعظاته، وخطبه، وتوجيهاته، فقد اتسم أسلوبه بالتيسير دون تعسير، والتبشير دون تنفير، والرفق دون العنف. حيث استخدم القصص لجذب الأسماع والاستفهام لجمع القلوب والحوار لتحفيز الهمم، والحكم والأمثال لجذب الأنظار، كما رسم الصور وشبّه لتقريب البعيد وإقناع العنيد ودعا إلى الجهاد خطيبًا بين أصحابه [3]، وهنا نذكر أهم الصفات والأساليب النبوية ليستفاد منها في المجال الإعلامي.

---

(1) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٦٠٧، ٤/ ٢٠١٣.

(2) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي البزار, *مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار*, تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وآخرون (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم, ١٩٨٨ م-٢٠٠٩ م), رقم الحديث: ٨٩٤٩، ١٥/ ٣٦٤.

(3) ينظر: محمد عجاج الخطيب, *أضواء على الإعلام في صدر الإسلام* (بيروت: مؤسسة الرسالة, ١٩٨٧ م), ٢٠.

7.4.1. تكوين شخصية الإعلامي

إن للإنسان غريزة التقليد والمحاكاة، وهي غريزة مؤثرة وفعالة في كثير من مجالات الحياة، منها المجال التربوي والتعليمي، ومنها كذلك المجال الإعلامي [1]، ومن هنا كان لا بد لمن يتصدر الخطاب الإعلامي أو الدعوي أن يكون ذا شخصية مثالية نافعة، تتسم بالصدق وحسن الأخلاق وغيرها من الصفات الحميدة، إذ إن الجماهير تتأثر بسلوك المبلّغ قبل تأثرها بكلماته.

ولذلك نجد أن النبي ﷺ، وهو القدوة الأولى، قد ركز على بناء شخصيته كداعية وإعلامي رباني قبل أن يبلّغ الناس دعوته، حتى اشتهر بين قومه بالصدق والأمانة وقد تجلى ذلك في شخصيته حتى قبل بعثته، ولذا لما دعا قومه إلى التوحيد والوحدة لم يجدوا سبيلًا إلى تكذيبه، فقد روى البخاري وغيره أنه (لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟»، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا) [2] فشهدوا له بالصدق والأمانة قبل الرسالة، مما يبرز أن نجاح دعوته إنما ارتكز على شخصيته الموثوقة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، لذا فإن من أبرز الأسس التي لا بد أن يُبنى عليها الإعلام الإسلامي تكوين شخصية الإعلامي أو الداعية تكوينًا متكاملًا، يجعل منه قدوة وأسوة حسنة في نفسه قبل أن يكون مبلغًا للآخرين.

ومن هنا فإن الإعلامي أو الداعية الذي يتصدى لحمل رسالة الأمة لا يمكن أن يكون مفرقًا بين المسلمين وهو يدعوهم إلى الوحدة، ولا معسرًا عليهم وهو ينادي باليسر، ولا فاقدًا للأخلاق وهو يطالبهم بمكارمها؛ إذ إن الناس ينظرون إليه ويقتدون به شاء أم أبى. ولذلك كان لا بد من التركيز على صناعة شخصيته، وتهذيب أخلاقه، وتربيته على قيم الإسلام ومقاصده، حتى يكون خطابه مقبولًا، ورسائله مؤثرة، ويكون بحقّ امتدادًا عمليًا للمنهج النبوي في الدعوة والإعلام.

---

(1) ينظر: حمزة, *الإعلام في صدر الإسلام*, ٦٦.

(2) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٤٤٩٢، ٤/ ١٧٨٧.

7.4.2. أهمية الكلمة في الإعلام النبوي

الكلمة هي أساس الإعلام وعموده الفقري، وبها يُبنى الوعي وتُوجَّه العقول والقلوب، وقد أولت السنة النبوية للكلمة مكانة عظيمة، لما لها من أثر بالغ في توحيد الصفوف أو تمزيقها، وفي إصلاح المجتمعات أو إفسادها. فقد بالغ النبي ﷺ في التحذير من خطورة الكلمة وعظم تأثيرها في الدنيا والآخرة حيث قال: " إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا، يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم"[1] وفي المقابل حثّ على نشر الكلمة الطيبة النافعة فقال: "بلِّغوا عني ولو آية"[2]

ومن خلال هذا التوجيه النبوي ندرك أن كل كلمة محسوبة، وأن الإعلام الإسلامي لا ينبغي أن يهمل أي تفصيل صغير أو كبير، بل عليه أن يوجه خطابه إلى كل الفئات الاجتماعية، غنيًّا كان المخاطَب أو فقيرًا، صحيحًا أو مريضًا، صغيرًا أو كبيرًا، فالرسالة الإعلامية في الإسلام شاملة، لا تقتصر على طبقة معينة، وإنما تستهدف الأمة جميعًا، تحقيقًا لقوله ﷺ: "لا تحقرنّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" [3].

وهكذا جعلت السنة النبوية للكلمة منزلة عالية، فهي أمانة ومسؤولية، وهي وسيلة من وسائل الإصلاح ووحدة الأمة إن وُجِّهت بالحق والخير، كما قد تكون وسيلة هدم وتمزيق إذا استُعملت في الباطل والهوى.

7.4.3. السماحة واللين

من أبرز السمات الإعلامية التي تميزت بها السنة النبوية السماحة واللين، وهما من الصفات التي تكشف عن روح هذا الدين وسمو مقاصده، فاللين والسماحة يقابلان الغلظة، والخشونة، والشدة [4]،

---

(1) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٦١١٣، ٢٣٧٧/٥.

(2) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٣٢٧٤، ٣/ ١٢٧٥.

(3) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٦٢٦، ٤/ ٢٠٢٦.

(4) ينظر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى مهران العسكري, *الفروق اللغوية*, تحقيق محمد إبراهيم سليم (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع, د. ت), ٧٤; نشوان بن سعيد الحميري اليمني, *شمس العلوم*

ويقومان على التيسير، وحسن المعاملة، وبذل الفضل للناس من غير تكلف ولا عنت. قال أهل اللغة: السماحة مأخوذة من مادّة (سمح)، وتدل على الجود والسهولة، والمسامحة: المساهلة [1] واصطلاحًا: "بذل ما لا يجب تفضلًا" [2]؛ وقيل: السماحة: "تيسير الأمور والملاينة فيها الّتي تتجلّى في التّيسير وعدم القهر" [3]، فهي التلاطف مع الغير في المعاملات المختلفة، والتيسير فيها.

وقد تجلت هذه الخصائص في شخصية النبي ﷺ قولًا وعملًا؛ فقد كان قدوة في الصبر والسماحة والرفق في الدعوة إلى الله، وقد سئل: "أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: " الحنيفية السمحة" [4]، وأمر بالرفق فقال: " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه " [5]، وجعل السماحة وصفًا عامًا لحياة المسلم إلى أن يصل لمعاملاته في بيعه وشرائه الذي يخصه والبائع، فقال: "رحم الله عبدًا سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا اقتضى" [6].

كما ارتكزت دعوته ﷺ على التبشير والتيسير لا على التنفير والتعسير، فكان إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره، قال "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" [7]، ولما سُئل النبي ﷺ عن حقيقة الإيمان، أجاب: "الصبر والسماحة" [8].

إن هذه السماحة التي تجلّت في خطابه النبوي ومنهجه في الدعوة، مع كونها من خصاله الشريفة، إلا أنها تُعد في الوقت ذاته منهجًا إعلاميًا متكاملًا، يسهم في نشر الدين بيسر، ويعزز قبول الناس

ودواء كلام العرب من الكلوم, تحقيق حسين بن عبد الله العمري وآخرون ((بيروت-لبنان)، (دمشق-سوريا): دار الفكر المعاصر، دار الفكر, ١٩٩٩), ٦/ ٣٣٣٢.

(1) ينظر: زين الدين الرازي, *مختار الصحاح*, ١٥٣; ابن منظور, *لسان العرب*, ٤٨٩/٢.

(2) ينظر: الجرجاني, *كتاب التعريفات*, ١٢١; البركتي, *التعريفات الفقهية*, ١١٥.

(3) مجموعة مختصين, *نضرة النعيم*, ٦/ ٢٢٨٧-٢٢٨٨.

(4) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ٢١٠٧، ٤/ ١٧.

(5) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ٢٥٩٤، ٤/ ٢٠٠٤.

(6) مسلم, *صحيح مسلم*, رقم الحديث: ١٧٣٢، ٣/ ١٣٥٨.

(7) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ٦٩، ١/ ٣٨.

(8) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ١٩٤٣٥، ٣٢/ ١٧٧.

للرسالة، ويحقق التآلف والتقارب بينهم. وهي صفة جوهرية لا غنى عنها لكل داعية وإعلامي يريد التأثير في الناس وتحقيق وحدة الأمة.

7.4.4. إرسال الوفود والرسل

يُعد إرسال الوفود والرسل أحد أبرز الأساليب الإعلامية التي استخدمها النبي ﷺ في تبليغ رسالة الإسلام، إذ في هذا الأسلوب قد يحصل بين الوفد والمرسَل إليه محاورة فيجمع بين التواصل المباشر والحوار البنّاء، مما يجعله أكثر تأثيرًا من الاكتفاء بالرسائل المكتوبة أو الأخبار المنقولة، فالوفد لا يقتصر دوره على تبليغ الدعوة، بل يتعداه إلى الإجابة عن التساؤلات، ودفع الشبهات، وبيان حقيقة الإسلام بأسلوب هادئ يقوم على الحكمة والموعظة الحسنة.

وقد بعث النبي ﷺ وفودًا إلى عدد من الملوك والرؤساء، مثل: قيصر الروم، وكسرى فارس، والنجاشي ملك الحبشة، والمقوقس عظيم القبط، وغيرهم، وكان لهذه الوفود أثر بارز في نقل صورة الإسلام الصافية، وإظهار سماحته وعدله، والتأثير في قلوب المخاطبين [1].

ومن أروع الأمثلة على ذلك ما جرى من محاورة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مع النجاشي، إذ قدّم عرضًا بليغًا عن الإسلام عقيدةً وشريعةً، فكان له بالغ الأثر في احترام النجاشي للمسلمين وحمايتهم [2]، وكذلك ما دار من محاورة حاطب بن أبي بلتعة مع المقوقس، التي أبرز فيها سماحة الإسلام وعظم رسوله ﷺ، حتى أبدى المقوقس تقديرًا واحترامًا رغم عدم دخوله في الإسلام [3]. وكما أرسل معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن للدعوة إلى الله ونصحهم بالتيسير لا التعسير والتبشير لا التنفير كما مر.

وهكذا يتضح أن أسلوب إرسال الرسل والوفود يُعد وسيلة إعلامية ناجحة في الدعوة، تحقق عدة أهداف: إيصال الرسالة بصدق، والحوار المباشر مع صناع القرار، وتفنيد الشبهات من مصادرها،

---

(1) حمزة, *الإعلام في صدر الإسلام*, ١٤٧.

(2) ينظر: أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ٢٢٤٩٨، ٣٧/ ١٧٠.

(3) ينظر: سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي الأندلسي أبو الربيع الكلاعي, *الاكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفا*, تحقيق محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية, د.ت), ٢/ ١٣-١٤.

وتكوين انطباع إيجابي عن الإسلام وأهله. وهو منهج إعلامي صالح للاقتداء به في العصر الحديث عبر الزيارات الرسمية والحوارات المباشرة والمؤتمرات العالمية.

7.4.5. التدرج والبدء بالأهم

منهج البدء بالأهم ثم الأهم كذلك من أبرز الأساليب التي أرساها النبي ﷺ في دعوته التي يستفاد منها في المجال الإعلامي، وهو أسلوب قائم على مراعاة مراتب الأحكام، وتقديم القضايا الكبرى التي يقوم عليها الدين قبل غيرها. وقد ظهر هذا المنهج منذ فجر الإسلام، حيث نزل الوحي متدرجًا، فبدأ بالتوحيد وإثبات العقيدة، ثم تبعه بالتكاليف العملية شيئًا فشيئًا.

فقد كان النبي ﷺ يصدع بدعوته في أول أمره بقوله: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" [1]، وهو الشعار الذي بُني عليه الدين كله، ثم جاءت بعد ذلك الأوامر والنواهي، على سبيل التدريج، ومن أوضح الأمثلة: التدرج في تحريم الخمر، إذ لم يأتِ التحريم دفعة واحدة، بل جاء على مراحل حتى استقر تحريمه استقرارًا راسخًا في نفوس المسلمين "ولو حرمت عليهم دفعة واحدة، لم يقلع الكثير عنها" [2].

وهذا المنهج نفسه رسمه النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن فقال له: "إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم " [3]، وهذا يدل بوضوح على ترتيب الأولويات، والبدء

---

(1) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ١٦٦٠٣، ٢٧/ ١٤٨.

(2) الزحيلي, *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*, ٧/ ٣٦.

(3) البخاري, *صحيح البخاري*, رقم الحديث: ١٤٢٥، ٢/ ٥٤٤.

بالأصل الذي لا يقوم الدين بدونه، ثم الانتقال إلى الفروع والشرائع العملية، فيضمن إلى حد كبير قبول الدعوة وتثبيت أثرها في النفوس [1].

ومن هنا يتبين أن أسلوب البدء هو قاعدة أساسية في الإعلام الإسلامي، ينبغي أن يراعيها الإعلاميون والدعاة في كل زمان، سواء في الخطاب المباشر أو عبر الوسائل الحديثة، وذلك بتكليمهم على قدر مستواهم، وبترتيب قضاياهم، وتقديم ما يرسخ وحدة الأمة وعقيدتها قبل الانشغال بالقضايا الجزئية أو الخلافية [2].

7.4.6. الرسم والتصوير الحسي لتقريب الأفهام

ومن الخصائص الإعلامية البارزة في السنة النبوية اعتماد الرسم والتصوير المباشر للأفكار المجردة، بهدف تبسيطها وتقريبها إلى الأذهان. فالنبي ﷺ لم يكتفِ بمجرد الوعظ والخطاب اللفظي، بل لجأ في كثير من الأحيان إلى الوسائل البصرية التوضيحية، ليجعل المعنى أقرب إلى الفهم، وأرسخ في الذاكرة [3].

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك: ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ خط خطا بيده، ثم قال: " هذا سبيل الله مستقيما "، ثم خط عن يمينه، وشماله، ثم قال: " هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه " [4]، ثم قرأ: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ [الأنعام:153] فقد جعل هذا التمثيل البصري وسيلة لتوضيح خطورة الانحراف عن منهج الحق، ورسّخ في أذهان الصحابة مفهوم وحدة الطريق.

---

(1) رضوان بلخيري - لدمية عابدي, "مجلة المعيار", *الأساليب الاتصالية والإعلامية للرسول -صلى الله عليه وسلم- في تبليغ الدعوة الإسلامية* ٤٢ (٢٠١٧), ٤٧٨.

(2) محمد علي عوض, *الإعلام في السنة النبوية -دراسة حديثية موضوعية-* (غزة: الجامعة الإسلامية- غزة, الماجستير, ٢٠٠٩ م), ١٢٢.

(3) ينظر: بلخيري - عابدي, "مجلة المعيار", ٤٨٤.

(4) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ٤٤٣٧، ٧/ ٤٣٦.

ومثل ذلك ما ورد في حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ حريرا فجعله في يمينه، وأخذ ذهبا فجعله في شماله، ثم قال: "إن هذين حرام على ذكور أمتي" [1]، فهذا تصوير عملي مباشر يجعل الحكم الشرعي أكثر وضوحًا وتأثيرًا.

إن هذا الأسلوب النبوي يعكس وعيًا بوسائل التأثير الإعلامي، إذ أن الصورة أبلغ في بعض الأحيان من مجرد الكلمة، وخاصة إذا كانت تحمل رسالة واضحة تربط المعنى بالمشاهدة. ومن هنا تتأكد أهميته في الإعلام الإسلامي المعاصر، حيث يمكن الاستفادة منه في إنتاج الأفلام التوعوية والوثائقية والرسوم المتحركة التعليمية الموجهة للأطفال والشباب والعائلات، لتوضيح الحقائق، وغرس قيم الوحدة، والتحذير من مخاطر التفرقة والتمزق.

وبذلك يكون الإعلام الإسلامي قد اقتدى بالسنة النبوية في تفعيل الوسائل البصرية، لتكون أداةً فاعلة في تقريب المعاني، وترسيخ المبادئ، وبناء وعي جمعي يحفظ للأمة وحدتها ورسالتها.

7.4.7. أثر الأساليب الإعلامية النبوية في توحيد الأمة

إن الأساليب الإعلامية التي اعتمدها النبي ﷺ في دعوته وتبليغه للرسالة كانت مناهج مقصودة لها أثرها العميق في جمع الكلمة وتوحيد الصفوف، سواء ما ذكرناه من السماحة واللين، أو البدء بالأهم، أو إرسال الوفود، أو التمثيل الحسي والتصوير المباشر للأفكار، أو غير ذلك من الأساليب التي أشرنا إلى بعضها وتركنا بعضها الآخر لكونه ذُكر في مبحث الأساليب القرآنية أو لكون تأثيره محدودًا بالنسبة لموضوع الأطروحة.

وقد كان لهذه المناهج أثر بارز في نشأة الأمة الإسلامية، إذ جمعت القلوب المتفرقة على التوحيد، وربطت الناس بالوحي، وأقامت مجتمعًا موحدًا حول قيم الحق والخير. وإن الله تعالى قد أمرنا بالاقتداء برسوله ﷺ فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وهذا يشمل وجوب التأسي به في دعوته وأخلاقه وأساليبه في إيصال الدين.

---

(1) أبو داود, *سنن أبي داود*, رقم الحديث: ٤٠٥٨، ٦/ ١٦٦.

ومن هنا، فإن الإفادة من هذه الأساليب النبوية في الإعلام الإسلامي المعاصر تعد ضرورة، إذ يمكن من خلالها بناء خطاب موحِّد يرسّخ القيم الإسلامية، ويواجه حملات التشويه، ويغرس في النفوس روح الأخوة والتآلف. وكما نجحت تلك الأساليب في صدر الإسلام في توحيد الأمة، فإنها قادرة اليوم -إذا أُحسن تطبيقها- على إعادة بناء الوعي الجمعي للمسلمين، وتقريب قلوبهم، وتوجيههم نحو مقاصد الشريعة ووحدة الصف.

7.5.التوصيات الإعلامية

في ضوء ما تبين من مكانة الوحدة الإسلامية ووجوبها شرعًا، والدور المحوري للإعلام في تعزيزها أو تهديدها، يمكن صياغة مجموعة من التوصيات الموجهة للإعلام الإسلامي، وهي:

1. مراعاة مصلحة الأمة ووحدتها: أن يضبط الإعلام الإسلامي خطابه بما يحفظ وحدة الأمة ويقوّي بنيانها، وأن يبتعد عن كل ما يكون سببًا في زرع الفتن والشحناء بين المسلمين.
2. تجريم الخطاب المثير للفرقة: على الجهات الرسمية في الدول الإسلامية أن تسن قوانين واضحة لتجريم كل نشرٍ أو بثٍّ يهدد أمن الأمة، أو يزيد من تفرقها، مع إتاحة الحرية لعرض الرأي المخالف بلغة علمية رصينة، بعيدًا عن التشخيص الشخصي أو التحريض.
3. التركيز على وحدة الكلمة مع قبول التنوع: ضرورة توجيه الإعلام إلى ترسيخ مفهوم الوحدة السياسية والاجتماعية بين المسلمين، وإبراز أن الخلافات التاريخية التي استقرّت لا ينبغي أن تكون ذريعة لإعادة إنتاج النزاع، وإنما الأصل هو التعايش والتعاون في المتفق عليه.
4. تعزيز المحبة والولاء بين المسلمين: العمل على نشر ثقافة الأخوة الإسلامية العامة، وغرس مشاعر الحب والنصرة بين المسلمين بعضهم لبعض، مع ترسيخ مفهوم البراءة من أعداء الأمة بالمعنى الصحيح الذي لا يضر بالتعايش السلمي مع غير المسلمين في المجتمع.
5. إنشاء هيئات رقابية متخصصة: الدعوة إلى تشكيل لجان وهيئات إعلامية في كل دولة لمتابعة البرامج المثيرة، وضبط المحتوى الذي يفتح أبواب الفتنة أو يهدد الأمن والوحدة، وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

6. إنتاج برامج إعلامية توحيدية: تنظيم برامج، وندوات، ومنتديات إعلامية تُعنى بإحياء شعور الأخوة الإسلامية، وتبرز القيم المشتركة، وتغرس محبة المسلمين لبعضهم وكراهيتهم لأعدائهم، مع التركيز على الأبعاد الأخلاقية والروحية.

7. احترام المذاهب والمناهج المختلفة: عدم التشديد على المسلمين بترك مذاهبهم، بل يكون الأصل هو المناصحة بالحكمة، وبيان الأدلة من المصادر الأصلية، بما يرسّخ الوحدة في إطار التنوع.

8. إدراج مادة توعوية في التعليم: إدخال مقررات ومناهج تربوية توعوية في المدارس والجامعات – حكومية كانت أو أهلية – لترسيخ مفهوم وحدة الأمة، وخطورة التفرق، وأثر الإعلام في خدمة هذه الوحدة.

9. تشجيع المؤتمرات والمحاضرات: دعم المؤتمرات، والمنتديات العلمية والإعلامية، التي تبرز قيمة الوحدة وأثرها في تحقيق مصالح الأمة، وتناقش سبل مواجهة الإعلام المهدّد لها.

8. نقد المقاربات المعاصرة لوحدة الأمة في ضوء المنهج النصّي

إن الدعوة إلى الوحدة لا تكاد تجد شخصا داعيا او عالما او فرقة او مذهبا الا يدعوا اليها ولكن لا تظهر ثمرة هذه الدعاية على حال الأمة بل ولا حال مدعيه لذا لابد أن نبحث ونذكر الخطأ ومن خلال هذا الفصل نحاول أن ننقد بعض هذا الفكر ومدعيه، وإشكالياته.

8.1. إشكالية المعالجة الوعظية لمفهوم وحدة الأمة

ليس الإشكال في الدعوة إلى وحدة الأمة نابعًا من انعدام النصوص الشرعية الداعية إليها، ولا من قلّة الاستشهاد بها؛ إذ تزخر النصوص القرآنية والنبوية بالأمر بالاعتصام، والنهي عن التفرق، وقد سبق في هذه الدراسة عرض جملة وافرة من تلك النصوص. كما أن المشكلة لا تكمن – في الجملة – في غياب الوعظ بهذه النصوص أو الإعراض عنها، بل إن الإكثار من المعالجة الوعظية ذاتها قد يتحوّل، من حيث لا يشعر الداعي، إلى جزء من الإشكال.

ويتجلّى ذلك في أن الدعوة إلى وحدة الأمة، على كثرة تداولها واشتراك مختلف الاتجاهات الإسلامية في رفع شعارها، قد انحصرت في كثير من الأحيان في دائرة الوعظ الخطابي، دون أن تُترجم إلى مراجعة نقدية حقيقية للذات، سواء على مستوى الأفكار، أو السلوك، أو الانتماءات العلمية والمدرسية. فيبقى الوعظ موجَّهًا إلى "الآخرين"، بينما يغيب البدء بالنفس، وتصحيح المواقف، ومساءلة التصورات التي قد تكون – في ذاتها – من أسباب التفرق.

ومن هنا، فإن الاقتصار على الوعظ في قضية وحدة الأمة، دون إخضاع الخطاب الدعوي ذاته لمعيار النص الشرعي ومنهجه الواقعي المنصف، يُفضي إلى نوع من الازدواجية التي حذّر منها القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ * كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: 2–3].

ويظهر هذا النمط في عدد من الكتابات المعاصرة التي تُعالج قضية الوحدة معالجة خطابية عامة، دون بناء ضوابط نصية حاكمة، كما في بعض الدراسات التي ركّزت على الدعوة إلى الوحدة دون مناقشة منهج الاختلاف.

وعلاج هذه الإشكالية يقتضي من الداعي إلى وحدة الأمة أن يعي أن مشروع "جمع المختلفين" ليس خطابًا نظريًا سهلاً أبداً، بل هو مسار عملي شاق، يستلزم تحمّل الأذى، والصبر على النقد، والاستعداد لمراجعة الذات قبل مطالبة الآخرين بالمراجعة، وهو ما كان سمة ظاهرة في مسيرة الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم إلى الاجتماع على الحق.

ومع الإقرار بأن هذا الطرح نفسه قد يندرج -من حيث الصورة- في باب الوعظ، إلا أن التنبيه إليه يظل ضرورة منهجية، خاصة في الدراسات العلمية التي تُعنى بقضايا الوحدة؛ إذ إن البحث في هذا الباب لا ينفك عن البعد العملي والأخلاقي. فالمشتغل بدراسة وحدة الأمة، علمًا وتعليمًا، مطالب - ابتداءً- باستحضار مقصود العبادة، وابتغاء مرضاة الله تعالى، ثم توجيه هذا العلم لخدمة الخلق على الوجه الذي يرضيه، لا لمجرد إنتاج خطاب يُضاف إلى ما سبقه من دعوات لم تُثمر أثرها المنشود.

8.2.نقد المقاربة السياسية لوحدة الأمة

تُعدّ المقاربة السياسية لوحدة الأمة من أكثر المقاربات حضورًا في الخطاب المعاصر، غير أن الإشكال المنهجي فيها لا يكمن في أصل الاعتناء بالبعد السياسي، بل في اختزال مفهوم الوحدة فيه، أو اقتطاعه عن بقية مكوّناته العقدية والمنهجية. فالوحدة، حين تُعالج بوصفها مشروعًا سياسيًا مجردًا، مع إهمال الأسس العقدية والضوابط النصية، تتحوّل من مقصد شرعي جامع إلى أداة توظيف ظرفي، تتغيّر بتغيّر المصالح والتوازنات.

ولا شك أن الجانب السياسي يؤثّر في سائر جوانب الحياة العامة، الاجتماعية منها والاقتصادية وغيرها، إلا أن جعل السياسة منطلقًا وحيدًا للوحدة يُفضي إلى قلب ترتيب الأولويات، إذ تُقدَّم النتائج على الأصول، وتُطلب آثار الاجتماع قبل تحقيق شروطه الشرعية. وفي هذا السياق، يُلاحظ أن بعض الطروحات المعاصرة تركّز على جمع الكلمة سياسيًا، دون أن تُقيم اعتبارًا كافيًا للبناء العقدي والمنهجي الذي يُعدّ الأساس الحقيقي لاجتماع الأمة.

فالغاية الكبرى لدعوة الأنبياء -كما تقرر في النصوص- لم تكن إقامة كيان سياسي ابتداءً، وإنما إخراج الناس من ظلمات الشرك والانحراف إلى نور الإيمان والتوحيد، وضبط الاجتماع البشري بمنهج رباني عادل. ومن ثمّ، فإن أي مشروع وحدوي يتجاوز هذا الأساس، أو يؤجله لصالح توافقات سياسية آنية، يُعرّض مفهوم الوحدة للتفريغ من مضمونه الشرعي.

ويظهر الخلل بصورة أوضح حين تُطرح الوحدة السياسية في بيئة يغيب فيها الاتفاق على المرجعية العقدية والمنهجية، أو تُهمَل فيها ضوابط التعامل مع الاختلاف، فتُفرض أشكال من الاجتماع بين أطراف يتبادلون الإقصاء أو التكفير أو التخوين، دون تحريرٍ لمواضع الاتفاق، ولا ضبطٍ للأولويات، ولا مراعاة للفروق بين ما يُحتمل فيه الخلاف وما لا يُحتمل. ومثل هذا الاجتماع – وإن اتخذ صورة وحدوية في الظاهر – يظل هشًّا، سرعان ما يتفكك عند أول اختبار حقيقي.

ومن هنا، يتجلّى التعارض المنهجي في بعض الكتابات الداعية إلى وحدة الأمة؛ إذ ترفع شعار الوحدة في الخطاب النظري، بينما تُؤسّس في بنيتها التحليلية لمقاربة سياسية منفصلة عن الضبط النصي، الأمر الذي يُنتج تناقضًا بين المبدأ المعلن والآليات المقترحة لتحقيقه. وهو ما يستدعي إعادة النظر في هذه المقاربات، وردّ مفهوم الوحدة إلى إطاره الشرعي الشامل الذي يُوازن بين العقدي والمنهجي والسياسي، دون إخلال بمراتبها ولا تقديم فرعٍ على أصل.

8.3.نقد خطاب "التقريب المذهبي" غير المنضبط نصيًا

سبق في فصول هذه الدراسة عرض جملة من الجهود المؤسسية والفكرية التي سعت إلى التقريب بين المسلمين، مع الإشارة إلى بعض مواطن القوة والضعف في تلك المحاولات. غير أن الإشكال في هذا المبحث لا يتعلّق بتقييم تجربة بعينها، بقدر ما يتصل بأصل الخطاب التقريبي بين المذاهب، وحدوده المنهجية، وضوابطه النصية.

وقد تقرر فيما سبق أن الاتفاق على مذهب فقهي واحد، أو توحيد الآراء في أكثر المسائل الاجتهادية، لا يُعد شرطًا لتحقيق وحدة الأمة، ولا ضرورة شرعية لاجتماع المسلمين؛ إذ إن الخلاف الفقهي السائغ، القائم على الاجتهاد في فهم النصوص وتنزيلها، كان حاضرًا في تاريخ الأمة دون أن يُعدّ في ذاته سببًا لتمزيق وحدتها. ومن ثمّ، فإن السعي إلى التقريب بين اجتهادات فقهية لا تمسّ أصول الدين، ولا تُعد من أسباب التناحر والاقتتال، قد ينصرف أحيانًا إلى معالجة غير موضع الإشكال الحقيقي.

ولا يعني ذلك نفيَ مشروعية التناصح العلمي، أو المراجعة، أو التصويب بين المذاهب الفقهية؛ بل إن هذا من مقتضيات الأمانة العلمية، غير أن ذلك كلّه يفترض قبول التعدّد الفقهي في الجملة، والإقرار بأن المذاهب المبنية على الاستدلال بالنصوص لا تُعد خروجًا عن صراط الله المستقيم،

وإن لم تسلم – كغيرها – من الخطأ؛ إذ لا عصمة لأحد في الفتوى والاجتهاد سوى رسول الله ﷺ. ومن هنا، فإن تحويل الخلاف الفقهي إلى أداة إقصاء اجتماعي أو ديني -كما وقع في بعض الفترات من تحريم التزاوج، أو منع الاقتداء في الصلاة بين أتباع المذاهب- يُمثّل انحرافًا عن مقاصد الشريعة، لا نتيجة طبيعية للاختلاف الفقهي ذاته.

غير أن الإشكال الأشدّ خطورة يظهر حين يُنقل خطاب التقريب من المجال الفقهي الاجتهادي إلى المجال العقدي دون ضبطٍ نصّي صارم؛ إذ إن الخلاف العقدي، بخلاف الخلاف الفقهي، يتصل بأصول الإيمان ومنطلقات التصور، ولا يمكن تجاوزه بشعارات عامة أو توافقات شكلية. فالعقائد، بطبيعتها، تقوم على الاعتقاد بالحق ونفي ما عداه، ولا يستقيم -من حيث المنهج- الجمع بين الحق والباطل تحت دعوى الوحدة، ولا يُطلب من المكلّف أن يُسوّي بين ما يراه حقًا وما يعتقد بطلانه لإظهار صورة وحدوية متوهَّمة.

فالتقريب العقدي المطلق، الذي يتجاوز معايير النص، ويتغاضى عن التناقضات الجوهرية في أصول الاعتقاد، لا يمكن أن يُنتج وحدة حقيقية، بل يفضي -في الغالب- إلى تمييع المفاهيم، أو إخفاء الخلافات دون معالجتها، وهو ما يجعل هذا النوع من التقريب أقرب إلى الإرجاء المنهجي منه إلى الجمع الشرعي. كما أن إظهار الوحدة الشكلية على حساب القناعة العقدية لا ينسجم مع مقتضيات الأمانة العلمية ولا مع مقاصد الدعوة، إذ لا يُطلب من المسلم أن يُقلّد ما يراه باطلًا، أو يُساوي بين ما يعتقده حقًا وما يراه مخالفًا للنصوص، بدعوى المحافظة على وحدة الأمة.

ومن هنا، يمكن القول إن التقريب غير المنضبط نصّيًا، حين يُمارَس على إطلاقه، قد يتحوّل من وسيلة للوحدة إلى عامل من عوامل التفريق؛ لأنه يُربك المعايير، ويُضعف وضوح المنهج، ويُنتج توافقات هشة لا تصمد أمام أول خلاف حقيقي. الأمر الذي يستدعي إعادة بناء خطاب التقريب على أساس يفرّق بين مجالات الاختلاف، ويضبطه بضوابط النصوص، ويُحقّق الوحدة دون مصادرة الحق، أو تمييع الباطل.

8.4.نقد توظيف النصوص توظيفًا انتقائيًا في خطاب الوحدة

يأتي هذا المبحث مكمّلًا للمباحث السابقة، إذ ينتقل النقد فيه من تحليل المقاربات العامة إلى مساءلة آلية توظيف النصوص الشرعية في خطاب الدعوة إلى وحدة الأمة. ويُلاحظ في عدد من الطروحات

المعاصرة أن الاستدلال بالنصوص لا ينطلق دائمًا من قصد فهمها وضبط دلالاتها، بقدر ما يُوظَّف أحيانًا لإسناد تصورات مسبقة، أو لتبرير مواقف يراد الوصول إليها سلفًا، قال الشاطبي: " المبتدع من هذه الأمة; إنما ضل في أدلتها، حيث أخذها مأخذ الهوى والشهوة لا مأخذ الانقياد تحت أحكام الله، وهذا هو الفرق بين المبتدع وغيره، لأن المبتدع جعل الهوى أول مطالبه، وأخذ الأدلة بالتبع" [1] .

ويتجلّى هذا الخلل في انتقاء بعض النصوص، أو أجزاء منها، وإبرازها في سياق الدعوة إلى الوحدة، مع إغفال نصوص أخرى لا تنسجم مع الطرح المطروح، أو قد تُقيّده بضوابط وحدود. كما يُلاحظ تغليب ما يُسمّى بـ«المقاصد» على حساب النصوص الجزئية، دون تحرير دقيق لهذه المقاصد، أو إقامة دليلٍ صريح على اعتبارها مقاصد كلية معتبرة شرعًا، الأمر الذي يفتح الباب أمام ما يمكن تسميته بالمقاصد المتوهَّمة، التي تُقدَّم بوصفها غايات عظمى، مع غياب النص الجلي الدالّ عليها.

ويزداد الإشكال تعقيدًا حين يُقترن هذا التوظيف الانتقائي للنصوص بدعوات ضمنية أو صريحة إلى الولاء للخطاب الوحدوي ذاته، والبراءة ممن يخالفه، في تناقض ظاهر مع الدعوة المعلنة إلى جمع الكلمة ونبذ الإقصاء. فبدل أن يكون النص معيارًا يُحتكم إليه الجميع، يتحوّل إلى أداة اصطفاف، يُستدعى عند الحاجة، ويُتجاوز عند التعارض مع الرؤية المطروحة، جهلا، أو عمدا.

وفي جوهر هذا الخلل ابتعادٌ عن أصلٍ منهجيٍ راسخ، وهو التسليم لدلالات النصوص الشرعية تسليمًا منضبطًا، بحيث تُفهم الأولويات من داخل النص لا من خارجه، ويُقدَّم ما قدّمه الشرع، ويُؤخَّر ما أخّره، بغضّ النظر عن القناعات المسبقة أو التوجهات المقاصدية الخاصة. فليس للباحث أو الداعي أن يجعل ما يراه هو أولى مقدّمًا على ما دلّ عليه النص، ولا أن يُنزل النصوص منزلة ثانوية إذا خالفت تصوره لما ينبغي أن يكون.

ومن هنا، فإن الدعوة إلى وحدة الأمة، متى قامت على توظيف انتقائي للنصوص، أو على إعادة ترتيب أولويات الشرع وفق اعتبارات ذاتية أو ظرفية، فإنها تُفضي إلى نتائج عكسية؛ إذ تُضعف

---

(1) الشاطبي, *الاعتصام*, ١٧٧/١.

الثقة بالخطاب الوحدوي ذاته، وتُعمّق الخلاف بدل معالجته. أما الوحدة التي تؤسس على الفهم الشامل للنصوص، وجمعها، وردّ المتشابه إلى المحكم، وضبط المقاصد بالدلائل، فهي وحدها القادرة على أن تكون وحدة حقيقية، منضبطة، ومستقرة.

8.5.نحو منهج نصّي ضابط لمفهوم وحدة الأمة

مع ما سبق في فصول هذه الدراسة من تفصيلٍ لأسس وحدة الأمة ومقوماتها من خلال النصوص الشرعية، وبيان مظاهرها وآثارها، وتحليل أسباب التفرّق وموانع الاجتماع، فإن هذا المبحث لا يراد به إعادة عرض تلك الأسس أو تكرار نتائجها، بل يأتي خاتمةً منهجيةً للفصل النقدي، يهدف إلى تأطير ما تقدّم ضمن رؤية نصّيّة ضابطة، تُبيِّن المنطلق الصحيح لمعالجة قضية الوحدة، وتجمع بين النقد والبناء.

وانطلاقًا من ذلك، فإن معالجة ظاهرة التفرّق بين المسلمين، والبحث عن سبل تحقيق وحدة الأمة، لا يمكن أن تكون مسارًا مثمرًا ما لم تُبنَ على أصلٍ عقديٍّ ومنهجيٍّ واضح، وهو الاعتقاد الجازم بأن منهج علاج التفرّق، وأسس الاجتماع والوحدة، قد جاءت مُقرَّرة في النصوص الموحى بها من القرآن الكريم، وصحيح سنة رسول الله ﷺ. أما إذا غاب هذا الاعتقاد، أو جُعل محلَّ تشكيك أو تجاوز، فإن البحث عن أدوات توحيد الأمة خارج إطار النصوص يتحوّل إلى جهدٍ نظريٍّ لا يُنتظر منه أثرٌ عمليٌّ مستقر.

ومن هنا، فإن الأساس الأول لهذا المنهج النصّي يتمثل في الإيمان بأن النصوص الشرعية لا تقتصر على تقرير مبدأ الوحدة بوصفه قيمة أخلاقية عامة، بل تتضمن منهجية متكاملة لتحقيقها، تشمل الأصول العقدية، والضوابط المنهجية، وترتيب الأولويات، وآليات التعامل مع الاختلاف، وهو ما جرى تفصيله في الأبواب السابقة من هذه الدراسة، واستُحضِر هنا بوصفه قاعدة حاكمة للنقد والتقويم.

ويقوم الأساس الثاني لهذا المنهج على الاعتقاد بأن الرسول ﷺ قد بلّغ هذه المنهجية بيانًا وتطبيقًا، ولم تظل حبيسة التنظير؛ بل تجسدت واقعًا عمليًا في بناء الجماعة الأولى من الصحابة رضي الله عنهم، على اختلاف أصولهم القبلية، وتفاوت طبقاتهم الاجتماعية، وتباين تجاربهم السابقة. وقد كان

اجتماعهم ثمرة التزامهم بالمنهج النبوي في تلقي النصوص، وفهمها، وتنزيلها، لا مجرد توافقٍ عارض أو مصلحة ظرفية.

أما الأساس الثالث، فيتمثل في أن العودة المنضبطة إلى هذا المنهج النصّي النبوي، في أصوله وضوابطه، كفيلة -من حيث الأصل- بإنتاج الأثر نفسه، متى تحققت شروطه وانتفت موانعه؛ إذ لا تختلف سنن الهداية باختلاف الأزمنة، ولا تتبدل آثار الإيمان بتبدل السياقات، وإنما الذي يتغيّر هو مدى الالتزام بالمنهج. وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: 137]، كما يؤكّد هذا الأصل ما ورد في السنة النبوية من الإشارة إلى عودة الاجتماع على المنهج النبوي، كما في قوله ﷺ: «ثم تكون خلافة على منهاج نبوة» [1] ، وهو نصٌّ يدل بدلالته المنهجية على أن الاجتماع الممدوح شرعًا ليس اجتماع صورة أو شعار، وإنما اجتماع يقوم على منهاجٍ محدّد تُضبط به التصورات، وتُرتّب به الأولويات، وتُدار به الخلافات.

وبناءً على ذلك، فإن المنهج النصّي الضابط لمفهوم وحدة الأمة – كما خلص إليه هذا الفصل النقدي – لا يقوم على إلغاء الاختلاف، ولا على تذويبه، ولا على توظيف النصوص لخدمة تصورات مسبقة، بل على الالتزام الشامل بالنصوص فهمًا وتنزيلًا، وردّ قضايا الاجتماع والافتراق إلى ميزان الوحي، بحيث تكون النصوص هي الحاكمة على المشاريع، لا المشاريع حاكمة على النصوص. وبهذا تكتمل الحلقة المنهجية بين التأصيل، والنقد، والبناء، وتنتقل قضية وحدة الأمة من مستوى الشعار إلى مستوى المنهج القابل للتحقق.

---

(1) أحمد بن حنبل, *مسند أحمد*, رقم الحديث: ١٨٤٠٦، ٣٠/ ٣٥٥.

خاتمة الدراسة وبها أهم النتائج والتوصيات.

بعد استقراء النصوص الشرعية، وتتبع أقوال العلماء، وتحليل أسباب الوحدة وموانعها وآثارها، خلصت هذه الرسالة إلى جملةٍ من النتائج الجامعة، التي يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: أهم النتائج

- في أصل الوحدة وموقعها من الدين

دلت النصوص الشرعية دلالة قاطعة على أن وحدة المسلمين فريضة شرعية، وأن الاجتماع أصلٌ ثابت في الدين، وأن التفرق محرّم شرعًا.

إنّ الاستسلام للنصوص هو الأساس الذي تُبنى عليه الوحدة؛ فمتى خضع المسلمون لحكم الله ورسوله، زال كثير من أسباب الشقاق، واتحدت قلوبهم، حتى مع وجود الخلاف الفقهي والاجتهادي الطبيعي.

- في ارتباط الوحدة بالتوحيد والسنة

لا تتحقق وحدة الأمة التامة، والكاملة، والمؤثرة إلا بتحقيق التوحيد؛ إذ هو أصل الدين، وكلما ابتعدت الأمة عنه زاد التفرق فيما بينها.

اتباع سنة النبي ﷺ ومنهجه في التسليم والرفق والاعتدال من أعظم أسباب جمع الكلمة، وهو السبيل العملي لوحدة المنهج عند الاختلاف.

- في دور ولاة الأمور والعلماء

مسؤولية المحافظة على وحدة الأمة مشتركة، إلا أن أعظمها يقع على عاتق العلماء وولاة الأمر؛ فهم الذين تُناط بهم مهمة توجيه الأمة، وتعزيز الاجتماع، ورفع أسباب النزاع، وحلّ الخلافات بما شرع الله.

إنّ إضعاف الثقة بالعلماء والحكام يهدد استقرار الأمة، ويعرضها للفتن، ويُفقدها قدرتها على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية.

- في العلم والتنمية وأثرهما في الوحدة

الاهتمام بالعلوم الدنيوية والبحث العلمي ضرورة لحفظ مكانة الأمة، ومنع تبعيتها الثقافية والعلمية لغيرها.

رعاية العلماء والكفاءات، ومنع تسرب العقول، وذهابها، من أهم وسائل تقوية الوحدة المادية والمعنوية، ورعاية مصالح المسلمين.

- في طبيعة الخلاف وضوابطه

الخلاف العلمي لا يقدح في وحدة الأمة، ما دام منضبطًا بالقواعد الشرعية وأدب الحوار، ولا يعني بحالٍ خلط العقائد ولا إلغاء الاجتهاد.

يجوز استعمال المصطلحات العلمية مثل "البدعة" و"الفسق" في مواضعها بشرط العلم والإنصاف، دون غلوّ أو جفاء، ودون تحويل الخلاف العلمي إلى خصومة شخصية.

الإخلاص في الاجتهاد ومعرفة مراتب العلماء تُعينان على قبول الخلاف المشروع، وتجنّب التشنج في الحوار.

- في الأخلاق والآثار الاجتماعية للوحدة

الأخوة الإيمانية أصل جامع يعلو على العصبيات كلها، وتغرس معاني التراحم والتكافل التي يحتاجها المسلمون في كل عصر.

العبادات الجماعية كالحج والصلاة تصنع وحدة عملية ظاهرة، وتعمّق شعور الانتماء، وتقلل الفوارق الاجتماعية بين المسلمين.

القيم النبوية كالرفق وحسن الظن والعفو وغير ذلك تُعدّ من أهم ما يحفظ الوحدة ويمنع الشقاق.

- في الأمر بالمعروف ودوره في حماية الاجتماع

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حافظٌ لوحدة الأمة، يمنع الفتن، ويحمي من البدع والانحرافات، ويعد سياجًا يحفظ المجتمع من المعاصي، والتمزق.

- في خطورة القومية والعصبيات

التعصب القومي والعرقي من أبرز مظاهر الجاهلية، وقد أدى في العصر الحديث إلى تقسيم الأمة إلى دول متنازعة، مما أضعف هويتها الجامعة، ومكّن الأعداء من التدخل في شؤونها.

- في استغلال الأعداء لخلافات المسلمين

تستغل القوى المعادية ضعف الأمة وخلافاتها الداخلية عبر أساليب فكرية وثقافية وإعلامية، كالعلمانية والتنصير، لنشر الفتن وزعزعة الثقة بين المسلمين.

الغزو الفكري أخطر من العسكري؛ لأنه يستهدف العقول، ويهدم الهوية، ويجعل الأمة قابلة للهيمنة.

- في الجذور التاريخية للتفرق

الخلافات السياسية في صدر الإسلام، أدت إلى ظهور فرق كبرى كالخوارج والشيعة، ثم تطورت إلى انقسامات عقدية متشعبة.

دخول الفلسفات الأجنبية وظهور مذاهب كلامية أسهم في توسيع الخلاف العقدي.

الجهل بأصول الدين، والتكلم في المسائل بلا علم، كان ولا يزال من أبرز أسباب ظهور الفرق والانقسامات.

- في وسائل معالجة التفرق وتقوية الوحدة

اتباع النبي ﷺ وطاعة أوامره من أعظم أسباب جمع الكلمة، كما دلت عليه نصوص القرآن.

التركيز على المشتركات العقدية والشرعية، وترك الجدل فيما لا ثمرة فيه.

التحاكم إلى مقاصد الشريعة عند الخلاف يقرّب وجهات النظر ويمنع الشقاق إلى حد كبير.

الحوار الهادئ المبني على العلم، قد يساعد على إزالة الاحتقان ويعزز التقارب.

التوعية الشرعية عبر الخطب والدروس والإعلام المعتدل تسهم في تنبيه الأمة إلى خطورة التفرق، وتغرس معاني الأخوة والوحدة.

القصص القرآني والسيرة النبوية وسيلة فعّالة في بناء الوعي، وتثبيت قيم الاجتماع والاتحاد، ويمكن أن يستفاد منها في أنواع الإعلام المعاصر.

التمسك بمنهج السلف في الاعتقاد والاستدلال يحصّن الأمة من الانحرافات الفكرية ويقلل أسباب التفرق.

ثانيا: أهم التوصيات:

وفي ختام هذه الرسالة أوصي بجملةٍ من التوصيات العملية لتعزيز وحدة الأمة، يمكن إجمالها فيما يأتي:

- في مجال تعزيز الهوية والأخوة الإيمانية

نشر قيم الأخوة الإيمانية عبر وسائل الإعلام المختلفة؛ لما لها من أثرٍ مباشر في تقوية الروابط وتقليل أسباب الخلاف.

إعادة تشكيل الوعي تجاه مفهوم القومية، بحيث يُعاد بناؤه ضمن الهوية الإسلامية الجامعة، دون إلغاء محبة الوطن التي هي أمر فطري.

إطلاق مبادرات شبابية عبر وسائل التواصل لنشر قيم التوحيد والأخوة، ومواجهة الشبهات المثارة حول الدين.

- في مواجهة التعصب والفتن

التصدي للتعصب القومي والمذهبي بحملات توعية علمية وإعلامية تُبرز مخاطر هذه العصبيات على تماسك الأمة.

تنظيم برامج توعية للحد من التكفير والتبديع بغير حق، وإبراز خطورتهما على وحدة المسلمين، مع التركيز على ضبطهما بميزان العلم والاختصاص.

الحد من نشر الكتب والمحاضرات التي تُغذي الفتن والطائفية، وتوجيه النشر العلمي نحو ما يعزز الأخوة والإصلاح.

- في تعزيز المرجعية العلمية ودورها في الوحدة

دعم المجامع العلمية الدولية والمؤسسات الشرعية لتفعيل الاجتهاد الجماعي وإصدار فتاوى موحدة في القضايا الكبرى؛ لما لذلك من أثر في تقليل الخلافات المذهبية.

تدريب العلماء والدعاة على مهارات الحوار البنّاء، وحسن الظن، والاعتدال في النقد؛ تأسّيًا بمنهج السلف في الإصلاح واجتناب الشقاق.

التركيز على تدريس منهج السلف القائم على الكتاب والسنة في الجامعات والمدارس؛ لأنه يوفر حصانة فكرية من الانحرافات ويُقرب بين المذاهب.

- في إصلاح ذات البين والحوار بين المذاهب

إقامة مؤتمرات علمية تجمع علماء المذاهب الإسلامية لتعزيز التفاهم، وإذابة أسباب التوتر، وإحياء أدب الاختلاف المشروع.

تطوير مناهج تعليمية تُبرز المشتركات العقدية والفقهية بين المسلمين، وتُقلل من المجادلات المذهبية غير المنضبطة.

تفعيل دور الحكماء والعلماء في إصلاح ذات البين عبر مؤسسات منظمة تُعنى بتحقيق السلم الأهلي ومعالجة النزاعات.

- في مجال الإعلام والتعليم

تفعيل دور الإعلام الشفهي والمرئي والرقمي في نشر الوعي الصحيح، وتصحيح المفاهيم المغلوطة حول المذاهب، وبناء جسور التواصل بين المسلمين.

تقديم القصص القرآنية والسيرة النبوية بأساليب إعلامية حديثة.

تعزيز الخطاب الديني المعتدل في الخطب والمحاضرات.

- في مواجهة الغزو الفكري والشبهات

إعادة إحياء الجهود الدعوية في مواجهة الغزو الفكري، وخاصة العلمانية والأفكار المشابهة الجديدة، من خلال التعليم والإعلام والمنصات الرقمية.

إنشاء مراكز بحثية متخصصة لدراسة أسباب التفرق التاريخية والحديثة واقتراح حلول عملية واقعية.

نشر الوعي بخطورة الشبهات العقدية والفكرية التي تستهدف الشباب، وتقديم برامج تعليمية تحصّنهم منها.

- في تعزيز مظاهر الوحدة العملية

تشجيع المسلمين على العبادات الجماعية كالصلاة في المساجد والحج؛ لما تقدمه من نموذج عملي لوحدة الأمة.

إحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأسلوب حكيم يحقق المقصد من دون إثارة الفتن، عملاً بقوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

العناية ببحث قضية الوحدة الإسلامية في الدراسات العليا وتشجيع تناولها من زوايا متعددة: عقدية، اجتماعية، سياسية، وإعلامية.

الملحقات

نص قرار المجمع الفقهي الدولي [1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قرار رقم: 152 (1/17)

بشأن الإسلام والأمة الواحدة، والمذاهب العقدية والفقهية والتربوية

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته السابعة عشرة بعمان (المملكة الأردنية الهاشمية) من 28 جمادى الأولى إلى 2 جمادى الآخرة 1427هـ، الموافق 24-28 حزيران (يونيو) 2006م،

بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع الإسلام والأمة الواحدة، والمذاهب العقدية والفقهية والتربوية، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، واستعراض قرارات المؤتمر الإسلامي الدولي الذي عقد عام 1425هـ /2005م، والذي دعا لدراسة وتبني المبادئ التي حوتها رسالة عمّان، والتي تبناها منتدى العلماء والمفكرين الذي عقد بمكة المكرمة تمهيدًا لمؤتمر القمة الإسلامي الاستثنائي الثالث،

قرر ما يأتي:

أولًا :إن البحوث التي أُعدت في هذا الموضوع تتفق كلها على القواعد الأساسية العامة للإسلام، وتعتبر المذاهب العقدية والفقهية والتربوية اجتهادات لعلماء الإسلام قصد تيسير العمل به، وهي تتجه كلها إلى بناء وحدة الأمة وإثرائها فكرًا وتحقيقًا لرسالة الإسلام الخالدة، وتتلاقى بحوث هذا الموضوع مع الدراسات التي قدمت مضامين (رسالة عمّان) المشتملة على بيان وتوضيح حقيقة الإسلام ودوره في المجتمع المعاصر، وهي تستحق التقدير والإشادة بجهود جلالة الملك عبد الله

---

(1) منظمة التعاون الاسلامي, "موقع مجمع الفقه الاسلامي الدولي" (٢٠٢٥/٠٧/٢٢)-https://iifa , aifi.org/ar/2200.html.

الثاني ابن الحسين، حفظه الله، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، في تبنيها والتعريف بها على نطاق عالمي واسع.

ثانيًا :تأكيد القرارات الصادرة عن المؤتمر الإسلامي الدولي الذي عقد في عمّان (المملكة الأردنية الهاشمية) تحت عنوان (حقيقة الإسلام ودوره في المجتمع المعاصر) للتوافق بينها وبين ما اشتملت عليه الأبحاث والمناقشات في الموضوع. وقد أشارت ديباجة هذه القرارات إلى الفتاوى والقرارات الصادرة من هيئات الفتوى وكبار العلماء في المذاهب المتعددة بتأييد تلك القرارات، وهي:

(1) إنّ كلّ من يتبع أحد المذاهب الأربعة من أهل السُنة والجماعة (الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي) والمذهب الجعفري، والمذهب الزيدي، والمذهب الإباضي، والمذهب الظاهري، هو مسلم، ولا يجوز تكفيره. ويحرم دمه وعرضه وماله. وأيضًا، ووفقًا لما جاء في فتوى شيخ الأزهر، لا يجوز تكفير أصحاب العقيدة الأشعرية، ومن يمارس التصوّف الحقيقي. وكذلك لا يجوز تكفير أصحاب الفكر السلفي الصحيح.

كما لا يحوز تكفير أي فئة من المسلمين تؤمن بالله سبحانه وتعالى وبرسوله ﷺ وأركان الإيمان، وأركان الإسلام، ولا تنكر معلومًا من الدين بالضرورة.

(2) إنّ ما يجمع بين المذاهب أكثر بكثير مما بينها من الاختلاف. فأصحاب المذاهب الثمانية متفقون على المبادئ الأساسية للإسلام. فكلّهم يؤمنون بالله سبحانه وتعالى، واحدًا أحدًا، وبأنّ القرآن الكريم كلام الله المنزَّل المحفوظ من الله سبحانه والمصون عن التحريف، وبسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام نبيًّا ورسولًا للبشرية كافّة. وكلّهم متفقون على أركان الإسلام الخمسة: الشهادتين، والصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وعلى أركان الإيمان: الإيمان بالله، وملائكته، وكُتبه، ورُسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيرّه، وشرّه. واختلاف العلماء من أتباع المذاهب هو اختلاف في الفروع وبعض الأصول، وهو رحمة. وقديمًا قيل: إنّ اختلاف العلماء في الرأي رحمة واسعة.

(3) إنّ الاعتراف بالمذاهب في الإسلام يعني الالتزام بمنهجية معينة في الفتاوى: فلا يجوز لأحد أن يتصدّى للإفتاء دون مؤهلات علمية معينة، ولا يجوز الإفتاء دون التقيد بمنهجية المذاهب، ولا

يجوز لأحد أن يدّعي الاجتهاد ويستحدث رأيًا جديدًا أو يقدّم فتاوى مرفوضة تُخرج المسلمين عن قواعد الشريعة وثوابتها وما استقرَّ من مذاهبها.

(4) إنّ لُبّ موضوع رسالة عمّان التي صدرت في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك من عام 1425 للهجرة وقُرئت في مسجد الهاشميين، هو الالتزام بالمذاهب وبمنهجيتها؛ فالاعتراف بالمذاهب والتأكيد على الحوار والالتقاء بينها هو الذي يضمن الاعتدال والوسطية، والتسامح والرحمة، ومحاورة الآخرين.

(5) إننا ندعو إلى نبذ الخلاف بين المسلمين وإلى توحيد كلمتهم، ومواقفهم، وإلى التأكيد على احترام بعضهم لبعض، وإلى تعزيز التضامن بين شعوبهم ودولهم، وإلى تقوية روابط الأخوة التي تجمعهم على التحابّ في الله، وألاّ يتركوا مجالًا للفتنة وللتدخّل بينهم.

فالله سبحانه يقول: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الحجرات:10.]

(6) يؤكد المشاركون في المؤتمر الإسلامي الدولي، وهم يجتمعون في عمّان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، على مقربة من المسجد الأقصى المبارك والأراضي الفلسطينية المحتلة، على ضرورة بذل كلّ الجهود لحماية المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، في وجه ما يتعرض له من أخطار واعتداءات، وذلك بإنهاء الاحتلال وتحرير المقدسات. وكذلك ضرورة المحافظة على العتبات المقدسة في العراق وغيره.

(7) يؤكد المشاركون على ضرورة تعميق معاني الحرية واحترام الرأي والرأي الآخر في رحاب عالمنا الإسلامي. والحمد لله وحده.

ثالثًا :تأكيد قرار المجمع رقم 98 (1/11) بشأن الوحدة الإسلامية والتوصيات الملحقة به وتفعيل الآليات المطروحة فيه لتحقيق الوحدة الإسلامية والتي ختمت بالطلب من أمانة المجمع لتكوين لجنة من أعضائه وخبرائه يعتمد تشكيلها ومهامها من منظمة المؤتمر الإسلامي، لوضع دراسة عملية قابلة للتطبيق ووضع آليات تحقيق الوحدة في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

رابعًا :وضع قواعد عامة للقضايا المتفق عليها وإبرازها، وحصر قضايا الاختلاف وردّها إلى الأصول الشرعية التي تستند إليها، وعرض المذاهب بأمانة دون تحيز، في إطار تعظيم الجوامع واحترام الفروق. وعند الترجيح يراعى ما هو أقوى دليلًا وأكثر تحقيقًا للمقاصد الشرعية، دون تقديم المذهب الذي ينتمي إليه الباحث أو يسود في بعض البلاد أو المجتمعات.

خامسًا :تعليم الدارسين في الجامعات والثانويات فقه الوحدة الإسلامية وأدب الخلاف والمناظرة الهادفة وأهمها عدم الانتقاص من الآراء الأخرى عند اختيار رأي ما.

سادسًا :إحياء المذاهب التربوية الملتزمة بمقتضى الكتاب والسُنة، باعتبارها وسائل لتخفيف النزعة المادية الغالبة في هذه العصور، وللحماية من الاغترار بالمناهج السلوكية الطارئة المتجاهلة للمبادئ الإسلامية.

سابعًا :قيام علماء المذاهب بأنواعها بالتوعية بمنهج الاعتدال والوسطية بشتى الوسائل العملية من لقاءات بينية، وندوات علمية متخصصة، ومؤتمرات عامة، مع الاستفادة من المؤسسات المعنية بالتقريب بين المذاهب، بغرض تصحيح النظرة إلى المذاهب العقدية والفقهية والتربوية، باعتبارها مناهج متنوعة لتطبيق مبادئ الإسلام وأحكامه، ولأنّ الاختلاف بينها اختلاف تنوع وتكامل وليس اختلاف تضاد، وضرورة تعميم المعرفة بها وبخصائصها ومزاياها والاهتمام بأدبياتها.

ثامنًا :إنّ احترام المذاهب لا يحول دون النقد الهادف الذي يراد به توسيع نقاط الالتقاء، وتضييق نقاط الاختلاف. ولا بد من إتاحة فرص الحوار البناء بين المذاهب الإسلامية في ضوء كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، وذلك لتعزيز وحدة المسلمين.

تاسعًا :يجب التصدي للمذاهب والاتجاهات الفكرية المعاصرة التي تتعارض مع مقتضيات الكتاب والسُنة، فكما لا يسوغ الإفراط لا يجوز التفريط بقبول كلّ دعوة ولو كانت مريبة، ولا بد من إبراز الضوابط للحفاظ على استحقاق اسم الإسلام.

عاشرًا :التأكيد على عدم مسؤولية المذاهب العقدية والفقهية والتربوية عن أي ممارسات خاطئة تُرتكب باسمها من قتل للأبرياء وهتك للأعراض وإتلاف للأموال والممتلكات.

التوصيات:

(1) يوصي المجلس أمانة المجمع بعقد ندوات ولقاءات تهدف إلى معالجة الأسباب التي تكمن وراء تحول المذاهب -بأنواعها- إلى التنافر بين المنتمين إليها، بحيث يخشى مِن أن تتحول إلى عوامل تفريق للأمة، وذلك بإعادة بحث مقولات أو مستندات أُسيء فهمها أو تطبيقها أو الدعوة إليها، ومن ذلك:

(أ) مسألة الولاء والبراء.

(ب) حديث الفرقة الناجية، وما بُني عليه من نتائج.

(ج) ضوابط التكفير، والتفسيق، والتبديع، دون غلوّ أو تفريط.

(د) الحكم بالردة، وشروط تطبيق حدّها.

(ه) التوسع في الكبائر، وما يترتب على الوصف بارتكابها.

(و) التكفير لعدم التطبيق الشامل لأحكام الشريعة دون تفصيل بين الأحوال.

(2) يوصي المجلس الجهات المعنية في البلاد الإسلامية باتخاذ الإجراءات لمنع طبع أو نشر أو تداول المطبوعات التي تعمّق الفُرقة، أو تصف بعض المسلمين بالكفر أو الضلال دون مسوغ شرعي متفق عليه.

(3) يوصي المجلس الجهات المعنية بالاستمرار في تحقيق المرجعية الشاملة للشريعة الإسلامية في جميع القوانين والممارسات، كما بين المجمع في قرارات وتوصيات دوراته السابقة .

اتفاقية سايكس – بيكو [1]

9 أيار (مايو) 1916

- **المادة الأولى:**

إن فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميا أي دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربي في المنطقتين (أ) (داخلية سوريا) و (ب) (داخلية العراق) المبينتين في الخريطة الملحقة بهذا ويكون لفرنسا في منطقة (أ) ولإنكلترا في منطقة (ب) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية، وتنفرد فرنسا في منطقة (أ) وإنكلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب، بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية.

- **المادة الثانية:**

يباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء (شقة سورية الساحلية) ولإنكلترا في المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد حتى خليج فارس) إنشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية.

- **المادة الثالثة :**

تنشأ إدارة دولية في المنطقة السمراء (فلسطين) يعين شكلها بعد استشارة روسيا بالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة.

- **المادة الرابعة: تنال إنكلترا ما يأتي:**

1 .ميناء حيفا، وعكا.

---

(1) وزارة الإرشاد القومى, الهيئة العامة للاستعلامات, *ملف وثائق فلسطين* (مصر: وزارة الإرشاد القومى, الهيئة العامة للاستعلامات, د.ت), ١٩٣-١٩٧.

2 .يضمن مقدار محدود من ماء دجلة والفرات في المنطقة (أ) للمنطقة (ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بألا تدخل في مفاوضات ما مع دولة أخرى للتنازل عن قبرص إلا بعد موافقة الحكومة الفرنسوية مقدماً.

- **المادة الخامسة:**

تكون اسكندرونة ميناء حراً لتجارة الإمبراطورية البريطانية، ولا تنشأ معاملات مختلفة في رسوم الميناء، ولا ترفض تسهيلات خاصة للملاحة والبضائع البريطانية وتباح حرية النقل للبضائع الإنكليزية عن طريق اسكندرونة وسكة الحديد في المنطقة الزرقاء سواء كانت واردة إلى المنطقة الحمراء أو المنطقتين (أ) و (ب) أو صادرة منها. ولا تنشأ معاملات مختلفة (مباشرة أو غير مباشرة) على أي سكة من سكك الحديد أو في أي ميناء من موانئ المناطق المذكورة تمس البضائع والبواخر البريطانية.

وتكون حيفا ميناء حراً لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها ولا يقع اختلاف في المعاملات ولا يرفض إعطاء تسهيلات للملاحة والبضائع الفرنسوية ويكون نقل البضائع الفرنسوية حراً بطريق حيفا وعلى سكة الحديد الإنكليزية في المنطقة السمراء، سواء كانت البضائع صادرة من المنطقة الزرقاء أو الحمراء أو المنطقة (أ) أو المنطقة (ب) أو واردة إليها ولا يجري أدنى اختلاف في المعاملة بالذات أو بالتبع يمس البضائع أو البواخر الفرنسوية في أي سكة من السكك الحديد ولا في ميناء من الموانئ في المناطق المذكورة.

- **المادة السادسة:**

لا تُمد سكة حديد بغداد في المنطقة (أ) إلى ما بعد الموصل جنوباً ولا في المنطقة (ب) إلى ما بعد سامرا شمالاً إلى أن يتم إنشاء خط حديدي يصل بغداد بحلب ماراً بوادي الفرات ويكون ذلك بمساعدة الحكومتين.

- **المادة السابعة:**

يحق لبريطانيا العظمى أن تُنشئ وتُدير وتكون المالكة الوحيدة لخط حديدي يصل حيفا بالمنطقة (ب)، ويكون لها ما عدا ذلك حق دائم بنقل الجنود في أي وقت كان على طول هذا الخط. ويجب أن يكون معلوماً لدى الحكومتين، أن هذا الخط يجب أن يسهل اتصال حيفا ببغداد، وأنه إذا حالت دون إنشاء خط الاتصال في المنطقة السمراء مصاعب فنية ونفقات وافرة لإدارته تجعل إنشاءه متعذراً، فالحكومة الفرنسوية تكون مستعدة أن تسمح بمروره في طريق بربورة – أم قيس – ملقى – ايدار – غسطا – مغاير، قبل أن يصل إلى المنطقة (ب).

- **المادة الثامنة:**

تبقى تعريفة الجمارك التركية نافذة عشرين سنة في جميع جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء والمنطقتين (أ) و(ب) فلا تضاف أي علاوة على الرسوم ولا تبدل قاعدة التثمين في الرسوم بقاعدة أخذ العين إلا أن يكون باتفاق بين الحكومتين. ولا تنشأ جمارك داخلية بين أية منطقة وأخرى من المناطق المذكورة أعلاه وما يفرض من رسوم الجمرك على البضائع المرسلة إلى الداخل يدفع في الميناء ويعطى لإدارة المنطقة المرسلة إليها البضائع.

- **المادة التاسعة:**

من المتفق عليه أن الحكومة الفرنسوية لا تجري مفاوضة في أي وقت كان للتنازل عن حقوقها، ولا تعطي ما لها من الحقوق في المنطقة الزرقاء لدولة أخرى إلا للدولة أو حلف الدول العربية بدون أن توافق على ذلك سلفاً حكومة جلالة الملك التي تتعهد للحكومة الفرنسوية بمثل هذا في ما يتعلق بالمنطقة الحمراء.

- **المادة العاشرة:**

تتفق الحكومتان الإنكليزية والفرنسوية بصفتهما حاميتين للدولة العربية، على أن لا تمتلكا ولا تسمحا لدولة ثالثة أن تمتلك أقطاراً في شبه جزيرة العرب، أو تنشئ قاعدة بحرية في الجزائر على ساحل البحر الأبيض الشرقي على أن هذا لا يمنع تصحيحاً في حدود عدن، قد يصبح ضرورياً لسبب عداء الترك الأخير.

- **المادة الحادية عشرة:**

تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتعيين حدود الدولة أو حلف الدول العربية.

- **المادة الثانية عشرة:**

من المتفق عليه عدا ما ذكر أن تنظر الحكومتان في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح إلى البلاد العربية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر بعد القرآن الكريم

آن دُوزِي, رينهارت بيتر. *تكملة المعاجم العربية*. الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والإعلام, الأولى., من ١٩٧٩ م إلى ٢٠٠٠ م.

أبا حسين, أبو عبد الرحمن إبراهيم بن سعد. *معجم التوحيد*. د. م: دار القبس للنشر والتوزيع, الأولى., ٢٠١٤ م.

ابن أبي شيبة, أبو بكر عبد الله بن محمد. *المصنف*. تحقيق سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري. ٢٥ مجلد. الرياض: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع, الأولى., ٢٠١٥ م.

ابن الأثير الجزري, مجد الدين أبو السعادات المبارك بن. *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي. ٥ مجلد. بيروت: المكتبة العلمية, الأولى., 1399.

ابن الجوزي, جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. *التبصرة*. بيروت: دار الكتب العلمية, الأولى., ١٩٨٦.

ابن الجوزي, جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. *زاد المسير في علم التفسير*. تحقيق عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار الكتاب العربي, الأولى., 1422.

ابن العربي, محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي. *المسالك في شرح موطأ مالك*. د. م: دار الغرب الاسلامي, الأولى., ٢٠٠٧ م.

ابن العربي, محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي. *سراج المريدين فى سبيل الدين*. طنجة - المغرب، بيروت - لبنان: دار التحديث الكتانية, الأولى., ٢٠١٧.

ابن العلاء المالكي, أبو الفضل بكر بن محمد. *أحكام القرآن*. تحقيق سلمان الصمدي. دبي- الإمارات العربية المتحدة: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم, الأولى., ٢٠١٦ م.

ابن القصار, أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي المالكي. *المقدمة في الأصول*. تحقيق محمد بن الحُسين السليماني. تونس: دار الغرب الإسلامي, الأولى., ١٩٩٦م.

ابن القيم الجوزية, ابن امحمد بن أبي بكر أيوب بن سعد شمس الدين. *زاد المعاد في هدي خير العباد*. تحقيق شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة, الأولى., 1994.

ابن القيم الجوزية, محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*. تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي. بيروت: دار الكتاب العربي, الثالثة., ١٩٩٦.

ابن المنذر, أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري. *كتاب تفسير القرآن*. تحقيق سعد بن محمد السعد. ٢ مجلد. المدينة المنورة: دار المآثر, الأولى., ٢٠٠٢.

ابن بطال, أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. *شرح صحيح البخاري لابن بطال*. تحقيق أبو تميم ياسر ابراهيم. الرياض: مكتبة الرشد, الثالثة., ٢٠٠٣ م.

ابن بطة, أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بَطَّة العكبري. *الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة*. تحقيق رضا معطي وآخرون. الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع, د. ط., ١٤١٨ هـ.

ابن بيدكين التركماني, إدريس بن بيدكين بن عبد الله التركماني الحنفي. *اللمع في الحوادث والبدع*. تحقيق دار الكوثر للتراث. بيروت: دار ابن حزم, الأولى., ٢٠١٣ م.

ابن تيمية, أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. *جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية*. تحقيق محمد عزير شمس. الرياض - بيروت: دار عطاءات العلم - دار ابن حزم, الثالثة., ٢٠١٩ م.

ابن تيمية, تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. *الزهد والورع والعبادة*. تحقيق حماد سلامة, محمد عويضة. الأردن: مكتبة المنار, الأولى., ١٤٠٧ هـ.

ابن تيمية, تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. *الاستقامة*. تحقيق محمد رشاد سالم. رياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, الأولى., ١٩٨٣.

ابن تيمية, تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*. تحقيق علي بن حسن وآخرون. السعودية: دار العاصمة, الثانية., د.ت.

ابن تيمية, مجموع الفتاوى. *مجموع الفتاوى*. تحقيق عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم. ٣٥ مجلد. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, د. ط., ٢٠٠٤.

ابن حجر العسقلاني, أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين. *تهذيب التهذيب*. تحقيق إبراهيم الزيبق - عادل مرشد. بيروت: مؤسسة الرسالة, الأولى., ٢٠١٤ م.

ابن حجر العسقلاني, أحمد بن علي. *فتح الباري بشرح البخاري*. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - محب الدين الخطيب. ١٤ مجلد. مصر: المكتبة السلفية, الأولى., 1380.

ابن حزم, أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. *الإحكام في أصول الأحكام*. تحقيق أحمد محمد شاكر. ٨ مجلد. بيروت: دار الآفاق الجديدة, د.ط., د. ت.

ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد بن محمد. *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*. تحقيق خليل شحادة. ٨ مجلد. بيروت: دار الفكر, الأولى., ١٩٨١.

ابن طيفور, أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر. *كتاب بغداد*. تحقيق السيد عزت العطار الحسيني. القاهرة: مكتبة الخانجي, الثالثة., ٢٠٠٢ م.

ابن عادل, أبو حفص عمر بن علي. *اللباب في علوم الكتاب*. تحقيق علي محمد معوض - عادل عبد الموجود. بيروت: دار الكتب العلمية, الأولى., 1419.

ابن عاشور, محمد الطاهر. *التحرير والتنوير*. ٣٠ مجلد. تونس: الدار التونسية للنشر, د. ط., ١٩٨٤.

ابن عبد البر, أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي. *الاستذكار*. تحقيق سالم محمد عطا - محمد علي معوض. بيروت: دار الكتب العلمية, الأولى., ٢٠٠٠ م.

ابن عبد البر, أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد*. تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي - محمد عبد الكبير البكري. المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية, د. ط., ١٣٨٧ هـ.

ابن فارس, أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. *مقاييس اللغة*. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ٦ مجلد. بيروت: شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر, الثانية., ١٩٧٢ م.

ابن قتيبة, أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. *تأويل مشكل القرآن*. تحقيق إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية, د. ط., د. ت.

ابن كثير, عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر. *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق محمد حسين شمس الدين. ٩ مجلد. بيروت: دار الكتب العلمية, الأولى., ١٩٩٨.

ابن كمال باشا, شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال. *تفسير ابن كمال باشا*. تحقيق ماهر أديب حبوش. اسطنبول: مكتبة الإرشاد, الأولى., ٢٠١٨.

ابن ماجه, أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. *سنن ابن ماجه*. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ٢ مجلد. د. م: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي, د. ط., د. ت.

ابن مرشد, أحمد بن صالح بن عمر. *درر من تفسير القرطبي*. د. م: د. ن, د. ط., ١٤٤٤ هـ.

ابن منظور, محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين. *لسان العرب*. ١٥ مجلد. بيروت: دار صادر, الطبعة الثالثة., ١٤١٤هـ.

أبو البقاء, أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي. *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*. تحقيق عدنان درويش - محمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة, د. ط., د. ت.

أبو الربيع الكلاعي, سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي الأندلسي. *الاكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفا*. تحقيق محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية, الأولى., د.ت.

أبو العباس القرطبي, أحمد بن عمر بن إبراهيم. *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*. تحقيق محيي الدين ديب ميستو وآخرون. دمشق- بيروت: دار ابن كثير- دار الكلم الطيب, الأولى., ١٩٩٦ م.

أبو القاسم النيسابوري, محمود بن أبى الحسن بن الحسين. *إيجاز البيان عن معاني القرآن*. تحقيق حنيف بن حسن القاسمي. بيروت: دار الغرب الإسلامي, الأولى., ١٤١٥ هـ.

أبو حيان الأندلسي, محمد بن يوسف، *البحر المحيط*. بيروت: دار الفكر, ٢٠٠٠ م.

أبو داود, سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني. *سنن أبي داود*. تحقيق شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي. د. م: دار الرسالة العالمية, الأولى., ٢٠٠٩ م.

أبو زهرة, محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. *زهرة التفاسير*. د. م: دار الفكر العربي, د. ط., د. ت.

أبو عودة, أحمد منصور. *وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية دراسة موضوعية*. غزة: الجامعة الإسلامية- غزة, ماجستير, ٢٠٠٩.

أحمد بن حنبل, أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة, الأولى., ٢٠٠١ م.

أحمد, رجاء محمد صالح - العمراني, محمد زين الهادي الحاج علي. *عناصر الوحدة الإسلامية في المنهج النبوي وأثرها في الدعوة: دراسة وصفية تحليلية*. أم درمان: أم درمان الإسلامية, دكتوراه, ٢٠١٥ http://search.mandumah.com/Record/794178 .

أحمد فرج. *جذور العلمانية*. المنصورة - مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع, الرابعة., ١٩٩٠ م.

أحمد مختار عمر. *معجم اللغة العربية المعاصرة*. د. م: عالم الكتب, الأولى., ٢٠٠٨.

ادراعو, عبد الغني. *وحدة الأمة الإسلامية: الأسباب والآثار والمعوقات كما بينها القرآن الكريم*. ماليزيا: المدينة العالمية, ماجستير, ٢٠١٤ . https://wikiquran.nyc3.digitaloceanspaces.com/attachments/documents/BOOK_21973_1.pdf

الآلوسي, أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تحقيق علي عبد الباري عطية. ١٦ مجلد. بيروت: دار الكتب العلمية, الأولى., ١٩٩٤.

الأثري, عبد الله بن عبد الحميد. *الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة*. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد, الأولى., ١٤٢٢هـ.

الأرمي الهرري, محمد الأمين بن عبد الله. *حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*. بيروت: دار طوق النجاة, الأولى., ٢٠٠١ م.

الأزهر الشريف . "https://www.azhar.eg/scholars/details/ArtMID/9658/ArticleID/9126/5", د.ت.

الأزهري, أبو منصور، محمد بن أحمد. *تهذيب اللغة*. تحقيق محمد عوض مرعب. ١٥ مجلد. بيروت: دار إحياء التراث العربي, الأولى., ٢٠٠١.

الأشعري, أبو الحسن علي بن إسماعيل. *الإبانة عن أصول الديانة*. تحقيق صالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي التميمي العصيمي. الرياض: دار الفضيلة, الأولى., ٢٠١١ م.

الأمير الصنعاني, محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، *التَّنوير شرح الجامع الصَّغِير*. تحقيق د. محمد اسحاق محمَّد إبراهيم. الرياض: مكتبة دار السلام, الأولى., ٢٠١١.

الأنصاري, زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا، زين الدين أبو يحيى. *الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة*. تحقيق مازن المبارك. بيروت: دار الفكر المعاصر, الأولى., ١٤١١.

الإيجي, عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد - سيد شريف. *المواقف وشرحها*. قم: الشريف الرضي, الأولى., ١٩٤٧.

البخاري, أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل. *صحيح البخاري*. تحقيق د. مصطفى ديب البغا. ٧ مجلد. دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة, ١٩٩٣.

البركتي, محمد عميم الإحسان. *التعريفات الفقهية*. بيروت: دار الكتب العلمية, الأولى., ٢٠٠٣.

البزار, أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي. *مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار*. تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وآخرون. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم, الأولى., ١٩٨٨ م-٢٠٠٩ م.

البغوي, محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود. *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع, الرابعة., ١٩٩٧.

البقاعي, برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر. *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. حيدر آباد - الهند: دائرة المعارف العثمانية, الأولى., 1969.

البكري, محمد بن عبد الله بن منصور. *دور رابطة العالم الاسلامي في نشر لثقافة الاسلامية*. المدينة المنورة: أم القرى, ماجستير, ١٤٣١-١٤٣٢ هـ.

البهنساوي, سالم علي. *تهافت العلمانية في الصحافة العربية*. المنصورة - مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع, الأولى., ١٩٩٠ م.

البيانوني, محمد أبو الفتح. *المدخل إلى علم الدعوة*. بيروت: مؤسسة الرسالة, د. ط., ١٤١٥هـ.

البيضاوي, القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر. *تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة*. تحقيق لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب. كويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت, الأولى., 1433.

البيهقي, أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي. *السنن الكبرى*. تحقيق محمد عبد القادر عطا. ١١ مجلد. بيروت: دار الكتب العلمية, الثالثة., ٢٠٠٣ م.

البيهقي, أبو بكر أحمد بن علي. *أحكام القرآن للشافعي*. تحقيق عبد الغني عبد الخالق. القاهرة: مكتبة الخانجي, الثانية., 1414.

البيهقي, أبو بكر أحمد بن علي بن حسين. *شعب الإيمان*. ٩ مجلد. بيروت: دار الكتب العلمية, الأولى., ٢٠٠٠ م.

الترمذي, أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، *سنن الترمذي*. تحقيق أحمد محمد شاكر - محمد فؤاد عبد الباقي. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي, الثانية., ١٩٧٥.

التستري, أبو محمد سهل بن عبد الله. *تفسير التستري*. تحقيق محمد باسل عيون السود. بيروت: دار الكتب العلمية, الأولى., ٢٠٠٢ م.

التهانوي, محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي. *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*. تحقيق علي دحروج. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون, الأولى., ١٩٩٦ م.

الثعلبي, أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم. *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*. تحقيق أبو محمد ابن عاشور. بيروت: دار إحياء التراث العربي, الأولى., ٢٠٠٢ م.

الجرجاني, علي بن محمد بن علي الزين الشريف. *كتاب التعريفات*. تحقيق ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. بيروت: دار الكتب العلمية, الأولى., ١٩٨٣.

الجصاص, أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص. *الفصول في الأصول*. الكويت: وزارة الأوقاف الكويتية, الثانية., ١٩٩٤ م.

الجوهري, أبو القاسم ، عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي. *مسند الموطأ للجوهري*. تحقيق لطفي بن محمد الصغير - طه بن علي ابو سريح. بيروت: دار الغرب الإسلامي, الأولى., ١٩٩٧ م.

الجوهري, أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي. *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين, الرابعة., ١٩٨٧ م.

الحاكم, أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري. *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية, الأولى., ١٩٩٠ م.

الحريش, جمعان ظاهر ماضي. *مشكلة الافتراق في الفكر الإسلامي أسبابها وطرق علاجها*. مصر: جامعة القاهرة, دكتوراه, ٢٠٠١ م.

الحموي, أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين. *غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر*. بيروت: دار الكتب العلمية, الأولى., ١٩٨٥.

الحميري اليمني, نشوان بن سعيد. *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*. تحقيق حسين بن عبد الله العمري وآخرون. (بيروت-لبنان)، (دمشق-سوريا): دار الفكر المعاصر، دار الفكر, الأولى., ١٩٩٩.

الحوالي, سفر بن عبد الرحمن. *العلمانيَّة - نشأتهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة*. د. م: دار الهجرة, د. ط., د. ت.

الحوّى, سعيد بن محمد ديب. *الأساس في التفسير*. القاهرة: دار السلام, الأولى., ١٩٨٥ م.

الخطيب البغدادي, أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت. *تاريخ بغداد*. تحقيق بشار عواد معروف. ١٧ مجلد. بيروت: دار الغرب الإسلامي, الأولى., ٢٠٠٢.

الخطيب, محمد عجاج. *أضواء على الإعلام في صدر الإسلام*. بيروت: مؤسسة الرسالة, الثانية., ١٩٨٧ م.

الخليفة, د. مجيد. *مفهوم الفرقة عند العلماء المسلمين*. بغداد: د. ن, الأولى., ٢٠١٤ . https://archive.org/details/20230120_20230120_0614/page/n1/mode/2up

الدار قطني, أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي. *سنن الدار قطني*. تحقيق شعيب الارنؤوط, وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة, الأولى., ٢٠٠٤ م.

الدرة, محمد علي طه. *تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه*. دمشق: دار ابن كثير, الأولى., ٢٠٠٩ م.

الذهلي, يحيى بن (هبيرة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين. *الإفصاح عن معاني الصحاح*. تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد. د. م: دار الوطن, د. ط., ١٤١٧ هـ.

الرازي, أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. *مفاتيح الغيب*. بيروت: دار الكتب العلمية, الأولى., ٢٠٠٠.

الراغب الاصفهاني, أبو القاسم الحسين بن محمد. *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق صفوان عدنان الداودي. دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية, ط١., ١٤١٢هـ.

الرفاعي, محمد خليل. "مجلة جامعة دمشق". *دور الإعلام في العصر الرقمي في تشكيل قيم الأسرة العربية -دراسة تحليلية* ٢٧/١+٢ (٢٠١١ م).

الزبيدي, أبو الفيض، محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق مجموعة من المتخصصين. ٤٠ مجلد. كويت: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت, د. ط., ١٩٦٥-٢٠٠١.

الزجاج, أبو اسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل. *معاني القرآن وإعرابه*. تحقيق عبد الجليل عبده شلبي. بيروت: عالم الكتب, الأولى., ١٩٨٨ م.

الزحيلي, وهبة. *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. (بيروت-لبنان)، (دمشق-سوريا): دار الفكر المعاصر، دار الفكر, الأولى., ١٩٩١ م.

الزرقاني, محمد عبد العظيم. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. د. م: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه, الثانية., د. ت.

الزركشي, أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. *البحر المحيط في أصول الفقه*. د. م: دار الكتبي, الأولى., ١٩٩٤ م.

الزمخشري, أبو القاسم محمود بن عمر. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. تحقيق مصطفى حسين أحمد. القاهرة، بيروت: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي, الثالثة., ١٩٨٧ م.

الزين, محمد فاروق فارس. *بيان النظم في القرآن الكريم*. دمشق: دار الفكر, الأولى., د.ت.

السعدي, عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. بيروت: مؤسسة الرسالة, الأولى., ٢٠٠٠ م.

السمرقندي, أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. *بحر العلوم*. د. م: المكتبة الشاملة, د. ط., د. ت.

السيوطي, جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر. *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. ١٧ مجلد. القاهرة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية, الأولى., ٢٠٠٣.

السيوطي, جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر. *تنوير الحوالك شرح موطأ مالك*. مصر: المكتبة التجارية الكبرى, د. ط., ١٩٦٩ م.

الشاطبي, إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي. *الاعتصام*. تحقيق سليم بن عيد الهلالي. ٢ مجلد. السعودية: دار ابن عفان, الأولى., ١٩٩٢.

الشاطبي, أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي. *الموافقات*. تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان مشهور آل سلمان. الأولى: دار ابن عفان, د. ط., ١٩٩٧ م.

الشحود, علي بن نايف. *الخلاصة في حكم الاستعانة بالكفار في القتال*. د. م: د. ن, الأولى., ٢٠١١ م.

الشعراوي, محمد متولي. *الخواطر*. د. م: مطابع أخبار اليوم, د. ط., ١٩٧٧ م.

الشمري, عامر شاهر خليف - عبد الحميد, محمد حمد. *وحدة الأمة المسلمة: دراسة مقاصدية*. المفرق: جامعة آل البيت, ماجستير, ٢٠٢٠.

الشنقيطي, سيد محمد ساداتي. *الأسس الفكرية للإعلام*. المملكة العربية السعودية: دار الحضارة للنشر والتوزيع, الطبعة الأولى., 1986.

الشنقيطي, سيد محمد ساداتي. *مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم*. الرياض: دار عالم الكتب, الأولى., ١٩٨٦ م.

الشوكاني, محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. *فتح القدير*. دمشق- بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب, الأولى., ١٤١٤هـ.

الشيرازي الصباغ, عبد اللطيف الشيخ توفيق. "دعوة إلى كلمة سواء بين المذاهب الاسلامية محاولة في التقريب والتعاون بين مذاهب الأمة الاسلامية". محاضرة. *منتدى الفكر الإسلامي*, ٢٠٠٧iifa-aifi.org .

الصابوني, محمد علي. *صفوة التفاسير*. القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع, الأولى., ١٩٩٧ م.

الصدر المناوي, صدر الدين محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي. *كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح*. تحقيق د. محمد إسحاق محمد إبراهيم. ٥ مجلد. بيروت: الدار العربية للموسوعات, الأولى., ٢٠٠٤ م.

الصنعاني, محمد بن إسماعيل. *سبل السلام*. القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي, الرابعة., 1960.

الطبراني, أبو القاسم سليمان بن أحمد. *المعجم الأوسط*. تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد, أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. القاهرة: دار الحرمين, د. ط., ١٩٩٥ م.

الطبراني, سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم. *مكارم الأخلاق*. تحقيق أحمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية, الأولى., ١٩٨٩ م.

الطبري, أبو جعفر محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق د عبد الله بن عبد المحسن التركي. القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر, الأولى., 2001.

الطحاوي, أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزديّ. *العقيدة الطحاوية*. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. بيروت: المكتب الإسلامي, الثانية., ١٤١٤ هـ.

الطلابي, محمد محمود أحمد أبات. *الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم*. المكة المكرمة: إدارة المطبوعات- مطبعة البلاغ, د. ط., ١٤١٢ هـ.

الطنطاوي, محمد سيد. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, الأولى., ١٩٩٧-١٩٩٨ م.

الطيار, عبد الله بن محمد بن أحمد. *بحوث ومقالات في التحذير من الحزبية*. الزلفي- المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية, الأولى., ٢٠٢٤ م.

العجيل, أحمد. "مجلة الإعلام والعلوم الاجتماعية للأبحاث التخصصية". *وسائل الإعلام ودورها في صناعة الرأي العام* ٠١/٠٦ (نيسان ٢٠٢٣), ٣٣.

العز بن عبد السلام, أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء. *الفوائد في اختصار المقاصد*. تحقيق إياد خالد الطباع. دمشق: دار الفكر المعاصر, الأولى., ١٤١٦.

العظيم آبادي, محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، *عون المعبود شرح سنن أبي داود*. بيروت: دار الكتب العلمية, الثانية., 1415.

العمودي, بندر بن محمد بن حسين - محمد, عثمان أحمد عثمان. *أثر مجمع الفقه الإسلامي الدولي في وحدة الأمة الإسلامية*. أم درمان: أم درمان الإسلامية, ماجستير, ٢٠١٨.

العيني, بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد. *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. ١٢ مجلد. بيروت: دار إحياء التراث العربي - دار الفكر, د. ط., د. ت.

الغامدي, أحمد بن سعد حمدان. "الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة". *الوحدة الإسلامية أسسها ووسائل تحقيقها* ٦٥-٦٦ (١٤٠٥ هـ), ٧٠.

الغزالي, أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي. *إحياء علوم الدين*. بيروت: دار المعرفة, د. ط., د. ت.

الفراهيدي, أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم. *العين*. تحقيق مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي. د. م: دار ومكتبة الهلال, د. ط., د. ت.

الفيروزآبادي, مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. *القاموس المحيط*. تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. بيروت: مؤسسة الرسالة, الثامنة., ٢٠٠٥.

الفيومي, أحمد بن محمد بن علي ، أبو العباس. *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. ٢ مجلد. بيروت: المكتبة العلمية, د.ط., د. ت.

القدومي, سامي وديع عبد الفتاح شحادة. *التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني*. الأردن- عمان: دار الوضاح, د. ط., د. ت.

القرافي, شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس المصري المالكي. *الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام*. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. بيروت: دار البشائر الإسلامية, الثانية., ١٩٩٥.

القرطبي, أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري. *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش. ٢٠ جزء في ١٠ مجلدات مجلد. القاهرة: دار الكتب المصرية, الثانية., ١٩٦٤.

القرني, عوض بن محمد. *العلمانية التاريخ والفكرة*. د. م: د. ن, د. ط., د. ت.

الكرماني, أبو القاسم محمود بن حمزة. *لباب التفاسير*. تحقيق أربع رسائل دكتوراة بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. د. م: د. ن, د، ط., د. ت.

اللجنة العلمية بجمعية الترتيل. *العلمانية، الليبرالية، الديمقراطية، الدولة المدنية في ميزان الإسلام*. د. م, الثالثة., د. ت.

المؤتمر الدولى للوحدة الاسلامية ,"iuc.taqrib.ir/" .د.ت.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. *موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة*. مصر: د. ن, د. ط., د. ت.

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ,"taqrib.ir/ar" .د.ت.

المجمع الفقه الاسلامي. "موقع المجمع الفقه الاسلامي *ar.themwl.org*, ."د.ت . https://ar.themwl.org

المحاسبي, الحارث بن أسد. *رسالة المسترشدين*. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. حلب-سوريا: مكتب المطبوعات الإسلامية, الثانية., د.ت.

المظهري, محمد ثناء الله الهندي. *التفسير المظهري*. تحقيق غلام نبي التونسي. الباكستان: مكتبة الرشدية, د. ط., ١٤١٢ هـ.

المناوي, زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين. *التيسير بشرح الجامع الصغير*. الرياض: مكتبة الإمام الشافعي, الثالثة., ١٩٨٨ م.

المناوي, زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري. *فيض القدير شرح الجامع الصغير*. مصر: المكتبة التجارية الكبرى, الأولى., ١٣٥٦ هـ.

المناوي, زين الدين، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين. *التوقيف على مهمات التعاريف*. تحقيق عبد الحميد صالح حمدان. القاهرة: عالم الكتب, الأولى., ١٩٩٠.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي. *الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية – النظرية والتطبيق*. الرياض: منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي, الأولى., ١٩٧٩ م.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي. *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة*. تحقيق مانع بن حماد الجهني. الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع, الخامسة., ٢٠٠٣ م.

النسفي, عبد الله بن احمد. *تفسير النسفي*. بيروت: دار النفائس, الأولى., ٢٠٠٥.
النورسي, سعيد بن ميرزا بن علي بديع الزمان. *كليات رسائل النور*. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر, السادسة., د.ت.
النووي, أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. بيروت: دار إحياء التراث العربي, الثانية., ١٣٩٢ هـ.
النيسابوري, نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي. *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*. تحقيق زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية, الأولى., ١٤١٦ هـ.
الهلال, محمد. *تفسير القرآن الثري الجامع*. دمشق: دار المعراج, الأولى., ٢٠٢٢ م.
الهنداوي, حسن بن إبراهيم. "التجديد". *الإجماع الأصولي وأثره في تحقيق وحدة الأمة الإسلامية في مجال الفقهيات والعقائد* ٣٢/١٦ (٢٠١٢), ٤٠.
الواحدي, أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد. *التفسير البسيط*. تحقيق لجنة علمية من جامعة الإمام محمد بن سعود. الرياض: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية., الأولى., ١٤٣٠ هـ.
الواحدي, أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق صفوان عدنان داوودي. دمشق، بيروت: دار القلم, الدار الشامية, الأولى., ١٤١٥ هـ.
الوشلي, عبد الله قاسم. *الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة*. طنطا- مصر: دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية, الثانية., ١٤١٤ هـ.
بكر أبو زيد, بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله. *معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ*. الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع, الثالثة., ١٩٩٦ م.
بلخيري, رضوان - عابدي, لدمية. "مجلة المعيار". *الأساليب الاتصالية والإعلامية للرسول -صلى الله عليه وسلم- في تبليغ الدعوة الإسلامية* ٤٢ (٢٠١٧).
بنجمور, منير. *القضايا الطبية المعاصرة ومقاصد الشريعة (قراءة في أعمال مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة)*. تونس: دار التونسية للكتاب, الأولى., ٢٠١٤ م.
جابر, حسين بن محمد علي. *الطريق إلى جماعة المسلمين*. المنصورة- مصر: دار الوفاء, الثانية., ١٩٨٧.

جاسم, ليث سعود - عباس, ايمان محمد. "مجلة الباحث الجامعي". *الإمام النورسي ووحدة الأمة الإسلامية -قراءة تاريخية-*.

جنت كل, يارزمان. *التكرار في القرآن الكريم وأسراره البلاغية*. إسلام آباد- باكستان: الجامعة الإسلامية العالمية- إسلام آباد, دكتوراه, ٢٠١١ م.

حجاب, محمد منير. *الإعلام الإسلامي المبادئ- النظرية- التطبيق*. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع, الأولى., ٢٠٠٢ م.

حسين, سمير محمد. *الإعلام والاتصال بالجماهير*. القاهرة: عالم الكتب, الأولى., ١٩٨٤.

حمزة, عبد اللطيف. *الإعلام في صدر الإسلام*. القاهرة: دار الفكر العربي, د. ط., د. ت.

حمزة, عبد اللطيف. *الإعلام والدعاية*. بغداد: مطبعة المعارف, الأولى., ١٩٦٨.

حمزة, عبد اللطيف. *الإعلام وتاريخه ومذاهبه*. القاهرة: دار الفكر العربي, د. ط., ١٩٦٥.

رابطة العالم الاسلامي. "موقع رابطة العالم الاسلامي *themwl.org*, ."د.ت . www.themwl.org/

رابطة العالم الاسلامي. "موقع هيئة علماء المسلمين .*iomsmwl.org* ."٢٠٢٥/٠٧/١٨

رضا, محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني. *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*. د. م: الهيئة المصرية العامة للكتاب, د. ط., ١٩٩٠ م.

زربوح, محمد بن فريد. *المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين -دراسة نقدية-*. د. م: تكوين للدراسات والأبحاث, الأولى., ٢٠٢٠.

زين الدين الرازي, أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. *مختار الصحاح*. تحقيق يوسف الشيخ محمد. ١ مجلد. بيروت-صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية, الخامسة., ١٩٩٩.

زين, نور الدين زين. *نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية*. بيروت: دار النهار للنشر, الرابعة., د.ت.

سعيد, نبيل محمد مرعي - الحسن, عبد الدائم عمر. *الأساليب الإعلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية وأثرها على وحدة المسلمين: دراسة تطبيقية على وسائل الإعلام الشفهية المواجهي*. أم درمان: أم درمان الإسلامية, دكتوراه, ٢٠١٧.

شلبي, إسماعيل. *وحدة الأمة الإسلامية واجب شرعي يجب تحقيقها في ظل العولمة*. د. م: د. ن, د. ط., د. ت.

صقر, شحاتة محمد. *الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان*. الاسكندرية - مصر: دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي, د. ط., د. ت.

عبد الباقي, زيدان. *وسائل وأساليب الاتصال*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية, الثانية., 1979.

عبد الرزاق, أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني. *المصنف*. تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات. د.م: دار التأصيل, الثانية., ٢٠١٣.

عبد المحسن العباد, عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر. *الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي*. الرياض: دار الفضيلة, الأولى., ٢٠٠٣ م.

عثمان علي عمر. *آثار الافتراق على الأمة الإسلامية*. د. م: جامع الكتب الاسلامية, د. ط., د. ت.

عزت, دروزة محمد. *التفسير الحديث*. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية, د. ط., ١٣٨٣ هـ.

عكيوي, عبد الكريم. "جهود بديع الزمان النورسي في إرساء أسس الوحدة الفكرية وتثبيت الحوار العلمي في عصره". ٥٣. الرباط-المغرب: د. ن, ١٧-١٩٩٩/٠٣/١٨.

علي, يوسف عبد الله محمد - عوض الله, علي الأمين. *منهج القرآن الكريم في جمع كلمة الأمة*. أم درمان: أم درمان الإسلامية, ماجستير, ٢٠١٠. http://search.mandumah.com/Record/563004.

عوض, محمد علي. *الإعلام في السنة النبوية -دراسة حديثية موضوعية-*. غزة: الجامعة الإسلامية- غزة, الماجستير, ٢٠٠٩ م.

قلعجي, محمد رواس - قنيبي, حامد صادق. *معجم لغة الفقهاء*. بيروت: دار النفائس, الثانية., ١٩٨٨.

كنعان, محمد جمال حسين - الجندي, محمد علي. *التفرق العقدي وأثره على الوحدة الإسلامية: دراسة تحليلية نقدية*. عمان: العلوم الإسلامية العالمية, دكتوراه, ٢٠١٧.

مالك بن أنس, مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني. *موطأ الإمام مالك*. تحقيق بشار عواد معروف - محمود محمد خليل. بيروت: مؤسسة الرسالة, الأولى., ١٩٩١ م.

مجمع الفقه الاسلامي الدولي. "قرار بشأن الإسلام والأمة الواحدة، المذاهب العقدية والفقهية-*iifa*-*aifi.org/ar/*, د.ت. iifa-aifi.org/ar/2200.html .

مجموعة مختصين. *نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم*. تحقيق صالح بن عبد الله بن حميد - عبد الرحمن بن محمد بن ملوح. بيروت: دار الوسيلة للنشر والتوزيع, السابعة., د. ت.

مجموعة من الباحثين. *موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة*. تحقيق الشيخ عَلوي السقاف. د. م: المكتبة الشاملة, د. ط., ١٤٣٣ هـ.

مجموعة من المؤلفين. *مجلة المجمع الفقهي الإسلامي*. السعودية: رابطة العالم الإسلامي, الخامسة., ٢٠٠٣ م.

مجموعة من المؤلفين. *مجلة مجمع الفقه الإسلامي*. د. م: مجمع الفقه الاسلامي, د. ط., ١٩٨٦ م.

محمد با كريم محمد با عبد الله. *وسطية أهل السنة بين الفرق*. د. م: دار الراية للنشر والتوزيع, الأولى., ١٩٩٤ م.

محمد رشيد رضا, محمد رشيد بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين. *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب, الأولى., ١٩٩٠ م.

محمود شكري الألوسي. *السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة*. تحقيق مجيد الخليفة. القاهرة: مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع, الأولى., ٢٠٠٨.

محمود, منال طلعت. *مدخل إلى علم الاتصال*. الاسكندرية: جامعة الإسكندرية, الأولى., 2001.

مركز الدراسات والمعلومات القرآنية. *موسوعة التفسير المأثور*. تحقيق مساعد بن سليمان الطيار - نوح بن يحيى الشهري. بيروت: دار ابن حزم, الأولى., ٢٠١٧.

مسلم, أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. *صحيح مسلم*. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ٥ مجلد. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه, ١٩٥٥ م.

مصالحه, محمود محمد طه. *وجوب وحدة الأمة الإسلامية – دراسة موضوعية*. لاهاي: لاهاي, دكتوراه, ٢٠١٧ م https://www.noor-book.com .

مقاتل, أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى. *تفسير مقاتل بن سليمان*. تحقيق عبد الله محمود شحاته. بيروت: دار إحياء التراث, الأولى., ١٤٢٣ هـ.

مكي بن أبي طالب, أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي. *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه*. تحقيق الناشر. الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة, الأولى., ٢٠٠٨ م.

منظمة التعاون الاسلامي. "تاريخ المنظمة ."د.ت-https://www.oic-oci.org, *oic-oci.org* . oci.org/page/?p_id=56&p_ref=26&lan=ar

منظمة التعاون الاسلامي. "موقع مجمع الفقه الاسلامي الدولي". ٢٠٢٥/٠٧/٢٢-https://iifa . aifi.org/ar

مهران العسكري, أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى. *الفروق اللغوية*. تحقيق محمد إبراهيم سليم. القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع, د. ط., د. ت.

نخبة من العلماء. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. تحقيق مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. د. م: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية, الأولى., ١٩٧٣ م -١٩٩٣ م.

نخبة من العلماء. *موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة*. مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية, د. ط., ٢٠١٣.

نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. *المعجم الوسيط*. القاهرة: مجمع اللغة العربية بالقاهرة, الثانية., ١٩٧٢.

نور, عمر عبد اللطيف محمد. *التشوقية لسبق اليدمقراطية*. الخرطوم- سودان: المكتبة الوطنية, الأولى., ٢٠١٩ م.

نور, محمد أحمد محمد - إبراهيم, إبراهيم نورين. *المذاهب الفكرية وأثرها على حياة المسلمين: دراسة مقارنة بين مذهب أهل السنة والجماعة والمذاهب المعاصرة*. أم درمان: القرآن الكريم والعلوم الإسلامية, ماجستير, ٢٠١٤ . http://search.mandumah.com/Record/698776.

نوري, أنوار زهير. "مجلة كلية التربية للبنات". *وحدة الأمة الإسلامية في القرآن الكريم دراسة موضوعية* ٢/٢٤ (٢٠١٣), ١٥.

هاشم, أحمد عمر. "وحدة الأمة الإسلامية". مفهوم الوحدة الإسلامية. مكة المكرمة, ٢٠٠٦.

وزارة الإرشاد القومى, الهيئة العامة للاستعلامات. *ملف وثائق فلسطين*. مصر: وزارة الإرشاد القومى, الهيئة العامة للاستعلامات, د. ط., د.ت.

وينتن, مصطفى. "مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية". *توحيد الأصول العقدية ودوره في تحقيق وحدة الأمة* ٣/٢ (٢٠١٦/٧), ٣٠.

."youtube.com/@mwlorg"إشراف Muslim World League رابطة العالم الإسلامي.